

الجيش في المهدية

(1881 - 1899م)

حاتم الصديق محمد أحمد

(الطبعة الثالثة - 2023م)

الجيش في المهدية

(١٨٨١-١٨٩٩م)

د.حاتم الصديق محمد أحمد

رقم الإيداع: **484**

السودان – الخرطوم / دار جامعة الزعيم الأزهري للطباعة والنشر

الخرطوم بحري/ كافوري ، مربع (٧) هاتف: 891043 154 249+

الآيـــة

قال تعالى:

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ ﴾

صدق الله العظيم

سورة الأنفال: ٦٠

الإهــداء

أهدي هذا الكتاب إلى

إلى أمي وأبي..

إلى أم أحمد وإياد حفظهم الله ورعاهم

إلى أخواني وأخواتي..

إلى عمتي العزيزة (فاطمة سليمان) جعلها الله تعالى من أصحاب جنته ..

إلى جميع أصدقائي و زملائي..

أهدي هذا الكتاب..

الباحث،،،

الشكـر والتقديـر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين.

أتقدم بالشكر لجامعة الزعيم الأزهري التي أتاحت لي فرصة الدراسة ، وأخص بالشكر كلية التربية، وقسم التاريخ. كما أن الشكر أجزله والعرفان أجله **للبروفسير/ أبو بكر حسن محمد باشا** الذي أشرف على هذه الدراسة والذي لم يبخل بوقته الغالي فكانت تصويباته الدقيقة وتوجيهاته المفيدة خير معين لإخراج هذا البحث بهذا الشكل.

كما أخص بالشكر **الدكتور/ قسم السيد حمزة أحمد** الذي كان لاستشاراته العلمية قيمة كبيرة.

وكذلك الشكر للأخ **الأستاذ/ خالد علي يوسف التركي** لقيامه بمراجعة هذا الكتاب.

والشكر أيضا لأسرة وأعضاء قسم التاريخ بكلية التربية جامعة الزعيم الأزهري الذين أفادوني بملاحظاتهم القيمة.

وأرجو كذلك أن لا يفوتني أن اشكر **العاملين بدار الوثائق القومية الخرطوم** واخص منهم بالشكر **الأستاذة/ خالدة البشري.**

ولا يسعني إلا أن أشكر **أمناء المكتبات** في **جامعة الزعيم الأزهري كلية التربية، وجامعة أم درمان الإسلامية، ومكتبة السودان.**

والشكر لكل الذين أفادوني بملاحظاتهم القيمة ومعلوماتهم.. ولكل من أسهم في إخراج هذا الكتاب حتى وصل إلى صورته النهائية.

قائمة مختصرات البحث Abbreviations:

دار الوثائق المركزية الخرطوم د.و.م.خ/ مهدية

المرجع السابق: Ibib

المرجع نفسه: op.cit

بدون تاريخ (ب. ت)

بدون دار نشر(ب. د)

فهرست الموضوعات

المقدمــة

يلقي هذا الكتاب – وهو عبارة عن أطروحة الدكتورة –الضوء على موضوع الجيش في المهدية في الفترة من العام ١٨٨١م الذي يمثل بداية الصدام العسكري بين المهدية والإدارة التركية في السودان، والعام ١٨٩٩م الذي يؤرخ لنهاية آخر المواجهات العسكرية للمهدية، والذي تعرضت فيه المهدية للهزيمة على يد القوات البريطانية المصرية الغازية، فزالت على إثرها الدولة السودانية، وخضعت للاستعمار البريطاني تحت غطاء الحكم الثنائي.

كما تنبع أهمية الكتاب من تناوله موضوع الجيش في المهدية من حيث التنظيم ، والتمويل، والتصنيع الحربي ، والتسليح ، والعمل الأمني والاستخباراتي ،بشكل خاص، حيث إن الدراسات السابقة اهتمت بالمعارك بشكل أساسي ، مع إهمال الجيش وتنظيماته.

يهدف الكتاب إلى تسليط الضوء على التنظيم العسكري ، والتمويل ، والتسليح ، والعمل الأمني والاستخباري ، والتصنيع الحربي ، في الدولة المهدية ، وإعطائه الاهتمام اللائق به والذي يضع أساسا تاريخيا للمؤسسات العسكرية في السودان.

الفصل الأول

دور الجنود السودانيين في فترة الحكم التركي

(١٨٢١-١٨٨١م)

المبحث الأول:
تجنيد السودانيين في الجيش التركي:

في عام ١٨٢٠م اجتاحت قوات محمد على باشا السودان، ومن الواضح أنّ هذا الغزو كانت خلفه العديد من الدوافع والأسباب، ومن أهمها الحصول على المال، وذلك من خلال مناجم الذهب الموجودة في سنار، والتي أصبحت ذات شهرة واسعة، إلى جانب الحاجة إلى الرجال السود الذين اشتهروا في مصر، وتم تجريبهم منذ أيام الفراعنة، وأثبتوا درجة عالية من الكفاءة في الجندية والشدة في الحرب.[١]

وقد شاهد محمد علي باشا الرجال السود في أسواق النخاسين في كل من الحجاز ومصر، وكان قد سمع عنهم وعن تحملهم للمصاعب، وعرف كذلك انقيادهم لسادتهم، ولهذه الأسباب مجتمعة فكر محمد علي في دعم جيشه بهذه العناصر، وقد شجعه الأعداد الكبيرة التي كانت تُرسل إلى مصر والحجاز، وكان محمد علي باشا قد أسرَّ إلى هنري صولت بأنّ الأسباب الرئيسية للحملة التخلص من جنوده غير النظاميين واستبدالهم بجنود سودانيين.[٢]

ولأنّ محمد علي باشا كان يرغب في بناء دولة قوية على النسق الأوربي وهذا الأمر لا يتحقق إلا بإعداد جيش قوي، وهذا الجيش كانت

---

١ نعوم شقير، تاريخ السودان، تحقيق محمد إبراهيم أبو سليم، دار الجيل، بيروت، طبعة جديدة، ١٩٨١م، ص١٩٣.

٢ أحمد أحمد سيد أحمد، تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصري (١٨٢٠-١٨٨٥)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٦٢.

عناصره توجد في السودان، ومما شجعه على هذا الأمر أنّ جنوده من الأتراك والأرناءوط لم يتكيفوا مع النظام الجديد، أمّا الفلاح المصري فلم يتم تجنيده حتى لا يؤثر على فلاحة الأرض.[٣]

لقد كان هناك دافع قوى ساهم في أن يستمر محمد علي باشا في تكوين جيش منظم وحديث على نهج المدرسة الأوربية العسكرية الحديثة،تمثل هذا الدافع في إعداد الجيش المنظم الذي يعد من أولويات قيام الدولة الحديثة في مطلع القرن التاسع عشر.

وما يدل على حاجة محمد علي للرجال، الرسالة التي بعثها إلى ابنه إبراهيم حيث جاء فيها: (... حيث أنّ الأهم والألزم لنا هو الحصول على العبيد وأقدم جميع الأمور هو إعداد العبيد من كردفان وافيناكم بهذا الإشعار تكراراً لأجل التأكيد وإن كان هذا النظر مستقراً في ذهنكم ...).[٤]

نلحظ الاهتمام المتعاظم من قبل محمد علي بالجنود السودانيين، ونجد أنّ هناك مبرر واضح لهذا القدر من الاهتمام، وهو أنّ جنوده الأتراك والألبان أصبحوا سبباً في جلب المتاعب، الشيء الذي ضاعف من اهتمامه، أضف إلى ذلك خوفه من ظهور بوادر الضعف على دولته، ولأنّ السلطان العثماني في الأستانة يتحين بوادر هذا الضعف لكي ينقضَّ عليه ويعيد مصر إلى سيادة الدولة العثمانية المباشرة.

نتيجةً لهذه الأسباب نجد أنّ تفكير محمد علي في الجندي السوداني كان منطقياً ومبرراً.

---

٣ مكي شبيكة، السودان عبر القرون، دار الجيل، بيروت، ط٣، ١٤١١هـ-١٩٩١م، ص٩٣.

٤ حسن احمد إبراهيم ،محمد علي في السودان،دراسة لأهداف الفتح التركي، دار التأليف والترجمة، جامعة الخرطوم،(ب،ت) ص٢٤-٢٥.

الطرق التي تم بها جلب الرقيق من مناطقهم:

بعد السيطرة على السودان، اهتمت الحكومة بإرسال الغزوات إلى مناطق الرقيق، وتتم عملية إرسال تلك الغزوات في شكل حملات في فصل الجفاف منطلقة من عدة مدن سودانية مثل الخرطوم، والأبيض، وسنار إلى ثلاثة مناطق رئيسة هي جبال النوبة ومناطق الشلك وجنوب سنار. لقد كانت تلك الحملات تُجهَّز تجهيزاً تاماً بالأسلحة والمؤن والأغذية، ويصاحب الحملة ما بين ألف إلى ألفين من القوات الحكومية وثمانمائة من الجنود المغاربة، وعدد من الأهالي المسلحين بالسهام والدروع.[٥]

اتجه محمد علي باشا للاستعانة ببعض الزعماء السودانيين في عملية جلب الرقيق، ومن هؤلاء الزعماء إدريس ود عدلان، وأبو روف، والشيخ أبو سن شيخ قبيلة الشكرية، وشيخ قبيلة رفاعة الشرق الشيخ أحمد أبو جن، والهدف من كل هذا الحشد الحصول على أكبر قدر من الرقيق الذين يصلحون للجندية في الجيش الجديد.

عمل محمد علي على توفير الرعاية الطبية لهؤلاء الرقيق، وكان يرفض أن يلتحق أي عبد غير صالح للجندية بجيشه، وعمل على وضع ضوابط مشددة لذلك وعيَّن أطباء لمتابعة هذا الأمر والإشراف عليه، وكان يعاقب أي طبيب يتساهل في تلك الضوابط، وما يدل على ذلك أنه وفي عهد أبو ودان قُبض على طبيب يدعى (تبيتو) وتم فصله من الخدمة لأنه أمر بقبول عبد غير صالح وغير لائق طبياً للعمل في الجيش.[٦]

---

٥ المرجع نفسه، ص٥٦.

٦ حسن احمد إبراهيم، مرجع سابق، ص٥٦.

شجعت صفات المقاتل السوداني ،محمد علي باشا على جلب الرقيق من السودان، ومن هذه الصفات: الطول الفارع، والشجاعة، والإخلاص، والطاعة، وهي غاية ما يسعى إليه الباشا الطموح.(٧)

كذلك جعل محمد على من السودان عمقاً استراتيجياً لدولته الحديثة، ونقطة تراجع إذا ما هاجمته الدول الأوربية، ومن السودان يستطيع تجميع قواته وإعدادها لملاقاة الخطر المحتمل.

أصبح الجندي السوداني صاحب مكانة متميزة داخل جيش محمد علي باشا، ووصل الأمر ببعضهم إلى أن تقلدوا مهمة الحرس الخاص لمحمد سعيد باشا، وزاد ارتباطهم بالدولة من خلال الجيش الحكومي.(٨)

دور قبيلة الشايقية في جيش محمد علي باشا:

دخل الشايقية في خدمة الحكومة التركية، وقام محمد علي بتعيين زعيمهم الملك شاويش ضابطاً على جنوده، وعُيِّن شيخ عبود شيخ السواراب على رجاله، ودخل الشايقية الخدمة العسكرية تحت لواء الباشبوزق.٩*(١٠)

كان لأفراد قبيلة الشايقية دور بارز في حفظ الأمن، واعتمد عليهم محمد علي باشا، وأُوكلت لهم بعض المهام منها القبض على حسن ود

٧ (ضرار صالح ضرار، تاريخ السودان الحديث، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، ط٤، ١٩٦٨م، ص.٢٣-٢٤.

٨ تاج السر عثمان الحاج، التاريخ الاجتماعي لفترة الحكم التركي (١٨٢١-١٨٨٥م)، الناشر: مركز عبد الكريم ميرغني، امدرمان ،٢٠٠٤م، ص٦٤.

٩ *الباشبوزق هم الجند غير النظاميين، أنظر عصمت حسن زلفو، شيكان، تحليل عسكري لحملة الجنرال هكس، شركة كرري للطباعة والنشر والتوزيع، المطبعة العسكرية سابقاً، الخرطوم، ام درمان، ط٢، ١٩٨٤م، ص٢٧.

١٠ بشير كوكو حميدة، صفحات من التركية والمهدية، دار الإرشاد ،الخرطوم، (ب.ت)، ص٤٦.

رجب[١١*]، حيث كلفت الحكومة الملك شاويش بهذا الأمر، ونجح شاويش في ذلك بمعاونة فرسانه.(١٢)

استطاعت قبيلة الشايقية التعايش مع الوضع الجديد، وأصبحوا أصحاب ثقة عند محمد علي باشا وعند حكام السودان، وقد تمت الاستعانة بهم في مهمة حفظ الأمن، وقد انخرط الكثير منهم في سلك الجندية بكل جد واجتهاد.

انقسمت المهام التي أوكلتها الحكومة التركية لقبيلة الشايقية بين مهام أمنية وأخرى نظامية، ولم تقم الحكومة بإعطاء الشايقية مرتبات نظير تلك المهام، بل عمدت إلى إعطائهم أراضٍ زراعية، يقوم الفرد بتوفير ما يكفيه من قوته وقوت عياله، وهناك شيء آخر وهو السلاح الذي كانت توفره الحكومة لهم.(١٣)

نتيجةً للخدمات الجليلة التي قدمها الشايقية للحكومة التركية، أعطاهم خورشيد باشا كل الأراضي الواقعة بين الخرطوم وشندي، والتي كانت تحت سيطرة العبدلاب وغيرهم من القبائل التي شاركت في الثورة ضد الحكومة عقب مقتل إسماعيل باشا. وهدف خورشيد من ذلك أن يقوم الشايقية بزراعة تلك الأراضي دون أن يدفعوا ضرائب، وعمل خورشيد على إعطائهم العلف لخيولهم، وزادهم محمد علي باشا فوق ذلك بأن أعطاهم من زراعة النيلة[١٤*]، وهدف

---

١١ * حسن ود رجب، هو الشخص الذي قام بقتل الوزير محمد ود عدلان وزير الدولة السنارية، والذي ينتمي لقبيلة الهمج، أنظر حسن احمد إبراهيم، مرجع سابق، ص٨٩-٩٠

١٢ محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث (١٨٢٠-١٩٥٥م)، الناشر: مركز عبد الكريم ميرغني، ط٢، ٢٠٠٢م، مطبعة دار مصحف أفريقيا،الخرطوم،ص٧٧.

١٣ المرجع نفسه، ص٧٨.

١٤ * النيلة، من المحاصيل التي نجحت زراعتها في السودان وقد لاحظ الرحالة هوسكنس خلال زيارته إلى السودان أنة قد خصص لريها في مديرية دنقلا العرضي خمسة ألاف ساقية ،ونتيجة للإنتاج العالي من هذا المحصول قامت الحكومة بإنشاء خمسة مصانع في كل من مروي وحنك والحفير ودنقلا العجوز ودنقلا العرضي.انظر، حسن احمد إبراهيم، مرجع سابق، ص٤٥.

محمد علي باشا أن يحبب العسكرية إلى نفوسهم.(١٥)

دور العناصر الأخرى في جيش محمد على:

كانت هناك فئة ثانية غير الشايقية، اعتمدت عليها الحكومة التركية وهي العنصر الزنجي، حيث عملت الحكومة على أسرهم وترحيلهم إلى أسوان حيث يتم إخضاعهم لنظام عسكري صارم، وبعد ذلك يتم إرجاعهم إلى السودان ويوزع البعض منهم على المدن السودانية والبعض الآخر على الحدود أو المناطق الأخرى، ويُعد العنصر الزنجي هو نواة الجيش النظامي في السودان حيث عُرفوا في التاريخ العسكري السوداني بالجهادية[١٦*] وقد لعبوا دوراً مهماً في حفظ الأمن وشاركوا في الحروبات الداخلية والخارجية.(١٧)

وكان الباشبوزق وهم العنصر الثالث المكمل للجيش الحكومي يطوفون بالمدن والقرى السودانية بهدف جمع الضرائب وإرهاب الأهالي، وعندما يظهرون في تلك المدن والقرى يخافهم الناس، وكان شكلهم يبعث الخوف في النفوس، ويركبون الخيول ويحملون السياط التي تلهب ظهور كل من يرفض أن يدفع للحكومة، وقد ساهم الباشبوزق في هجرة الأهالي بصورة مباشرة من قراهم.(١٨)

زاد نفوذ الجنود السودانيين – السود – داخل الجيش التركي في السودان، وذلك عندما قرر محمد علي باشا سحب الجنود الأتراك وإحلالهم بالشايقية، ولكن هؤلاء لم يتمكنوا من الإيفاء بمهمة حفظ الأمن وحدهم مما

---

١٥ حسن احمد إبراهيم، مرجع سابق، ص٩٠.

١٦ * الجهادية، هم الجنود المدربون على النظم العسكرية الحديثة، وكان دخولهم السودان أول الأمر في عهد عثمان بك. أنظر أحمد أحمد سيد أحمد، مرجع سابق، ص٣٨٠.

١٧ تاج السر عثمان الحاج، مرجع سابق، ص٦٨.

١٨ محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث،....، ص٧٧.

زاد بالطبع من أهمية استخدام الجنود السود في الجيش للإيفاء بمهمة حفظ الأمن وَحْدَهم.[١٩]

نرى أنّ عدم المقدرة على حفظ الأمن،من المشاكل التي واجهت قوات الشايقية، وذلك يرجع إلى عدة أسباب، منها اتساع مساحة السودان، وقلة عدد جنود الشايقية مقارناً بالرقعة الجغرافية، وشح الإمكانيات، وقلة الدواب، وما يدل على ذلك إقدام الحكومة على زيادة مرتباتهم لكي يغطوا احتياجاتهم من الخيول.

دور الحكمدار خورشيد باشا في تجنيد السودانيين:

فكّرالحكمدار خورشيد باشا في العام ١٨٣٦م في تجنيد الأهالي السودانيين في الجيش المصري، لكن هذا الاقتراح لم يجد القبول من قِبَل عبد القادر ود الزين شيخ مشائخ عموم سنار، وكان مبرره في ذلك أنّ هذا الأمر يؤدي إلى إفراغ المناطق من الأهالي ويعمل على تشتيت شمل البقية منهم. واقتنع خورشيد ولكن بشرط أن تدفع كل مديرية عدداً معلوماً من العبيد، حيث يقوم شيوخ القبائل بجمعه وتسليمه للحكومة.[٢٠]

تحولت بعد ذلك أنظار خورشيد باشا إلى الرقيق، وعمل على إرسال الغزوات لجلبهم من مناطقهم، وساعد الشيخ سليمان أبو روف على مساعدة خورشيد في الإمساك برجال الدينكا، واهتمّ رستم – حاكم كردفان في عهد خورشيد – بتسيير الحملات لجلب الرقيق.[٢١]

١٩ تاج السر عثمان الحاج، مرجع سابق، ص٦٨.

٢٠ حسن احمد إبراهيم، مرجع سابق، ص٤٥.

٢١ حسن احمد إبراهيم، مرجع سابق، ص٥٩-٦٠.

واستمرّ الحكمدار خورشيد في عملية إرسال الحملات إلى جنوب السودان، لكي يقبض على السكان المحليين بهدف إدراجهم في سلك الجندية، وقد ساهم جنود الشايقية في هذه الحملات بجانب جنود الحكومة من الأتراك، وكان جنود الشايقية ينالون نصيباً من الأرقاء، وتحصلوا على قدر من الأموال جراء أدائهم لهذه المهمة.[٢٢]

الاهتمام بالجنود السودانيين في عهد محمد علي باشا:

اهتمّ محمد علي باشا بالجنود السودانيين وترحيلهم من مناطق السودان المختلفة إلى أسوان، واهتمّ بنوعية الطعام، وكان يدفع لكل واحد منهم مبلغ ثمانية قروش شهرياً، وعمل على تعيين الدكتور (بوسب) بمرتب شهري قدره ألف قرش لكي يقوم بتطعيم الجنود السودانيين ضد الجدري وعيّن كذلك الدكتور (دوساب) لكي يعمل على علاجهم من الأمراض الأخرى، ووفر الدواء اللازم لهم في معسكرهم بأسوان.[٢٣]

نجد الاهتمام الواضح من قِبَل محمد علي باشا بالجنود السودانيين والذي ينبع من حاجته الماسة لهم ولمعرفته التامة بأنّ هؤلاء الجنود هم السند الحقيقي والداعم له في مقبل معاركه الكثيرة.

وفَّر محمد علي باشا الأغذية للجنود القادمين من السودان في أسوان، واهتمّ كذلك بملابسهم حيث استبدل قماش البفتة المستورد من أسيوط بآخر من المناطق المصرية الوسطى حيث كان القماش الجديد هو الأجود.[٢٤]

---

٢٢ محمد عمر باشري، معالم الحركة الوطنية في السودان، المكتبة الثقافية، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص٤٧.

٢٣ حسن احمد إبراهيم، مرجع سابق، ص٥٦.

٢٤ المرجع نفسه، ص٥٥.

كان طموح محمد علي باشا كبيراً، لذلك سعى لتدريب السودانيين على أساليب الجندية الحديثة التي تمثل المدرسة الأوربية رائداً لها في هذا المجال.[٢٥] ولكن الأحوال المناخية قللت من فاعلية الجنود السودانيين في الجيش المصري ومرد ذلك إلى طبيعة هؤلاء الجنود الذين جلبوا من المناطق الجبلية، ولذلك أصدر محمد علي أوامره إلى مدير السودان باستبدال سكان المناطق الجبلية بسكان المناطق السهلية لكي يتوافقوا مع الأجواء في مصر.[٢٦]

نلاحظ أنّ محمد علي باشا قد كرّس كل جهده للاستفادة من الجنود السودانيين، وعمل على تذليل المشاكل والمصاعب التي تواجههم، وأصدر الأوامر إلى الحكام في السودان لكي يعملوا على جلب أكبر عدد من الجنود. ولكن يتضح بعد ذلك أنّ هنالك عدد من المشاكل التي أصبحت المعوق الفعلي للاستمرار في عملية جلب الرقيق إلى أسوان وتدريبهم، ومن هذه المشاكل المناخ والطريقة التي تتم بها عملية جلب الرقيق من مناطقهم الأصلية. ونجد أنّ الأعداد التي وصلت إلى أسوان لم تكن بالقدر الكافي.

٢٥ محمد فؤاد شكري، الحكم المصري في السودان (١٨٢٠م-١٨٨٥م)، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٤٧م، ص٧٩.

٢٦ حسن احمد إبراهيم، مرجع سابق، ص٤٨.

المبحث الثاني
مشاركة الجنود السودانيين في الحروب الخارجية

بلاد المورة:

بعد هزيمة الجيش العثماني في بلاد المورة، توقع محمد علي باشا أن يطلب منه السلطان العثماني إمداده بجيش لمعاونته في حربه. ولكي يعمل محمد علي على إعداد هذا الجيش استنفر ابنه إسماعيل وصهره محمد بك الدفتردار لكي يتحصلوا على أكبر قدر من الرجال وأن يتم إرسالهم إلى أسوان.[٢٧]

وفي العام ١٨٢٣م تم تدريب أول آلاي من الفلاحين المصريين والجنود السودانيين على أسس عسكرية حديثة، وقام محمد علي باشا بإرسال أربعة منها إلى بلاد المورة لدعم جنود السلطان العثماني بقيادة ابنه إبراهيم.[٢٨]

حرب المكسيك:

شاركت القوات السودانية في عهد سعيد باشا في حرب المكسيك، حيث طلب نابليون الثالث ملك فرنسا من سعيد باشا أن يرسل له جنود يساعدونه في حربه ضد (مسيو جوادز)، وكان نابليون الثالث يقف مع الثوار ضد حكم (جوادز) وتم إرسال الجنود السودانيين بقيادة البكباشي جبر

---

٢٧ حسن احمد إبراهيم، مرجع سابق، ص٧٦-٧٧.

٢٨ المرجع نفسه، ص٧٧.

الله محمد السوداني والصاغ محمد الماس. وتحركت القوات السودانية إلى المكسيك في العام ١٨٦٢م، وقد أبلى الجنود السودانيون في هذه الحرب بلاءً حسناً، وشهد المارشال (فودي) القائد الفرنسي لهذه القوات بالشجاعة وقال: (...إنهم ليسوا جنوداً فقط وإنما هم أسود...).[٢٩]

ونتيجة للمجهودات الكبيرة التي قام بها الجنود السودانيون في حربهم في المكسيك فقد قلدتهم فرنسا الوسام العسكري. ومن الذين تقلدوا هذا الوسام (جادين أحمد ومحمد الحاج وإدريس النعيم وعبد الله سودان).[٣٠]

المشاركة في بلاد الحجاز:

في عام ١٨٣٥م طلب محمد علي باشا من خورشيد إرسال فرقتين من السودانيين لدعم جيشه في الحجاز نتيجةً لتناقص جيشه في تلك المناطق ولحربه ضد الوهابيين.[٣١]

وجدت القوات التي ذهبت إلى الحجاز كل العناية والاهتمام من قِبَل محمد علي باشا حيث أوصى محافظ جدة بالاهتمام بهم وأن يجهز السفن لترحيلهم من ميناء سواكن إلى بلاد الحجاز، وبالرغم من الاهتمام الكبير من قِبَل محمد علي بالجنود السودانيين، فقد مات عدد كبير منهم نتيجةً للظروف المناخية.

تم إرسال أورطة[٣٢]* سودانية إلى اليونان في ٨ يناير ١٨٦٣م في

٢٩ عبد الله حسين، السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية، ج١، المطبعة الرحمانية، القاهرة ،١٩٣٥م، ص٩٨.

٣٠ المرجع نفسه، ص١٠١.

٣١ بشير كوكو حميدة، مرجع سابق، ص٤٧.

٣٢ * الاورطة هي كلمة تركية يقصد بها الفرقة العسكرية التي قوامها ألف مقاتل وفى بعض الأحيان تطلق الاورطة على مجموعة من الجنود، انظر يوسف ميخائيل، مذكرات يوسف ميخائيل، التركية والمهدية والحكم الثنائي، شاهد عيان، تحقيق، احمد ابراهيم ابوشوك، مركز عبد الكريم ميرغني، امدرمان،٢٠٠٤م ،ص٣١.

عصر سعيد باشا، وذلك بعد طلب الإمبراطور نابليون الثالث إمبراطور فرنسا، ولكي تقوم بالخدمة مع جنوده في المستعمرات الفرنسية، وتوفي قائد الأورطة جبر الله محمد أفندي لإصابته بالحمى الصفراء.

أدى البرد القارس في اليونان إلى مقتل عدد كبير من الجنود السودانيين وكذلك ساعدت الأمراض المختلفة والمناخ في هلاك الذين حاربوا في الحجاز.[٣٣]

من الملاحظ أنّ سوء الأحوال المناخية قد لعب دوراً مهماً في هلاك الجنود السودانيين في أسوان والحجاز وبلاد اليونان، وكذلك الأمراض المختلفة. وبالرغم من النجاحات التي حققها الجيش السوداني في المكسيك إلا أنها لم تكن بالقدر الكافي لرجل مثل محمد علي باشا، ولم ترضِ طموحه.

ومن الأسباب التي أعاقت تطور الفصائل السودانية في جيش محمد علي باشا كثرة المهام التي أوكلت لهذه القوات منها حفظ الأمن الداخلي في ظل وضع متوتر وثورات تشتعل ضد الحكم التركي، والمشاركة في الحروبات الخارجية، وهذا أمر حتمته الظروف المحيطة بمحمد علي باشا وعلاقات دولته الخارجية.

وكذلك جمع الضرائب وقمع كل من يرفض دفع هذه الضريبة المقررة، ويمكن أن نقول إنّ الجنود السودانيين نجحوا وبصورة كبيرة في جمع الضرائب مقارنةً بالجانب الحربي.

---

٣٣ حسن احمد إبراهيم، مرجع سابق، ص٧٨.

المبحث الثالث
تمرد الجهادية السود على الحكم التركي

لقد كان لكل مديرية سودانية حامية عسكرية، وينقسم الجنود فيها إلى قسمين، القسم الأول جنود الجهادية والقسم الثاني الباشبوزق. وتضم هذه الفرقة المشاة والفرسان الذين يركبون الخيول والجمال، ومعظمهم من الشايقية والأتراك والمغاربة.[٣٤]

تمرد الجنود الجهادية في مدني ١٨٤٤م:

تعددت أسباب التمرد ضد الحكم التركي في السودان من قبل الجهادية .ولعل أهم الأسباب الجوع وكثرة الأعباء الواقعة على عاتقهم سوا كانت عسكرية أم غير عسكرية، ومن الأسباب أيضا المعاملة القاسية التي كانوا يتعرضون لها مع التشدد في العقوبات نحوهم،وقد انطلقت حوادث التمرد في معظم المدن مثل الخرطوم والأبيض ومدني وسنار.

وفى ١٨مارس ١٨٤٤م حدث عصيان الجهادية في مدني، وكانت الشرارة التي أشعلت ذلك التمرد الاهانة التي تعرض لها أحد الجنود من قبل الضابط المسئول عن التدريب وقد كان في معسكر التدريب ما بين ٥٠٠-٦٠٠ من الجنود السود وقاموا بمهاجمة ضباط المعسكر واستولوا على الأسلحة الشى الذي ادخل الخوف في نفوس المواطنين ولم يكتفِ المتمردون بالتمرد في

٣٤ نعوم شقير، تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته، ج٣، مكتبة الثقافة، لبنان، (ب.ت)، ص١٥٦.

مدني بل تحرك بعضهم نحو سنار لمواصلة العصيان من هناك(٣٥).

أما التمرد في سنار التي حاول الجهادية الذهاب إليها بعد مدني ،فقد استطاع البكباشي رستم أن يقضى على التمرد هناك في مواجهة حاسمة ،قتل فيها دفع الله احد قادة التمرد وتم اعتقال أخر يدعى جودة الذي أرسل إلى مدني واعدم رميا بالرصاص،عملت الحكومة على عزل الثورة في مدني، وهذا الإجراء ساعدها كثيراً في إعادة الأمور إلى نصابها. وعندما زار أحمد باشا المنكلي[٣٦*] المدينة وجدها قد استقرت، وجمع ثمانية وعشرون من قادة الثورة، وأمر بقتلهم رمياً بالرصاص بواسطة زملائهم.(٣٧)

ترتب على تمرد جهادية مدني العديد من النتائج منها، تمكن الحكومة من القضاء على تمرد الجهادية في سنار قبل اندلاعه والتحذيرات التي أرسلت إلى زعماء العشائر والقبائل من قبل الحكومة والذين يسكنون حول الخرطوم بعدم مساندة الجماعات المتمردة،وكلف الشيخ إدريس ودعدلان بملاحقة الجنود الذين شاركوا في التمرد.

نجد أنّ قرار معاقبة الثوار رمياً بالرصاص بواسطة زملائهم فيه حرص عالٍ من قِبَل المنكلي ورسالة واضحة لكل من تسول له نفسه الثورة مرةً أخرى ضد الحكومة المركزية في الخرطوم.

---

٣٥ حسن احمد إبراهيم ،مرجع سابق، ص٩٣.

٣٦ * أحمد المنكلي، تركي تم تعيينه حكمداراً على السودان في عام ١٨٤٣م، وكان يلقب بالمنظم، أنظر أحمد أحمد سيد أحمد، مرجع سابق، ص٤٤٢.

٣٧ حسن احمد إبراهيم ،مرجع سابق،ص٩٤.

عصيان الجهادية السود في الأبيض:

أدى تراكم الضرائب على التجار والاهالى والتعسف في جمعها إلى ازدياد حالة السخط وسط جنود الجهادية مما أدى إلى حدوث بعض الاضطرابات،ويعود عصيان جهادية الأبيض عام ١٨٦٤م للأسباب الآتية:

- انتقال عدوى التمرد من المدنيين
- تأخر المرتبات لمدة ستة أشهر
- تردى الأحوال المعيشية

تعاملت الحكومة مع هذا العصيان بصورة حاسمة،حيث صدرت الأوامر من قبل الخديوي إسماعيل بإعدام قادة الثورة رميا بالرصاص،وتكبيل كل من اشترك في الثورة إلى اجل غير مسمى.[٣٨]

ثورة الجهادية في كسلا ١٨٦٥م:-

عندما تأخر صرف مرتبات الجند في كسلا، عمد هؤلاء الجنود إلى مهاجمة القبائل القاطنة حول مدينة كسلا بغرض جمع الضرائب وأخذ الضرائب التي يتم جمعها، ومن ثم هاجموا المدينة وعملوا على نهبها.[٣٩]

استمرت الثورة لعدة شهور، وكثر فيها القتل، وكان مديرها في ذلك الوقت يدعى إبراهيم بك أدهم، الذي أراد أن يرسل حملة عسكرية إلى منطقة الجبال الشرقية في عام ١٨٦٥م فأصدر أوامره للجهادية بالتحرك وتنفيذ أمر الحملة، وكان قد مضى على الجهادية ستة أشهر ولم يصرفوا مرتباتهم فرفضوا الخروج.[٤٠]

---

٣٨ بشير كوكو حميدة،مرجع سابق، ص٤٧.

٣٩ زاهر رياض، السودان المعاصر منذ الفتح المصري و حتى الاستقلال (١٨٢١-١٩٥٣م)، القاهرة،(ب.ت)، ص٩٢.

٤٠ نعوم شقير، تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته، ....، ص٤٠.

وكان مبررهم عدم دفع مرتباتهم، ولن يخرجوا إلا إذا تم دفع تلك المرتبات المتأخرة. وظن الثوار بأنّ الحكومة ترغب في التخلص منهم بتشتيتهم في منطقة الجبال الشرقية، ولذلك صمموا على عدم تنفيذ الأوامر، وهاجموا المواطنين والمنازل، ولم تهدأ ثورتهم إلا بعد أن تدخل السيد الحسن الميرغني.(٤١)

وصلت أخبار الثورة إلى الخرطوم ومنها إلى القاهرة، وتحرك عمر أفندي من الخرطوم، وأرسل إسماعيل باشا من القاهرة جيشين، الأول عبر النيل بقيادة جعفر صادق والجيش الثاني عن طريق البحر الأحمر تحت قيادة وكيل الحكمدار جعفر مظهر.(٤٢)

ولكي يتمكن إسماعيل باشا من القضاء على الثورة أصدر أوامره إلى آدم بك العريفي[٤٣*] بالتوجه إلى كسلا وكبح جماح الثوار، وأرسل إليه خطاب يتمنى فيه التوفيق له ولجنوده وأخبره بأنه قد أرسل تعزيزات قبله إلى كسلا وأمره بالقبض على الثوار وأن يوقع بهم أشد العقوبة، وإذا زاد عدد الثوار عن المائة فعليه أن يرسل لهم قوات الباشبوزق وأن يقتلوا ويأسروا كل واحد من المتمردين، أمّا الأسرى فعلى آدم بك أن يسلمهم إلى جعفر باشا مظهر.(٤٤)

بعد أن وصل آدم بك العريفي إلى كسلا أنزل جنوده خارج سور المدينة واصطحب معه بروجية وبلطجية[٤٥*] وذهب إلى الثوار في مكانهم

٤١ زاهر رياض، مرجع سابق، ص٩٢.

٤٢ أحمد أحمد سيد أحمد، مرجع سابق، ص٣٦٣.

٤٣ * آدم بك العريفي، من أعظم ضباط الجيش التركي- سوداني – أبوه محمد ضو البيت شيخ عرب دار حامد بكردفان، وكان شديد السمرة، عارف بعادات السودانيين، حارب مع إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا في بلاد الشام واشتهر بالبسالة وحسن التدريب والسياسية. أنظر نعوم شقير، تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته،....، ص٤٥-٤٦.

٤٤ تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته،....، ص٤٥-٤٦.

٤٥ * البروجية والبلطجية هم أصحاب الأبواق التي تضرب لإعلان الحرب أو لجمع الجنود، والبلطجية هم

وأمر البروجي بضرب نوبة جمعية الضباط، عندها أجمع الثوار عليه فسألهم عن تمردهم، ولماذا يتمردون وهم في جيش الخديوي، الجيش الذي وفر لهم الخدمة والمال، وأخبرهم بأنه يعرف أنهم مظلومون وأنّ رواتبهم لم تصرف لهم ولهم حق الشكاوى ولكن دون أن يصل الأمر إلى تمرد.[٤٦]

طلب آدم بك العريفي من الثوار أن يتركوا مساكنهم وأن يقيموا خارج المدينة عند جبل مكرام وجبل كسلا حتى يصل العفو عنهم، وأن لا يفرحوا بقواتهم لأنّ الحكومة سوف ترسل التعزيزات لإخماد هذه الثورة، وقال لهم: (... يد الميري طويلة...) وطلب منهم ترك الأمر له.

رفع أمر الثوار إلى الخديوي في مصر بعد أن عقد آدم بك العريفي وحسن باشا وعبد الله باشا ومدير كسلا اجتماعاً في مباني المديرية،صدرت الأوامر من الخديوي بأن يقسم الثوار إلى ثلاثة مجموعات، حيث حكم على المجموعة الأولى بالإعدام رمياً بالرصاص، أمّا المجموعة الثانية فحكم عليها بالسجن المؤبد مع الأشغال الشاقة، وأمّا المجموعة الثالثة فقد كوّن منها ثلاثة بلوكات[٤٧]*.[٤٨]

لخص جعفر باشا أسباب الثورة في عدد من النقاط منها إرسال الجنود إلى خارج المدينة لفترات طويلة لجمع الضرائب، والسبب الثاني عدم دفع رواتبهم بانتظام، والتعالي من قِبَل رؤسائهم. ومن الأسباب أيضاً الجانب البريطاني، حيث أرادت بريطانيا خلق ثورة وسط الجنود في شرق

القوات المسلحة بالبلطة التي تشبه الفأس،انظر يوسف ميخائيل، مصدر سا بق،ص ٥٥١.

٤٦ نعوم شقير، تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته، ....، ص٤٥-٤٦.

٤٧ * البلك كلمة تركية تطلق على الفرق العسكرية،انظر يوسف ميخائيل،مصدر سابق ،ص١٠٤.

٤٨ نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان ، .... ، ص٤٧.

السودان ضد حكومة الخديوي، وفعلاً استطاعت بريطانيا وبمعاونة رجل أمريكي يدعى أندروب[٤٩]* أن يحرض عدداً من الجنود ضد الحكومة. ومما ساعد على الثورة المساحات الشاسعة ما بين الحبشة والسودان، وضعف قبضة سعيد باشا على فازوغلي.[٥٠]

نتائج ثورة الجهادية السود:

من النتائج التي ترتبت على الثورة، صدر أمر من الخديوي في مصر بإلغاء الآليات السودانية وأبقى أورطة واحدة مكونة من ثمانية بلوكات، وأن يتم تسريح كبار السن من الآليات وأن يرسل البقية إلى مصر لكي يتم توزيعهم على الأورطة المختلفة هناك، أمّا الأورطة التي تعيش في كسلا فقد صدرت الأوامر لها بأن لا تضم أحداً من قبيلة الدينكا، وأن تُحرم من استخدام المدافع وأن يشدد عليهم في تطبيق النظام العسكري بصرامة.[٥١]

نلاحظ أنّ هناك عدد من الأسباب التي ساعدت على قيام عدد من الحركات أو الثورات المختلفة. ونجد أنّ معظم المؤرخين درجوا على إطلاق لفظ ثورة على الحركات التي قامت ضد الحكومة التركية في السودان، ونرى أنّ إطلاق لفظ ثورة قد جانبه التوفيق والصحيح إطلاق لفظ حركة، وذلك لأنّ الثورة لا بد أن يصاحبها تغيير في كل النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والثورة حالة عامة وسط كل فئات الشعب عكس هذه الحركات التي قامت ولم يكتب لها النجاح.

---

٤٩ * أندروب، هو رجل أمريكي كان نزيلاً في دير للرهبان الفرنسيين في سنهين بالحبشة، أنظر أحمد أحمد سيد أحمد، مرجع سابق، ص٣٦٣.

٥٠ المرجع نفسه، ص٣٦٣.

٥١ مكي شبيكة، السودان عبر القرون ....، ص١٥.

وقد برزت شخصيتان كان لهما دور كبير في إخماد حركة الجنود المسلحين في كسلا. الشخصية الأولى هي شخصية السيد الحسن الميرغني، ولعب دوراً في إخماد التحرك الأول للمسلحين واستطاع بمكانته الروحية وسط السكان عموماً والجنود السودانيين من إخماد الحركة، واستطاعت الحكومة كذلك من استثمار المكانة الروحية للسيد الحسن.

أمّا الشخصية الثانية فهي شخصية الضابط المخلص للحكومة في مصر وهو آدم بك العريفي والذي استطاع لدرجة كبيرة أن يحتوي أفراد الحركة المسلحة، وأن يرسل لهم التطمينات. وقد رفعت هذه الثورة من أسهم الرجلين عند الباشا في مصر.

وعموما كان تصرفا غادرا من ادم بك العريفي والسيد الحسن الميرغني تجاه المتمردين خاصة وان مطالب هذه الحركات قد كانت عادلة جدا.

الحاميات الحكومية في السودان عند قيام الثورة المهدية:

عندما قامت الثورة المهدية، عملت الحكومة على تركيز قواتها العسكرية في غرب السودان، وذلك لأنّ الغرب يعتبر النواة الأولى للثورة، وقد ظهرت بوادر الضعف في الحاميات العسكرية المختلفة في بقاع السودان.(٥٢)

وقد كان توزيع الحاميات في كردفان معقل الثورة المهدية على النحو الآتي:

حامية الأبيض: ستة آلاف جندي وأربع كتائب وخمسة عشر أوردى٥٣*.

---

٥٢ محمد سعيد القدال، المهدية والحبشة، دراسة في السياسة الداخلية والخارجية للدولة المهدية (١٨٨١-١٨٩٨م)، دار الجيل بيروت،١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص١٨.

٥٣ * أوردي تعني السرية.انظر يوسف ميخائيل ،مصدر سابق ،ص٣١.

حامية بارا: تسعمائة جندي.

الدلنج: مائتي جندي واثنين أوردى.

الطياره[٥٤]*: ألف وثلاثمئة وخمسون جندياً.

وكان الجنود مسلحين بالبنادق – رمنتجتون – وعدد المدافع عشرون مدفعاً.

ويمكن تقسيمهم إلى ثلاث فئات، أولاً الجنود المصريون والجنود السود، ثم الباشبوزق غير النظاميين، ثم الضباط كانوا من المصريين و السناجك[٥٥]* من الشايقية، والسنجك يقود أوردي وهو ما يعادل ما بين مئة إلى مئة وخمسون مقاتلاً.(٥٦)

---

٥٤ * الطيارة، مدينة في كردفان وتعرف أيضا باسم العياره.

٥٥ * السنجك في الأصل كلمة تركية معناها الراية ولكن تدريجيا أصبحت تطلق على طبقة من جنود الدولة العثمانية الذين يعرفون بالسناجك، وبمرور الزمن أصبح هذا ألقب يطلق على رجال الشرطة والإداريين العاملين في الموسسات العسكرية التركية ،انظر يوسف ميخائيل، مصدر سابق ،ص٣١..

٥٦ عصمت حسن زلفو، شيكان، ....، ص٢٧.

الفصل الثاني

الجيش في عهد الامام المهدي

(١٨٨١-١٨٨٥م)

المبحث الأول

تكـويـــن الجـيـش

كان محمد أحمد الذي عُرف فيما بعد بالمهدي يخرج من الجزيرة أبا – التي اتخذها مركزاً لأتباعه من طلاب العلم – إلى مناطق السودان المختلفة، واستطاع المهدي الطواف بأجزاء السودان المختلفة من دنقلا شمالاً وحتى سنار جنوباً، ومن النيل الأزرق حتى كردفان غرباً، وبعد هذا التطواف تأكد لمحمد أحمد مدى كراهية السكان للحكم التركي، والرغبة الكامنة في التخلص منه.[٥٧]

بعد جولته في أقاليم السودان المختلفة، رجع محمد أحمد إلى الجزيرة أبا، حيث شد الرحال منها إلى الحلاوين بوسط السودان في إقليم الجزيرة، وهنالك التقى بعبد الله بن محمد والذي عُرف فيما بعد بالخليفة عبد الله التعايشي وعادا معاً إلى الجزيرة أبا، ومنها طلب الخليفة عبد الله من محمد أحمد المهدي الخروج نحو الغرب، والهدف من ذلك معرفة مدى قابلية المنطقة للثورة. ومروا بإخوة الخليفة عبد الله في دار الجمع وبايعهم ثم ذهب إلى الأبيض وعرض دعوته سراً على أخص مشايخها وأعيانها، ومن الأبيض مرّ بجبال تقلي، وقدم الدعوة إلى المك آدم أم دبالو[٥٨*]، ورجع بعد هذه الرحلة

٥٧ نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، دار عزة للطباعة والنشر، الخرطوم، ٢٠٠٧م، ص٦٤٣.

٥٨ * المك آدم أم دبالو، هو ملك تقلي تولى الحكم حوالي ١٨٦٤م، انتعشت أحوال المملكة في عهده، كانت علاقته جافة مع الحكومة التركية، وكان شديد التحدي لها، وفي عام ١٨٨١م دخل المهدي ديار المك آدم فأذن له بالدخول وقد اعترض على الاشتراك مع المهدي ضد الحكومة في بادئ الأمر ولكنه استجاب بعد ذلك للقتال في صفوف المهدي. أنظر عبد الله محمد أحمد، جهاد في سبيل الله، المطبعة الحكومية، الخرطوم (ب.ت)، ص.٢١٧–٢١٨.

إلى الجزيرة أبا،وتأكد للمهدي بعد هذه الرحلة أنّ منطقة جبال تقلي هي المكان الأنسب للهجرة عندما يحين وقتها، وأنّ جبل قدير هو الجبل المنشود.[٥٩]

نلاحظ أنّ محمد أحمد المهدي والخليفة عبد الله قد تحركا إلى كردفان وفق خطة مدروسة، اعتمدت على مشاهدة المنطقة بنظرة الثائر وليس بنظرة الشخص العابد، ومعرفة جغرافية المنطقة، والعمل على إيجاد دعم وسند من أهالي وأعيان وزعماء المنطقة، والاستفادة من الموقع الاستراتيجي لكردفان، إذا ما هاجمت الحكومة الثوار مستقبلاً. ونرى أنّ اختيار المهدي والخليفة عبد الله لمنطقة كردفان تحديداً أو الغرب عموماً يرجع إلى عدد من الأسباب تمثلت في الدعم الشعبي المتوقع من أهالي وزعماء القبائل في المنطقة وهو الشيء الذي تحتاج إليه الثورة بصورة كبيرة، وهنالك صعوبة الوصول إلى كردفان من الخرطوم عندما تشرع الحكومة في الانقضاض على الثورة بالسرعة المطلوبة، وذلك بسبب الظروف المناخية التي صاحبت قيام الثورة – فصل الخريف – وتخلُّف وسائل النقل والمواصلات.

إعلان الثورة:

بعد أن رجع محمد أحمد المهدي إلى أبا اهتم بإعلان مهديته، ودعوة الناس سراً، وكتب في ٢٩ يونيو عام ١٨٨١م إلى أصحابه والأخصاء من الفقهاء والأعيان ورجال الدين والطرق الصوفية، وحثهم على الهجرة إليه في الجزيرة أبا، ولم يمضِ شهر حتى اجتمعت المجموعات المتناثرة حوله، وتمت مبايعته على الجهاد.[٦٠]

---

٥٩ نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، ....، ص٦٤٤.

٦٠ ب.م هولت، المهدية في السودان، ترجمة، جميل عبيد، دار الفكر العربي، بيروت،١٩٨٢م، ص٦١-٦٢.

نرى أنّ المهدي قد اعتمد على عدد من الخطوات المهمة في جمع الأتباع الجدد، وتمثلت في:

- **الهجرة:** وهي العنصر المهم في زيادة الأنصار الذين يعتبرون الوقود الحقيقي للمواجهات المحتملة ضد الحكومة.
- **الدعوة:** ونجد أنّ الدعوة قد فعلت مفعول السحر وسط أنصار المهدي ونتيجةً لهذه الدعوة تحركت المجموعات نحو أبا.
- **المبايعة على الجهاد:** اعتمد المهدي على البيعة لأنها الرابط الحقيقي بين المهدي وأنصاره وهي ملزمة للشخص المبايع، ولقد كانت البيعة على النفس والمال والجهاد وطاعة المهدي.
- **الشخصية القوية للمهدي:** تميز المهدي بشخصية قوية ومقدرة عالية على القيادة، الأمر الذي جعل منه قائداً ناجحاً.
- **المحبة والاقتناع:** وقد ظهر هذا الأمر في مجموعة الوافدين إلى أبا أو الذين التحقوا بالمهدي بعد ذلك.

ونرى أنّ هذه العناصر مجتمعة تُعد من العناصر المهمة لنجاح أي دعوة أو ثورة.

قام المهدي بإرسال المنشورات التي تبين دعوته إلى رجال الدين وبعض المشايخ ووقع بعض هذه المنشورات في يد الحكومة، حيث قامت بإرسال محمد بك أبو السعود إلى المهدي في أبا، وطلب أبو السعود من المهدي الذهاب معه إلى الخرطوم لأنّ الحكمدار قد طلب ذلك، فما كان من محمد أحمد المهدي إلا الرفض، عندها تحرك أبو السعود راجعاً إلى

الخرطوم وقام بإخبار رؤوف باشا حكمدار السودان بما كان من أمر المهدي في أبا.[٦١]

بعد هذا الحادث قررت الحكومة القضاء على المهدي في أبا، وقامت بإرسال أبو السعود مرةً أخرى مدعوماً بقوة عسكرية على متن باخرة نيلية ومزودة بمدفع للقضاء على المهدي الذي استطاع أن يجمع أتباعه من القبائل المجاورة من دغيم وكنانة والعمارنة، وهذه القبائل تعتبر النواة الأولى للقبائل التي دعمت المهدي في ثورته.[٦٢]

عرف المهدي بخبرته العسكرية بأنّ الحكومة سوف تسعى للقضاء عليه، ولذلك عمد إلى توضيح الأمر لأتباعه أو أنصاره، وللقبائل التي قدمت لمساندته، ووضعهم في قلب الأحداث حيث ذكر لهم أنّ الحكومة تسعى للقضاء عليه وأنّ أي شخص يخشى على نفسه وأولاده عليه الخروج من الجزيرة أبا، وإضافةً إلى ذلك فهو في حل من البيعة التي قطعها على نفسه، فكان ردهم: (... يا سيدي نحن بايعناك على الموت ورضينا بذلك ولا ترغب نفسنا عن نفسك بل نحن معك حيثما توجهت فأمر بما شئت فنحن لك سامعون ولأمرك مطيعون...).[٦٣]

ونستنتج مما سبق أن المهدي استطاع بخبرته وحنكته وميزاته القيادية توحيد صفوف أتباعه وحثهم على أهمية الاستعداد قبل لقاء خصمه الأمر الذي أدى لاحقاً إلى تحقيق انتصاراته المدوية.

---

٦١ نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، ....، ص٦٥٢-٦٥٣.

٦٢ عصمت حسن زلفو، كرري، تحليل عسكري لمعركة أم درمان، مطبعة التمدن، الخرطوم، ١٩٧٣م، ص٤٧-٤٨.

٦٣ نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، ....، ص٦٥٣.

قوات المهدي في أبا ١٢٩٨هـ /١٢ أغسطس ١٨٨١م:

اهتم المهدي بترتيب قواته، حيث استمدّ أسس تنظيمه الأول من الخلاوى والطرق الصوفية، وقد استفاد المهدي من الإرث الصوفي في تقسيم راياته حيث عمل على تقسيمهم إلى خمس رايات، وكتب على كل واحدة اسم ولي من أولياء الله الصالحين، وقسم جماعته إلى ٣٠مجموعة.(٦٤)

ولقد كانت نواة جيش المهدي، تتكون من مجموعة الرجال المسلحين بالعصي والسيوف والحراب، والروح المعنوية العالية، وأمّا القوات الحكومية التي حضرت للقضاء على المهدي في أبا، فقد كانت في حالة من الفوضى وعدم التنسيق، حيث تصرف ضباط كل من الفرقتين بمعزل عن الأخرى الشيء الذي جعلهم يضلون الطريق ليلاً مما ساعد المهدي في القضاء عليهم.(٦٥)

استفاد المهدي من التخبط الذي ساد وسط ضباط القوة التي حضرت للقضاء عليه في أبا، وكذلك لعبت الأمطار دوراً مهماً في إبطاء حركة قوات أبو السعود، واستغلّ المهدي عدم معرفتهم بجغرافية وتفاصيل المنطقة الشيء الذي ساعده في تحقيق نصر حاسم عليهم رغم قلة الأعداد التي قاتلت معه.

تعتبر معركة الجزيرة أبا من أهم المعارك التي خاضها المهدي وأتباعه، وذلك رغم الحجم العسكري البسيط للطرفين، لأنّ أبا تعني الكثير للمهدي وأتباعه حيث أنّ انتصارهم يعني استمرار وانطلاقة الحركة، وعكس ذلك

٦٤ عصمت زلفو، كرري، ....، ص٤٨.

٦٥ ب.م هولت، مرجع سابق، ص٦٣.

يعني نهاية حركة لم تولد، ووسط هذا الجو المشحون لم يكن هنالك خيار سوى النصر.[٦٦]

قوات المهدي بعد واقعة أبا:

بعد انتصار المهدي على قوات أبو السعود، تأكد له بأنّ الحكومة لن تغض الطرف عن الهزيمة التي منيت بها قواتها في أبا، فما كان منه إلا أن طلب من أنصاره الهجرة نحو قدير[٦٧*]، فعبروا النيل الأبيض بالمراكب التي معه إلى الصفة الغربية، ومعه النساء والأطفال والأمتعة.[٦٨]

التحرك نحو قدير:

لقد كان اختيار المهدي لتوقيت الهجرة، اختياراً دقيقاً وموفقاً، وينم عن فكر استراتيجي عال لدى المهدي، حيث كان توقيت الهجرة إلى قدير بعد الانتصار الذي تحقق على قوات أبو السعود في أبا وليس قبل المواجهة مع هذه القوات، وإن قدر للمهدي الهجرة قبل أبا فسوف يُنظر إليه وكأنه هارب ومطارد، ولكنه هاجر بعد انتصار حاسم على قوات أبو السعود.[٦٩]

وفي طريق هجرته استمر المهدي في دعوة الناس إليه، من مختلف القبائل حتى وصل جبل الجرادة وهو جبل حصين عليه ملك يسمى المختار الذي دخل في حرب مع المهدي، واستطاع المهدي أن ينتصر

---

٦٦ محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث،....، ص١٧٥-١٧٦.

٦٧ * قدير، هي المنطقة التي اختارها المهدي لكي تصبح دار هجرته بعد أبا، وهي تقع بجبال النوبة،انظر إبراهيم شحاتة حسن ،إمارة الإسلام المهدية في السودان، الدار القومية العربية للثقافة والنشر، بيروت، (ب،ت)، ص ٧٦.

٦٨ نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، ....، ص٦٥٥.

٦٩ عصمت حسن زلفو، كرري، ....، ص٤٩-٥٠.

عليه في ٢٤ أكتوبر عام ١٨٨١م وهو النصر الثاني للمهدي. وواصل المهدي تحركه حتى وصل جبل قدير في يوم الاثنين الموافق ٧ ذي الحجة عام ١٢٩٨هـ – ٣١ أكتوبر ١٨٨١م، حيث تم استقبالهم من قِبَل الملك ناصر ملك الجبل بكل الترحاب.[٧٠]

ساهمت الهجرة إلى قدير في إعطاء المهدي مهلة واسعة ،لكي ترتاح قواته المنهكة من السير المضني والشاق ويجعل من قدير نقطة انطلاقة جديدة، وأصبحت قدير دار هجرة المهدي وأتباعه، وكذلك المعسكر الجديد للوافدين من مناطق السودان المختلفة. وقد بلغ عدد أتباعه ٨٠٠٠ مقاتل[٧١].

القضاء على حملة راشد بك أيمن ١٢٩٨هـ /٩ ديسمبر ١٨٨١م:

وصلت الأخبار إلى راشد بك أيمن مدير فشودة بأنّ المهدي قد استقر في جبل قدير، وعلم بأنّ قوات المهدي تعاني من الإعياء والحمى الشيء الذي شجعه على الانقضاض عليه رغم رفض رؤوف باشا فكرة الهجوم. ومع ذلك تحرك راشد بك أيمن نحو قدير للقضاء على المهدي بمساعدة ١٠٠ من الشلك بالإضافة إلى قواته التي بلغت ٤٠٠ من العساكر.[٧٢]

ورغم أن راشد بك أيمن أحاط تحركه بالسرية التامة الأن رابحة الكنانية أبلغت المهدي بتحرك الجيش، فحشد قواته وأعد كمينا مكنه من إبادة الحملة بكاملها.[٧٣]

---

٧٠ نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، ....، ص٦٥٦-٦٥٧.

٧١ Wenqet, Mohdism and the Eqution & Sudan (London, ١٩٦٨), p. ١٧٥

٧٢ نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، ....، ص٦٥٧.

٧٣ ب.م هولت، مرجع سابق، ص٦٤.

بعد انتصار المهدي على قوات راشد، زاد المهاجرون إلى المهدي في قدير، وأصبحت الأعداد في اطّراد حتى أنهم قد تجاوزوا الآلاف، عندها شعر المهدي بأنّ الوقت قد حان لترتيب وتنظيم قواته، فأصدر منشوره الأول، والذي يختص بتنظيم الوحدات القتالية والقيادات[٧٤] تنظيماً قتالياً وإدارياً، وجاء في ذلك المنشور: (... ورأس ذلك الامتثال للأمير الذي هو مميز الحروب...) وقد أمضى المهدي الشهور التي تلت حملة راشد بك أيمن في تدريب وإعداد جنوده وذلك للإعداد للحملات التي سوف تحررها الحكومة للقضاء عليه، وانضمّ إلى المهدي في تلك الفترة أحد أعظم قادة المهدية حمدان أبو عنجة ومعه يونس الدكيم[٧٥*].[٧٦]

بعد الانتصارات التي حققها المهدي، ذاع صيته، وشعرت القبائل التي تناصب الحكومة العداء بأنّ الفرصة قد أصبحت مواتية لإعلان الثورة والانخراط في صفوف المهدي، فقام المهدي بتعيين مادبو زعيم والرزيقات[٧٧*] أميراً في جيش المهدية، وذلك لكي يقوم الثورة ضد الحكومة في إقليم دارفور، وفي كردفان تم تنصيب المكي ود إبراهيم أميراً للحَمَر [٧٨*]

٧٤ حاتم الصديق محمد أحمد، دور الأمير يعقوب في المهدية (١٨٨١-١٨٩٨م)، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص٣٠.

٧٥ * أنظر ملحق رقم (٥).

٧٦ عصمت حسن زلفو، كرري، .....، ص٥١.

٧٧ * الرزيقات، يعد الرزيقات من أكبر قبائل دارفور من ناحية الثروة والنفوذ، ويقطنون في أقصى الجنوب الشرقي من إقليم دارفور ما بين الحَمَر والهبانية والدينكا جنوباً، يمتازون بالنزعة الحربية ووفرة الخيل، يمارسون حرفتي الرعي والزراعة، ويتحركون في فصل الجفاف إلى منطقة بحر العرب، ويعد الرزيقات من أكثر قبائل البقارة اتصالاً بالدينكا، ينقسم الرزيقات إلى ثلاثة أقسام هي الماهرية والمحامد والنوايبة. أنظر محمد عوض محمد، السودان الشمالي، سكانه وقبائله، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٥٦م، ص٢٣٨.

٧٨ * الحَمَر، يسكن الحمر في الجنوب الغربي من كردفان، ويتصلون بقبائل الدينكا والمسيرية الذين يقطنون إلى الشمال الشرقي من مناطقهم، يحترفون الرعي ويتحركون في فصل الصيف شمالاً، أمّا في فصل

وعبد الصمد أبو صفية أميراً على البديرية والنواى للحوازمة[79]*.[80]

دل اختيار المهدي لهذه القيادات المعادية أصلا للحكومة على نظرته الإستراتيجية البعيدة ،التي استفاد منها في إعلان الثورة في عدة أماكن وفى توقيت واحد لإضعاف الحكومة والاستيلاء على الأبيض.

حملة الشلالي ٢٩ مايو ١٨٨٢م:

بعد هزيمة راشد قامت الحكومة بتعزيز قوات الشلالي[81]* في الكوة على النيل الأبيض واهتم جقلر باشا بدعم الحملة بقوات من كردفان وسنار ،وعندما كانت الحملة في الكوة فر منها عدد كبير من الجنود ،وعن أعداد الحملة كتب المصور الألماني كارل بيرغوف الذي عينته الحكومة مفتشا في فشودة ،رسالة إلى احد أصدقائه في الإسكندرية جاء فيها أن القوة التي تجمعت في الكوة تقدر بألفي جندي من الجنود النظاميين وغير النظاميين وهم في انتظار الدعم من سنار وكردفان وسوف تشكل القوة من ثلاثة آلاف مقاتل و٥٠٠ من الخيالة و٦٠٠ على الجمال وسوف يتم تجهيزها بعد شهر تحت قيادة الشلالى[82]. تحرك الشلالى في شهر مايو بقوة تقدر بـ٦٠٠٠ جندي متوجها نحو قدير ،وتوقفت قواته في جبل فنقر[83] وهنالك قدم إلية أربعة من جواسيس المهدي قبض عليهم بواسطة

الشتاء فهم يتحركون نحو الجنوب. أنظر محمد عوض محمد، السودان الشمالي، ص٢٣٧.

٧٩ * الحوازمة، يوجدون في إقليم كردفان ما بين الدلنج وكاد قلي، وقد اختلطوا بالنوبة في منطقة جبال النوبة. أنظر محمد عوض محمد، المرجع نفسه، ص٢٣٧.

٨٠ إبراهيم شحاتة حسن، المرجع السابق، ص٧٧.

٨١

٨٢ Ferqus Nicoll, the sword of the prophet.Sutton.publishinq ,(London,2009), p. 95.

٨٣ Wenqet, Mohdism and the Eqution & Sudan p. 54.

الموالين للحكومة ،فأقدم الشلالى على تقطيعهم ثم قتلهم، الأمر الذي أدى إلى نتائج عكسية وسط قواته،فقد أعجب الجنود ببسالة هؤلاء الأنصار وصبرهم على الموت ،وفى نفس الوقت تسلل الخوف إلى نفوسهم جراء هذا الموقف البطولي.

وفي ١٢٩٩هـ/ ٢٨ مايو ١٨٨٢م وصلت قوات الشلالي إلى جبل الجرادة ونزل في سفح الجبل وعمل على بناء زريبة مربعة من الشوك ووزع العسكر على جوانب الزريبة ودعمها بالمدافع وأبقى على المؤن والدواب والذخيرة في وسط الزريبة. وفي سنه١٢٩٩هـ/ الاثنين ٢٩ مايو ١٨٨٢م استدعى المهدي أصحاب الرايات وجعلهم أربعة فرق، وجعل لكل فرقة جهة من الزريبة، وقد بلغ أنصاره في ذلك الوقت ١٥ ألف، حيث استطاعوا اختراق الزريبة وتحقيق نصر باهر على قوات الشلالي الذي قُتل في هذه المعركة ومعه عبد الله محمد دفع الله وعبد الهادي صبر وطه الشايقي، وقُتل من قوات المهدي ٢٠٠ من الأنصار فيهم حامد أخ المهدي.[٨٤]

نلاحظ وبصورة واضحة ازدياد أعداد الأنصار الوافدين إلى المهدي في قدير، حيث كان أتباعه في أبا ما بين ٣٠٠ – ٣٥٠ وبعد الانتصار في أبا والتحرك نحو قدير ارتفع العدد إلى ٨٠٠٠ مقاتل، وهذا إن دلّ فإنه يدل على الثقة التي دخلت في نفوس الوافدين إلى المهدية والرغبة الكامنة في الوقوف معه والقتال في صفه ضد الحكومة. وبعد الانتصار على قوات راشد بك أيمن ارتفعت أعداد المقاتلين إلى ١٥ ألف مقاتل،

---

٨٤ Ferqus Nicoll op.cit. p.196-197.

ونجد أنّ هذه الأعداد قد ساهمت بصورة واضحة في القضاء على قوات الشلالي بالإضافة إلى الخبرة العسكرية لدى المهدي.

بعد القضاء على الشلالي تحققت للمهدي عدد من النجاحات تمثلت في:

- السيطرة على كميات من الغنائم التي استطاع أن يستولى عليها من قوات الحكومة.
- تمكن المهدي من توجيه ضربات متتالية للحكومة وجيشها، الشيء الذي أضعف من الحكومة ورفع من مكانة المهدي في نفوس السودانيين.[٨٥]

العناصر التي تكون منها جيش المهدي:

تكون جيش المهدي من العناصر المتطوعة، والتي لا تتقاضى رواتب أو أجر منتظم أو تعيينات سوى الغنائم والتي يتم توزيعها عليهم. وبالإضافة إلى هذه العناصر هنالك مجموعة أخرى هاجرت إلى المهدي ومعها أموالها وأبقارها.[٨٦]

يرجع الفضل إلى محمد أحمد المهدي في تكوين جيش نظامي حديث في تاريخ السودان الحديث.[٨٧] حيث اتجه المهدي بعد واقعة الشلالي إلى التعديل في أنظمة جيشه، حيث أمر بأن يقتصر لفظ الخليفة على قادة الرايات أمثال الخليفة عبد الله بن محمد والخليفة علي ود حلو والخليفة محمد شريف، وأبطل استعمال اللفظ على غيرهم، واستعمل لفظ

٨٥ ب.م هولت، مرجع سابق، ص٦٦.

٨٦ عصمت حسن زلفو، شيكان، تحليل عسكري لحملة الجنرال هكس، شركة كرري للطباعة والنشر والتوزيع المحدودة، المطبعة العسكرية سابقاً، امدرمان، ط٢، ١٩٨٤م، ص٣٦-٣٧.

٨٧ محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث،....، ص٢٤٥.

أمير بدل خليفة على القادة الصغار، والصغار هنا هم الأقل مكانةً من الخلفاء الثلاثة. وأصبحت من مهام الخليفة في النظام الجديد قيادة الراية، وكان المهدي القائد الأعلى للجيش، وهو رأس التنظيم، ويليه في التنظيم أخوه محمد عبد الله[٨٨]* الذي تولى القيادة العامة للجيش، وجميع الخلفاء مسئولين أمامه.[٨٩]

مما سبق يتضح أن لشقيق المهدي محمد بن عبد الله مكانة كبيرة في الفترة من أبا وحتى الهجوم الأول على الأبيض الذي استشهد فيه، وهذه المكانة بالطبع أكبر من مكانة الخلفاء، حيث نجدهم مسئولين أمامه في جميع الأمور . ونرى أنّ وفاته قد عجلت وبصورة كبيرة انتقال سلطته إلى الخليفة عبد الله بن محمد تور شين وقد خدمته الظروف في أن يصبح في مكانة محمد عبد الله أخ المهدي.

الرايات في عهد المهدي:

شكلت الرايات النواة الأساسية للجيش في عهد المهدي، حيث تكون الجيش من رايات المقاتلين من القبائل المختلفة وقوات الجهادية. وقد كانت الرايات في عهد المهدي خمس رايات وهي البيضاء راية المهدي تحت قيادة محمد عبد الله شقيق المهدي، والراية الزرقاء راية الخليفة عبد الله، والراية الخضراء راية الخليفة علي ود حلو، والراية الحمراء راية الخليفة محمد شريف، والراية الصفراء والتي عُرضت على السنوسي فرفضها[٩٠]

---

٨٨ * محمد عبد الله هو أخ المهدي، استشهد في الهجوم الأول على الأبيض، وكان يلقب بأمير جيش المهدية. أنظر إبراهيم فوزي، السودان بين يدي غردون كتشنر، ج١، مطبعة المؤيد،القاهرة، ١٣١٩هـ، ص٩٨.

٨٩ محمد إبراهيم أبو سليم، مفهوم الخلافة وولاية العهد في المهدية، (ب.ت)، ص٢.

٩٠ محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث، .....، ص٢٤٦.

وكان يقاتل تحت لوائها المنا إسماعيل[91]*، وقد أُضيفت هذه الراية بعد مقتله إلى الراية الزرقاء.(92)

على عكس الاعتقاد السائد لدى الكثيرين فان رايات المهدي في مراحلها الأولى لم تكن قاصرة على الرايات المعروفة الزرقاء و الحمراء و الخضراء، بل هنالك رايتان هما الراية البيضاء و الصفراء،فالراية البيضاء كانت بقيادة محمد بن عبدا لله شقيق المهدي، والراية الصفراء بقيادة المنا ود إسماعيل حتى مقتله على يد المهدي. وقد حاول بعض المؤرخين أن يقولوا أنّ الراية الصفراء هي نفسها الراية الحمراء، ونجد أنّ هذا التفسير خاطئ وذلك للآتي:

- الراية الحمراء هي راية الخليفة محمد شريف وهي من أوائل رايات المهدية.
- الراية الصفراء هي راية الخليفة الثالث وقد عُرضت على السنوسي في ليبيا وقد قام برفض الخلافة والراية معاً عندما عرضها عليه المهدي ثم الخليفة من بعده.
- الراية الصفراء كانت إحدى رايات المهدي والمقاتلة في ميدان القتال تحت قيادة المنا إسماعيل،لذلك نجد أنّ الراية الصفراء هي راية منفصلة عن

91 * المنا إسماعيل، من أوائل الذين بايعوا المهدي على الجهاد في كردفان وهو شيخ قبيلة الجوامعة. ساهم المنا إسماعيل بصورة مباشرة في حصار وتحرير العيارة في ٦ أغسطس ١٨٨٢م، وعند حصار الأبيض طلب منه المهدي الحضور إليه للمساهمة في حصار المدينة، ويرجع إليه الفضل في السيطرة على مدينة بارا، وبعد تحرير الأبيض قُتل المنا بواسطة المهدي وذلك للمناقشة التي حصلت بينه والخليفة عبد الله. انظر يوسف ميخائيل ،مصدر سابق ،ص٥٩.

92 محمد إبراهيم أبو سليم، مفهوم الخلافة وولاية العهد في المهدية، .....، ص٣.

الراية الحمراء حتى تحرير الأبيض ومقتل المنا ود إسماعيل.

بعد تحرير الأبيض أصبحت الرايات الأساسية في جيش المهدي ثلاثة رايات وهي الراية الزرقاء والتي يقاتل تحت لوائها أبناء الغرب وهي راية الخليفة عبد الله ويقودها الأمير يعقوب بن محمد أخ الخليفة عبد الله التعايشي، ثم الراية الخضراء والتي تضم قبائل السودان الأوسط ويقودها الخليفة علي ود حلو ويقودها الأمير موسى ود حلو، ثم الراية الحمراء ويقودها الخليفة محمد شريف ابن عم المهدي وهي راية قبائل الشمال،وأمّا عثمان دقنة في شرق السودان فقد كوّن جيشاً مستقلاً ولم يطلق على جيشه صفة راية.[٩٣]

ورد في بعض المصادر بان الأمير عبد الرحمن النجومي كان وكيل الراية البيضاء، ولربما كان النجومي في أول الأمر وكيلاً لهذه الراية وذلك لأنها قد كانت الراية المركزية قبل استشهاد محمد عبد الله وهي راية القيادة العامة، ولمكانة النجومي عند المهدي الشيء الذي يؤهله لشغل هذا المنصب. وهناك شيء آخر وهو أنّ أتباع الرايتين البيضاء والحمراء هم من قبائل الشمال والأشراف أو أبناء النيل، ومن الممكن أن نرجح قول إبراهيم فوزي إذا علمنا بأنّ الراية البيضاء قد تم دمجها في الراية الحمراء من ناحية الأتباع.

أسلوب الهجرة في دعم قوات المهدي:

اعتمد المهدي على الهجرة في المقام الأول كأساس لتكوين جيشه، وقد قدّم الدعوة لمعظم القبائل وحثهم على الهجرة إليه، وتمثل ذلك في الهجرة إليه في أبا وفي قدير، والمجموعات التي التحقت بهي في الأبيض، وبذلك

٩٣ محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث، ....، ص٢٤٦.

تكون المجموعات التي هاجرت إليه هي العمود الفقري للجيش.[٩٤]

لقد كانت هنالك حركة هجرة ضخمة بعد كل انتصار يحققه المهدي ،وأيضا كانت هنالك هجرات جماعية رجالاً ونساءً وأطفالاً، ووضحت هذه الهجرة عند الذين امنوا بأن محمد احمد المهدي ،هو المهدي المنتظر ولذلك هاجروا إلية بكل أسرهم.[٩٥]

إن ظاهرة الهجرة بالنساء والأطفال، قد أصبحت ملازمة لجيوش المهدية حتى بعد وفاة المهدي ،وما يبرر ذلك ألمده التي تقضيها القوات المقاتلة في مناطق الحرب أو الثغور.

دور التجار في دعم المهدي:

هنالك عنصر مهم ساهم في إشعال الثورة في المناطق التي يتواجدون بها وهذا العنصر هو التجار وبالأخص تجار الرقيق، وقد طُردت هذه المجموعات من قِبَل الحكم التركي منذ العام ١٨٦٥م. ويعد التجار الشماليون الدعامة الحقيقية لأي ثورة تنشب في السودان ضد الحكم التركي، ورغم أنهم قليلو العدد لكنّهم القادةُ الفعليين للثورة في مناطقهم ومناطق نفوذهم، وقد ساندهم جنودهم البازنقر في تلك الثورات).[٩٦]

---

٩٤ ب.م هولت، مرجع سابق، ص٤٧.

٩٥ الدراسات السودانية،مجلة نصف شهرية ،يصدرها معهد الدراسات الإفريقية والأسيوية،شعبة أبحاث السودان سابقا،جامعة الخرطوم،العدد الأول،مج٤، ١٩٧٣،ص١٤١

٩٦ عصمت حسن زلفو،شيكان،....، ص٥٥.

القيادة عند المهدي:

تشكلت القيادة عند المهدي على أساس المكانة الروحية والمؤهلات الشخصية، فالخليفة عبد الله من الغرب، وقائد قوات المهدية الأمير عبد الرحمن النجومي من الشمال ومن بربر الشيخ محمد الخير، وقوات الثورة من شتى بقاع السودان. (٩٧)

زي قوات المهدي:

كان زي قوات المهدي فيه شيء من الزهد، حيث تمثَّل في الجبة٩٨* ذات الرُّقَع التي ترمز نفسها إلى الزهد والتقشف، بالإضافة إلى العمامة البيضاء التي ينزل أحد طرفيها إلى الكتف ،وحزام وحذاء ،وقد امتدح المهدي هذا الزى ،الذي أصبح الزى الرسمي للمهدية، والرقع أضحت ترمز إلى مكانة أصحابها أو مراكزهم.(٩٩)

تحرك المهدي نحو الأبيض:

بقي المهدي في قدير شهري رجب وشعبان من عام ١٢٩٩هـ/١٨٨٢م، ثم خرج في اليوم الثاني عشر من رمضان الموافق يوليو عام١٨٨٢م إلى جهة لم يذكرها وفضل أن يخفيها حتى وصل جبل الجرادة، وبعد أن وصل هذا الجبل أخبر أصحابه بأنّ وجهته كردفان. وعندما وصل أم عردة أرسل المهدي مائتي فارس إلى سكان الأبيض ينذرهم، وعرض عليهم الأمان شريطة أن يأتوه مبايعين.(١٠٠)

---

٩٧ الخرطوم (مجلة)عدد يونيو،١٩٧٢، دار الصحافة للنشر،الخرطوم ،ص٥٢.

٩٨ * أنظر ملحق رقم (١).

٩٩ ب.م هولت، مرجع سابق ،ص١٣٣.

١٠٠ عبد المحمود ابوشامة، من أبا إلى تسلهاي، المطبعة العسكرية،أم درمان،١٩٨٧،ص٤٠.

لقد أخفى المهدي وجهته التي يقصدها وذلك بعد أن تحرك من قدير، وقد وفق في ذلك وذلك لأهمية مدينة الابيض بالنسبة لكردفان وبالنسبة للسودان لذلك سعى وفي سرية تامة للسيطرة عليها.

ولقد اقتدى المهدي بالرسول صلى الله عليه وسلم في إخفاء أمر تحركه نحو الأبيض، وذلك عندما تحرك الرسول صلى الله عليه وسلم لفتح مكة، وقد أخفى الرسول صلى الله عليه وسلم أمر الجيش المتحرك لفتح مكة وذلك لأنه يرغب في فتح مكة دون قتال، وقد أخفى الغرض من حشد قوته.(١٠١)

عندما كان المهدي في طريقه نحو الأبيض التحق به عبد اللهود النور[١٠٢*]، ومن منطقة كآبة أرسل المهدي رسولين إلى حاكم الأبيض محمد سعيد (جراب الفول) وأعيان المدينة يطلب منهم الاستسلام، غير أنّ محمد سعيد أقدم على قتل الرسولين اللذين أظهرا شجاعة فائقة في استقبال الموت.(١٠٣)

عندما بلغت أخبار زحف المهدي نحو الأبيض فضّل الكثير من السكان الخروج منها وموالاة المهدي، بينما بقي بعضهم في داخل المدينة، وأمّا التجار فقد عمدوا إلى إخفاء المؤن والأغذية، رغبةً في ارتفاع أسعارها.

لقد كانت فكرة الخروج لمبايعة المهدي والانضمام إليه قد تبناها عدد

---

١٠١ محمد محمد البيلي يونس، الاستخبارات في غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم، مكتبة السند، الكويت، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص١٥٩-١٦٠.

١٠٢ * عبد الله ود النور، أحد أمراء المهدية من قبيلة العركيين ،وقد شارك في حصار البركة عام ١٨٨٢م وحصار الأبيض، وقد قُتل في حصار مدينة الخرطوم سنة ١٨٨٥م وهو شقيق الأمير مكين ود النور الذي استشهد في معركة توشكى ١٨٨٩م. -Hill, R, Bioqraphical, Dietianary of the Anqlo .Equptin Sudan. P.7

١٠٣ محمد سعيد القدال، الإمام محمد بن عبد الله، ١٨٤٤-١٨٨٥م، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٤م، ص١٢٣.

من الأعيان على رأسهم اليأس باشا أم برير، وعبد الرحمن بانقا، وحمد المكي إسماعيل، وخالد أحمد العمرابي، وود العريق.[١٠٤]

يمكننا القول بأنّ هنالك عوامل ساهمت في الضغط على المدينة والحامية الموجودة بداخلها، ومن هذه العوامل:

أولاً: إقدام محمد سعيد (جراب الفول) على قتل الرسولين اللذين أرسلهما المهدي وقد قابل الرسولان الموتَ بكل صبر، الشيء الذي أدخل الخوف في نفوس معظم الحاضرين.

ثانياً: مناصرة الأعيان والتجار للمهدي ووقوفهم في صف المهدي ومساندتهم له.

ثالثاً: إخفاء المؤن والأغذية من قِبَل التجار، الشيء الذي عجّل بظهور مجاعة في المدينة المنهكة.

---

١٠٤ حاتم الصديق محمد أحمد، مرجع سابق، ص٣٣.

المكاسب التي تحققت للمهدي بعد السيطرة على الأبيض ١٣٠٠هـ/ يناير ١٨٨٣م:

هنالك عدد من المكاسب التي جناها المهدي بعد السيطرة على الأبيض، ومن هذه المكاسب، بسط سيطرته على كل من بارا وايارة وأسحف والسيطرة على الأبيض، التي كان بها الكثير من الأموال والغنائم.[١٠٥]

قوات المهدي بعد تحرير الأبيض:

هنالك عدد من الخسائر التي لحقت بالمهدي في الهجوم الأول على الأبيض والذي سمي بهجوم الجمعة الأول، وقد خسر المهدي حوالي اثني عشر ألف مقاتل[١٠٦]، ويذكر أن الأعداد التى قتلت في الهجوم الأول، تبلغ عشرين ألف مقاتل، وقد أبيد ثلث القوة، ولكن رغم ذلك فقد انضمت إلى المهدي أعداد من القوات المصرية في الحاميات أو في المدن التي سيطرت عليها قوات المهدي بالإضافة إلى القوات السودانية.[١٠٧]

ويبدو أن المهدي قد استطاع امتصاص صدمة الخسارة الأولى، ونجده قد استفاد من القوات التي انضمت إليه سواء كانت القوات المصرية أو السودانية.

لقد كان ترتيب جيش المهدي في قدير يختلف عما أصبح عليه بعد تحرير الأبيض، حيث كان في قدير مقسم إلى ثلاث رايات والقيادة العامة لأخيه محمد عبد الله، وبعد أن سيطر على كردفان ازدادت قواته وأسند القيادة

١٠٥ حاتم الصديق محمد أحمد، مرجع سابق، ص٣٨.

١٠٦ إبراهيم فوزي، مصدر سابق، ج١، ص١١٠.

١٠٧ سيرجى سمرنوف، دولة المهدية من وجهة نظر مؤرخ سوفيتي، ترجمة هنري رياض، دار الجيل بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص١٥٠.

للخليفة عبد الله، وتم تعيين أحمد ود علي قاضياً بدل أحمد جبارة الذي قُتل في الهجوم على الأبيض.(١٠٨)

قوات الجهادية:

بعد أن تعرض المهدي إلى خسائر فادحة في الهجوم الأول على الأبيض ،قام بتشكيل قوات الجهادية تحت إمرة وقيادة قيادة حمدان أبو عنجة١٠٩*، واستطاعت هذه القوة بمساندة القوات الأخرى أو الرايات حصار وفتح المدينة التى كانت مستعصية على المهدي وقواته.(١١٠)

وبعد فتح الخرطوم ازدادت أعداد الرقيق في بيت المال عندها طلب احمد سليمان أمين بيت المال من المهدي الاستفادة من الرقيق لأن أعدادهم قد تضاعفت ولذلك طلب المهدي من الخليفة عبد الله التعايشي أن يقوم بتوزيعهم على الجيش،لكي يتم تدريبهم واستيعابهم في الجيش.(١١١)

---

١٠٨ إبراهيم فوزي، مصدر سابق، ج١، ص١٢٩.

١٠٩ * حمدان أبو عنجة، من قبيلة المنضلة وهم الرقيق المولدين في منطقة البقارة، عمل في جيش الزبير باشا وجيش ابنه سليمان ولكنه لم يسلم مع جيش سليمان ولم يفر مع رابح فضل الله وبقي في دار التعايشة حتى قبض عليه محمد خالد زقل مدير دارة وأطلق سراحه، ولما ظهر المهدي ذهب إلى المهدي وبايعه وأصبح ضمن قوات راية الخليفة عبد الله وأظهر مقدرة عسكرية عالية لذلك عينه المهدي أميراً على الجهادية، وبعد أن تولى الخليفة عبد الله السلطة بعث حمدان إلى جبال النوبة ثم شرق السودان وحارب الأحباش وحقق عدداً من الانتصارات عليهم، ونتيجةً لخلافه مع الأمير يعقوب حول أمور الدولة ولحسد بعض التعايشة، ورغبته في الدخول إلى الحبشة أقدم الأمير يعقوب على قتلة. Hill, R, Bioqraphical, Dietianary of the Anqlo-Equptin Sudan(London,١٨٩٣), p. ٤٧.

١١٠ حاتم الصديق محمد أحمد، مرجع سابق، ص٣٧.

١١١ د.و.م.خ/ مهدية ٤/١/٨ من أحمد سليمان إلى محمد أحمد المهدي، ٢٨ ربيع آخر ١٣٠٢هـ، ص١١.

حملة هكس:

طلبت بريطانيا من شريف باشا تجهيز حملة للقضاء على المهدي، على أن تكون بقيادة هكس باشا[١١٢*]، مع إمكانية دعمها بضباط بريطانيين.[١١٣]

بعد أن وصلت الأخبار إلى المهدي، عمل على إصدار المنشورات إلى أتباعه بحثهم على الجهاد، وخرج بمقاتليه خارج المدينة، وقد كانت القوات تعسكر في خارج المدينة يقضون الليل في معسكرهم ويعودون في الصباح إلى المدينة[١١٤].

تحرك هكس نحو المهدي في شيكان بجيش ضخم، وذلك لمواجهة قوات المهدي، حيث أنّ الأخبار التي وصلت لهكس باشا بأنّ قوات المهدي على درجة عالية من الكثافة العددية والأسلحة[١١٥].

ولقد انضم إلى المهدي بعد المعركة ودون تردد معظم الجنود المصريين والمتأثرين بالحركة العرابية وبالتالي استطاع المهدي وبعد القضاء على حملة هكس أن يضم أراضٍ جديدة وأنصاراً جدداً[١١٦].

---

١١٢ * هكس باشا، هو وليم هكس الكولونيل في الجيش البريطاني في الهند، انضم هكس إلى الجيش الهندي عام ٥٧-١٨٥٨م وشارك في حملة نيبير إلى الحبشة عام ١٨٦٨م وكان عمره في ذلك الوقت ٥٢ سنة، ويعتبر ضابطاً متميزاً، ولأنّ مجال الترقي أمامه كان ضعيفاً في الجيش الهندي بعد ضم شركة الهند الشرقية للجيش البريطاني وهو قد كان يعمل بها، نتيجةً لذلك فكر في الحصول على وظيفة أخرى تدر عليه دخلاً أوفر، وعندما عُرض عليه تولي قيادة أركان الجيش المصري في السودان لم يتردد، وهو قد تولى بعد عبد القادر حلمي. Robin Neillands. The Dervish wars (London, 2002). p.93-94.

١١٣ سيرجي سمرنوف، مرجع سابق، ص٤٣.

١١٤ إبراهيم فوزي ،مصدر سابق ،ج٢،ص١٤٥.

١١٥ عصمت حسن زلفو، شيكان،....، ص٨٦.

١١٦ سيرجي سمرنوف، مرجع سابق، ص٤٣.

بعد الإجهاز على حملة هكس اتجهت أنظار المهدي نحو الخرطوم بهدف السيطرة عليها، ولتأكيد ذلك بدأ المهدي في إجراء عدد من الاتصالات مع عدد من الأهالي ورجال الدين، وكتب إلى القبائل التي تسكن حول الخرطوم لدعمه، والمساهمة في إثارة حالة من الفوضى والقلاقل للحكومة[١١٧].

تمكن المهدي بعد فترة من حصار مدينة الخرطوم أن يسيطر عليها ودخل الأنصار المدينة، حيث كانت تسيطر عليهم مظاهر الفرح والسرور بالنصر الذي تحقق وأصبح المهدي الحاكم الفعلي للسودان، وبعد ثلاثة أيام من تحرير المدينة حضرت حملة الإنقاذ والتي كانت مكلفة بإنقاذ غردون، وعندما رأى أفراد الحملة الأنصار بالقرب من المقرن تأكد لهم بأنّ المدينة قد أصبحت في قبضة الأنصار وأنّ غردون قد قُتل[١١٨].

لم تستمر حياة المهدي طويلا بعد تحرير لخرطوم، وبعد خمسة شهور من تحرير المدينة وفي يوم الأربعاء ٤ رمضان ١٣٠٢هـ/ ٢ يونيو ١٨٨٥م أُصيب المهدي بحمى خبيثة تُعرف في السودان بـ (أب دم)، وفي يوم الجمعة ٦ رمضان أمر الخليفة فخطب وصلى بالناس الجمعة، واستمرت الحمى مع المهدي إلى يوم الاثنين ٩ رمضان ١٣٠٢هـ/٢٢ يونيو ١٨٨٥م حيث توفي في هذا اليوم بحضور خلفائه وأقاربه، وحُفر قبره في محل فراشه.[١١٩]

توفي المهدي بعد أن كوّن جيشاً على النظم الحديثة، رغم أنّ بدايته كانت تعتمد على الأتباع غير المسلحين في الجزيرة أبا حققوا بما يشبه

١١٧ ميمونة ميرغني حمزة، حصار وسقوط الخرطوم، دار النشر والترجمة، جامعة الخرطوم، ١٩٧٢م، ص٨٥-٨٧.

١١٨ يوسف ميخائيل، مذكرات يوسف، مصدر سابق، ص٤٩.

١١٩ حاتم الصديق محمد أحمد، مرجع سابق، ص٤٩.

المعجزة في انتصاراتهم ضد الحكومة وقواتها واستطاعوا أن يستولوا على أسلحتهم، وبعد أن هاجر المهدي إلى قدير وخلال إقامته فيها بدأ في تنظيم أتباعه بعد أن زادت أعدادهم، واستطاع من خلال هذه القوة أن يقضي على حملة راشد بك أيمن ثم الشلالي بعد أن بدأ يعدل في خططه العسكرية واعتمد على الحماس وخفة الحركة لدى أتباعه.

ثم تحرك نحو الأبيض وهو يراهن على حماس أتباعه وقدرتهم على المباغتة وعنصر السرعة، والدليل تركه للأسلحة النارية في قدير، وهو يفسر ذلك بأنها – أي الأسلحة النارية – ما هي إلا سلاح الكفار، ورجع المهدي واستخدم الأسلحة النارية بعد الهجوم الأول الفاشل على الأبيض.

وبعد تحرير المدينة وإدخال العناصر الزنجية في الجيش والاستيلاء على أعداد ضخمة من الأسلحة من كل من أبو السعود وحتى هكس استطاع المهدي أن يعد جيشاً منظماً وحديثاً استطاع به أن يحرر مدينة الخرطوم وأن يصبح الحاكم الفعلي للسودان.

المبحث الثاني
التدريب والتسليح في عهد الامام المهدي

سلاح قوات المهدي الذي واجه به قوات أبو السعود:

استخدم المهدي في قتاله ضد قوات أبو السعود السيوف والعصي والحراب، وقد واجهت هذه الأسلحة البسيطة السلاح الناري ورغم ذلك تحقق الانتصار لقوات المهدي.[١٢٠] لقد كان اعتماد المهدي على السلاح الأبيض والعصي اقتداءً بالرسول صلى الله عليه وسلم.[١٢١]

ويلاحظ أنّ المهدي ونتيجةً لشح الأسلحة النارية التي معه أو عدمها، اعتمد على العصي والحراب. والشيء الثاني المكاسب التي حققها بواسطة هذا السلاح وتفوقه على السلاح الناري، وهنالك أيضاً عدم وجود العناصر التي تجيد استخدام السلاح الناري إن وُجد، والاقتداء بالرسول الكريم، حيث أكد المهدي لأتباعه بأنّ الانتصارات التي تحققت على الكفار قد تحققت بالسلاح الأبيض مثل الحربة والسيف وقد أخبره الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه لا حاجة لقواته باستخدام السلاح الناري وأنه غير مفيد، وما يؤكد ذلك عدم فائدته لأصحابه، وأن لا يستخدموا السلاح الناري.

---

١٢٠ نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، ....، ص٦٥٤.

١٢١ (Ohrwalder.J. Ten years captivity in the Mahadist Camp (London,1893). p. 18.

جمع السلاح الناري من الأنصار:

توفرت للمهدي العديد من الأسلحة وذلك بعد الانتصارات التي حققها على أبو السعود وراشد بك أيمن والشلالي، وبقية المعارك التي قام بها أنصاره، ولأنّ الأنصار تركوا القتال بالسلاح الأبيض وأصبحوا يحبذون السلاح الناري، قرر المهدي جمع الأسلحة النارية منهم ومنعهم من استعمالها في القتال، وأوكل ذلك الأمر إلى الأمراء الذين استعانوا بالمقاديم في تنفيذ هذه المهمة، وأمر المهدي جميع الأنصار بأن لا يحتفظوا بأي نوع من السلاح حتى وإن كان صغيراً (...مع بذل همتكم في الاشتغال بالحراب الكبسية والسيوف البلدية وصرف العقول عن الأسلحة النارية...) رغم الغنائم الضخمة من الأسلحة والبنادق والمدافع والصواريخ إلا أنّ أوامر المهدي واضحة لذلك عمل على حفظها.(١٢٢)

استخدم بيت المال في قدير والأبيض لحفظ الأسلحة التي غنمها المهدي أو الأنصار، وتم حفظ الذخيرة والمهمات العسكرية كذلك.(١٢٣)

غنائم المهدي من الأسلحة:

بدأت غنائم المهدي من الأسلحة١٢٤* منذ أن حقق انتصاره على قوات أبو السعود في أبا، وعندما واجهت قواته قوات راشد بك استطاع المهدي أن يستولي على أسلحتهم، وقد عين أحمد الإمام الحلاوي أميناً على مخزن

---

١٢٢ د. و. م. خ/ مهدية ١/١/٨ من محمد أحمد المهدي إلى كافة الخلفاء والأمراء وأهل الرايات والأنصار، ١٣ جماد آخر ١٣٠٠هـ، ابريل ١٨٨٣م، ص٥.

١٢٣ عبد الله محمد أحمد حسن، مرجع سابق، ص٢٣.

١٢٤ * أنظر ملحق رقم (٢).

السلاح بعد واقعة راشد، وقد كان هناك بعض الذين يجيدون استخدام الأسلحة في قوات المهدي أمثال الضاوي وعلي وعويضة، ولقد قام المهدي بإعطاء الضاوي بندقية بدل الحربة التي كان يستعملها وذلك لمهارته.[١٢٥]

وبعد أن سيطر المهدي على الأبيض جمع الأسلحة الموجودة مع الحامية وأضاف إليها الأسلحة التي كانت في قدير واستُخدِمَتْ في تحرير المدينة بعد هجوم الجمعة. واجتمع عند المهدي من الأسلحة ومن جميع معاركه من أبا وحتى فتح الأبيض ١٦٤٠٠ بندقية و١٣ مدفع و٧ صواريخ وكميات من الذخيرة.[١٢٦]

وبعد تحرير مدينة الأبيض واجه المهدي قوات هكس باشا واستطاع أن يستولى على أسلحتهم التي اشتملت على الأسلحة والذخيرة والمدافع والمهمات العسكرية، وقد كتب المهدي إلى عثمان دقنة في شرق السودان يبلغه بخبر الغنائم والأسلحة التي استطاع أن يستولى عليها من قوات هكس باشا (... ولأنّ جميع مدافعهم وأسلحتهم بيدنا وهي شيء كثير جداً، وقد كان هلاك المذكورين في يوم الاثنين ٤ محرم سنة ١٣٠٤هـ /١٨٨٤م بجهة علوبة وعددهم كما قيل ستة وثلاثون ألفاً ...).[١٢٧]

غنائم المهدي من الفاشر:

كتب المهدي إلى ابن عمه محمد خالد زقل بأن يقسم الغنائم التي غنمها من الفاشر إلى ستة أقسام، وأمّا الأسلحة فلا تقسم، وأيضاً النساء

---

١٢٥ المرجع نفسه، ص٢٣.

١٢٦ نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان،....، ص٧٠٤.

١٢٧ المصدر نفسه، ص٧٢٥.

وقوات الجهادية، ولقد غنم محمد خالد زقل العديد من البنادق والمدافع من الفاشر.[١٢٨]

إن اهتمام المهدي بالسلاح الناري قد كان له ما يبرره وذلك لأنّ الحركة أو الثورةِ في أمسِّ الحاجة إلى كل طلقة وبندقية ومدفع، وقد ارتبط نجاحها باستخدام السلاح الناري.

غنائم المهدي من الخرطوم:

بعد تحرير مدينة الخرطوم وفي يوم الجمعة ١٣ ربيع الثاني ركب المهدي وخلفاؤه الباخرة الإسماعيلية وعبر من أم درمان إلى الخرطوم، وبعد أن صلى الجمعة تفقد سراي غردون ثم الترسانة الحربية ومصنع الذخيرة. وولّى خاله طه محمد الإشراف على الترسانة الحربية وأعاد تعميرها، وأوكل أمر الذخيرة للخليفة عبد الله، وأمر عبد الرحيم الطريفي بجمع العمال وتعبئة الذخيرة وإصلاح الأسلحة التي كانت في المخازن.[١٢٩]

اشتملت الأسلحة التي استولى عليها المهدي على مدفعين كروب وثلاثة مدافع متراليوز وعشرين مدفعاً جبلياً وستة آلاف بندقية رمنجتون جيدة وأربعة آلاف بندقية رمنجتون معطوبة، وعدد من البنادق ذات الطلقتين. أمّا الذخيرة فقد كانت عشرين قنبلة لمدفع الكروب، وقنابل المدافع الجبلية، وعشرين ألف صندوق من الذخيرة.[١٣٠]

وبفضل الانتصارات العسكرية تجمعت لدى المهدي كميات من

١٢٨ د. و. م. خ/ مهدية ٤/١/٨ من محمد أحمد المهدي إلى محمد خالد زقل، ٣ جماد أول ١٣٠١هـ، فبراير ١٨٨٤م، ص٨.

١٢٩ إبراهيم فوزي، مصدر سابق، ج٢، ص١٤.

١٣٠ المصدر نفسه ،ج٢، ص١٠.

الأسلحة المتنوعة ساهمت بشكل اساسى في فتح وتحرير الأبيض، وقد استثمر المهدي هذا السلاح في تحرير الخرطوم بعد ذلك.

تدريب قوات المهدي:

بعد أن وصل المهدي بقواته وأتباعه إلى جبال النوبة من الجزيرة أبا، دله أهل الجبال في منطقة تقلي على موقع حربي حصين وسط الجبال يُطلق عليه (بطن أمك) فتحرك إلى هناك وأقام معسكره بها وعمل على تدريب رجاله على السلاح الناري، وجمع المهدي بين التدريب والتعليم لأتباعه في هذا المعسكر.[١٣١]

واهتمّ المهدي أيضاً بتدريب قواته على القتال المشترك في شكل وحدات متماسكة بدلاً عن أسلوب القتال القبلي المعروف في ذلك الوقت.[١٣٢]

تدريب القادة في جيش المهدي:

عمل المهدي على إخضاع قواده وجنوده إلى برنامج تدريبي في غاية الصرامة، وقد كان القائد يمر بأربع مراحل قبل أن يتولى زمام القيادة. وتمثلت المراحل الأربعة في التدريب والمعاينة والاختيار والتعيين، وقد كان المهدي يشرف على التعيين والوظائف الإدارية والعسكرية العليا.[١٣٣]

ومما يدل على اهتمام المهدي بتدريب قادته أنه لم يكن صوفيا بل كان فوق

١٣١ صلاح محي الدين، مهر الدم، المعارك والمقاومة الوطنية منذ العام ١٨٨١م، مطبعة جامعة الخرطوم، (ب.ت)، ص٢٣-٢٤.

١٣٢ مجلة المتحف الحربي، إصدارة دورية متخصصة، العدد ٢٤، السنة الرابعة، ٢٠٠٤م، ص٦.

١٣٣ فضل الله علي فضل الله، العبور بالعودة إلى الجذور دراسة: السلوك التنظيمي للدولة المهدية، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤م، ص٩٥.

ذلك قائدا حربيا قديرا استطاع أن يمزج بين مواهبه وساحة الحرب[١٣٤].

العرضة عند المهدي:

كانت العرضة[١٣٥*] عند المهدي تتم لكل الجيش في يوم الجمعة من كل أسبوع. وطريقة العرضة أن يقف الجيش صفاً واحداً، متجهين نحو القبلة، كوقوفهم للصلاة، ويقف جنود الراية الزرقاء في أول الصف ثم إلى يسارهم جنود الراية الخضراء ثم جنود الراية الحمراء، ويقوم المهدي بالمرور عليهم راكباً جواداً، ويمر من أول الصف إلى آخره، وقد استمر هذا التقليد حتى وفاته.[١٣٦]

كان الاستعراض يستمر حتى تحت الظروف المناخية الصعبة مثل الأمطار والعواصف، ولقد أراد المهدي من العرضة أن يحافظ على الروح المعنوية والعسكرية لقواته.[١٣٧]

---

١٣٤ عبد الودود شلبي،الأصول الفكرية لحركة المهدي السوداني ودعوته، مكتبة الآدا،القاهرة، ٢٠٠١م، ص١٨٩.

١٣٥ * العرضة هي استعراض إمكانيات الجيش وقوته من حيث العدة والعتاد وإظهار القوة عند خروج الجيش للحرب، وتبدأ طريقة العرضة بدق النحاس بطرقة لها مدلولات معينة يتم بعدها اجتماع الجيش بطريقة منظمة. أنظر عصمت حسن زلفو، شيكان،....، ص١٥٥.

١٣٦ نعوم شقير جغرافيا وتاريخ السودان، ....،ص ٦٦٩.

١٣٧ Ohrwalder.j. Ten years captivity in the Mahadist Camp . p. 348.

المبحث الثالث

الخطط الحربية والاستخبارات في عهد الامام المهدي

الخطة التي وضعها المهدي لضرب قوات أبو السعود، اعتمدت على المباغتة رغم قلة أتباعه، وقد استطاعت قواته تنفيذ هذه الخطة المحكمة، الشيء الذي حقق له النجاح على قوات الحكومة.(١٣٨)

هجمت قوات المهدي على قوات أبو السعود، وقتلوا معظمهم، ويرجع الفضل لانتصار المهدي على قوات أبو السعود إلى الحضور الذهني للمهدي ولقدرته التنظيمية وتوزيع قواته إلى مجموعات استطاعت أن تحاصر قوات أبو السعود وتنتصر عليهم.(١٣٩)

خطة المهدي للقضاء على قوات راشد:

استقر المهدي في قدير بعد أن تحرك من الجزيرة أبا، وقد بلغت قوات المهدي في قدير ٨٠٠٠ مقاتل. وبعد أن وصلته أخبار تحرك راشد نحوه في قدير، تحرك المهدي بقواته إلى غابة بالقرب من جبل قدير، وهذه الغابة تعتبر الطريق الوحيد المفضي إلى الجبل، وبعد أن وصل المهدي عمل على صف راياته ووقف معهم وحثهم على الجهاد، واعتمد المهدي على السرعة التي تمتاز بها قواته والمفاجأة قبل أن تتشكل قوات راشد في شكل مربع.(١٤٠)

قاتل المهدي ضد قوات راشد بالطريقة الإسلامية، والتي تعتمد على

---

١٣٨ نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، .....، ص٦٥٤.

١٣٩ Wenqet, Mohdism and the Equption & Sudan, p. 52

١٤٠ نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، .....، ص٦٥٧.

القلب الذي يتشكل من الأنصار والمشاة، وأمّا الخيالة فقد كانوا في الجناحين لكي تطبق على العدو.[١٤١]

كان هجوم الأنصار على قوات راشد مفاجئاً، حتى أنّ قوات راشد المسلحة بالأسلحة النارية لم تتمكن من إطلاق صاروخ واحد.[١٤٢]

لجأ المهدي إلي أساليب الحرب الإسلامية من حيث استثمار عنصر المباغتة ومعرفته لنقاط القوة في جيشه، ونعتقد بأنّ المهدي عرف أنّ عنصر السرعة والحماس لدى قواته أفضل من السلاح الناري الموجود مع قوات راشد، واعتمد المهدي على بطء قوات راشد الشيء الذي أكده عدم سرعة تشكيلهم عندما هاجمتهم قوات المهدي.

التكتيك القتالي لقوات المهدي:

كان التكتيك القتالي للأنصار يعتمد على التحرك إلى الأمام نحو التكوينات الطبيعية حتى يتمكنوا من شن هجوم جماعي والالتحام المباشر والعنيف ومباغتة الخصم، ولقد امتاز الأنصار بالقتال الالتحامي، وهو سر انتصارات المهدي في المعارك الأولى، بالإضافة إلى ذلك الشجاعة التي تميزت بها قواته، عكس قوات الحكومة التي اتسمت بعدم ضبط النفس، حيث كانوا يهربون من أمام قوات المهدي في معظم المعارك.[١٤٣]

---

١٤١ عبد الودود شلبي، مرجع سابق، ص١٨٩.

١٤٢ سلاطين، السيف والنار في السودان، ترجمة محمد المصطفى حسن، دار عزة للطباعة والنشر، الخرطوم، ٢٠٠٨م، ص١٠٥.

١٤٣ Robin Neillands. The Dervish wars p. 92-93.

خطة المهدي للقضاء على قوات الشلالي:

بعد أن عسكرت قوات الشلالي بجبل الجرادة، وضع المهدي خطة محكمة استهدف بها الزريبة التي شيدها الشلالي، واعتمدت الخطة على اقتحام الزريبة بواسطة الأنصار من كل جهاتها. تحركت قوات المهدي نحو المعسكر وهدفها نسف هذا المعسكر، وكان الهجوم على قوات الشلالي في ١٢٩٩هـ فجر الاثنين ٢٨ مايو ١٨٨٢م، وقد كان الهجوم كاسحاً، قتل فيه معظم قوات الشلالي.[١٤٤]

اعتمد المهدي على الهجوم فجراً ووضح ذلك في جميع مواجهاته ضد قوات الحكومة، ونعتقد بأنّ المهدي قد وجد أنّ هذا التوقيت هو الأنسب لتحقيق النصر، وذلك لأنّ قواته تكون في هذا الوقت في كامل حضورها الذهني والبدني والعسكري، عكس قوات الحكومة.

وهناك ملاحظة أخرى وهي أنّ المهدي هو الذي يتابع ويترصد قوات الحكومة وليس العكس.

١٤٤ نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، ....، ص٦٥٥-٦٦٦.

أسلوب الحصار عند المهدي:

نجد أنّ تكتيك المهدي العسكري قد تحول من التكتيك الهجومي على قوات الحكومة إلى تكتيك من نوع آخر وهو الحصار، وقد تجلى هذا الأسلوب في حصار العيارة وبارا والأبيض والخرطوم.

حصار وتحرير العيارة ٦ أغسطس ١٨٨٢م:

استطاعت قوات المهدي أن تسيطر على أسحف وذلك تحت قيادة المنا إسماعيل وأبو القاسم صالح، وأحمد شنبول، واستطاع كذلك المنا إسماعيل أن يجمع القبائل المجاورة بالإضافة إلى قبيلة الجمع، وقد بلغ العدد الكلي لقواته عشرين ألف مقاتل، وتحرك بهم نحو العيارة وعندما وصل عمل على إنذار أهلها وسكانها من الأتراك الذين عملوا على تحصين المدينة بواسطة خندق تم حفره لحمايتها.[١٤٥]

شنت قوات المنا إسماعيل هجومين على المدينة، بعد أن رفض أهلها التسليم ولم يستطع اختراق الدفاعات ودخول المدينة، وفي الهجوم الثالث نجحت المحاولة، واستطاع دخول المدينة، وأعمل القتل في كل مكان، وعمل على قطع خط التلغراف الواصل بين الأبيض والخرطوم.[١٤٦]

ساهم سقوط العيارة في رفع الروح المعنوية للأنصار، وتم عزل كردفان عن المركز بعد أن تم قطع خط التلغراف الواصل بين الأبيض والخرطوم.

---

١٤٥ حاتم الصديق محمد أحمد، مرجع سابق، ص٣٤.

١٤٦ المرجع نفسه، ص٣٤.

حصار بارا ٦ يناير ١٨٨٣م:

تمت محاصرة المدينة بواسطة قوات الأنصار، وقد كانت القوات داخل المدينة تتكون من ٣٤٠ من قوات الحكومة تحت قيادة سرور أفندي والنور عنقرة[١٤٧*]، وأمّا قوات الأنصار فقد كانت تحت قيادة المنا إسماعيل والأمير رحمة ود منوفلي، وقد وجه المهدي قواده المحاصرين للمدينة بأن ينقضوا عليها ويقتلعوها من قوات الحكومة.[١٤٨]

شدد الأنصار الحصار على بارا، ونتيجةً لهذا الحصار خرج النور عنقرة وباغت قوات المنا إسماعيل وقتل منهم عدد من الأنصار واستطاع أن يستولى على عدد من الغنائم التي معهم، ثم رجع إلى داخل المدينة.

وبعد أن أحضر المهدي الأسلحة النارية من قدير للمساهمة في تحرير الأبيض، عمل على إرسال أعداد منها إلى القوات المحاصرة لبارا وذلك لكي تساهم في تحرير المدينة.[١٤٩]

---

١٤٧ * النور عنقرة من أصل دنقلاوي، التحق بالجيش المصري أو التركي كجندي، عمل مع موسى باشا حمدي عام ١٨٦٢م وتخلى عن الخدمة العسكرية مع الحكومة والتحق بخدمة الزبير باشا رحمة في بحر الغزال، فطن الزبير باشا لمؤهلاته الحربية فجعله رئيس أركان حربه في الحملة المتحركة لفتح دارفور في عام ١٨٧٤م، وبعد سفر الزبير إلى مصر تحول إلى خدمه ابنه سليمان، ثم تخلى عن سليمان وانضم للحكومة ومعه ٢٠٠٠ مقاتل الشيء الذي أفرح غردون ومنحه لقب بك وعينه مديراً على (اللادو) في عام ١٨٧٧م وفي عام ١٨٧٨م نُقل مديراً على (كبكابية) في غرب دارفور، وفي عام ١٨٨٠م تمكن من هزيمة السلطان هارون وقتله، وفي عام ١٨٨٢م كان قائد قوات الحكومة في حامية بارا التي حاصرها الأنصار، وفي يناير ١٨٨٣م سلمت الحامية وبايع المهدي فعينه أميراً وكان له دوراً مهماً في حياة المهدي والخليفة عبد الله من بعده. -Hill, R, Bioqraphical, Dietianary of the Anqlo-Equptin Sudan. p. 297..

١٤٨ نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، مصدر سابق، ص٦٩٦-٦٩٧.

١٤٩ المصدر نفسه، ص٦٩٧.

كان اهتمام المهدي بالمدينة واضحاً، وما يدل على ذلك توجيهاته للمنا إسماعيل والأمير رحمة ود منوفلي بالانقضاض على المدينة وفتحها، والشيء الثاني إرسال الأسلحة النارية إلى المنا إسماعيل من قِبَل المهدي الشيء الذي يؤكد بأنّ المهدي يطمح في السيطرة على المدينة بأسرع وقت ممكن.

ويمكن أن نقول بأنّ المهدي كان يرغب في تحرير المدينة القريبة من الأبيض وذلك لإدخال الخوف في نفوس سكان الأبيض، الشيء الذي سوف يساهم وبصورة كبيرة في السيطرة عليها.

بعد الدعم الحربي الذي أرسله المهدي للمنا إسماعيل، تم تشديد الحصار على المدينة، عندها تكوّن مجلس من الضباط والسناجق المحاصَرِين في داخل المدينة، واتفقوا على التسليم بشرط أن لا يتم للمنا إسماعيل، لخوفهم من أن يعمل على إساءة معاملتهم، وكتبوا للمهدي بهذا الأمر. قام المهدي بإرسال الأمير عبد الرحمن النجومي[١٥٠*] بقوة كبيرة، وتم استلام المدينة في ٢٥ صفر ١٣٠٠هـ/ ٦ يناير ١٨٨٣م. وعمل النجومي على إحضار جميع السكان إلى مدينة الجنذرة حيث قابلهم المهدي الذي أطلق ٢١ مدفعا ابتهاجاً بالنصر الحاسم.[(١٥١)]

---

١٥٠ * عبد الرحمن النجومي، ينتمي إلى قبيلة الجعليين، درس القرآن الكريم ودرسه للآخرين، انضم للمهدي في أبا ١٨٨١م، يعتبر من القواد البارزين، اشترك في معارك المهدي الهامة، حاز النجومي على إعجاب المهدي نتيجة الحنكة والموهبة التي ظهرت في شيكان وحصار الأبيض، وبعد حضوره من جبل الدائر ندبه المهدي لحصار الخرطوم وأن يكون أميراً على كل قوات المهدية، لعب دوراً مهماً في تحرير الخرطوم ومطاردة قوات الإنجليز والبقاء في المتمة متأهباً لغزو مصر. أنظر مجلة الدراسات السودانية، ع١، يونيو ١٩٧٣م، ص١٦٨-١٦٩.

١٥١ نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، ....، ص٦٩٧.

تقدم النور عنقرة وجمع الضباط وبايعوا المهدي، وقد كان لتسليم بارا الأثر الإيجابي في نفس المهدي لأنه اعتبره بمثابة تعويض عن الخسائر التي لحقت بقواته في هجوم الجمعة الفاشل على الأبيض. (١٥٢)

حصار الأبيض:

بعد أن فكر المهدي في حصار الأبيض وتحريرها أرسل إلى أتباعه القاطنين حول الخرطوم بهدف مناوشة الحكومة المركزية التي كانت تحت قيادة عبد القادر باشا١٥٣* وذلك لكي لا يستطيع مد العون لإقليم كردفان، وقد نجحت سياسة المهدي بصورة واضحة حيث انشغل عبد القادر باشا عن كردفان وأصبح يواجه الثورة في المناطق القريبة من الخرطوم.(١٥٤)

تحرك المهدي نحو الأبيض، ونتيجةً للتحصينات القوية، عمل على تشديد الحصار على المدينة بغرض انهيارها من الداخل، وذلك من خلال الجوع والخوف والمرض. وبعد أن نهش الجوع أجساد المحاصَرين اختار بعض السكان الاستسلام، وكان المهدي يطمع في الحصول على المدينة بأقل الخسائر.(١٥٥)

---

١٥٢ المصدر نفسه، ص٦٩٧.

١٥٣ * عبد القادر باشا، من أب مصري وأم سورية، تلقى تعليمه في أوربا، ثم التحق بالخدمة العسكرية، وفي عام ١٨٧٤م تمت ترقيته إلى لواء وفي عام ١٨٧٦م أصبح المسئول عن إنشاء السكة حديد ما بين حلفا ودنقلا، ثم رقي إلى رتبة فريق عام ١٨٧٨م ونقل ليكون مديراً على بورسعيد والسويس، ولما قويت شوكة الثورة المهدية، وثبت عجز رؤوف عن القضاء على المهدية تقرر أن يتولى عبد القادر باشا منصب الحاكم العام والقائد العام بالسودان، وفي فبراير ١٨٨٣م عندما وصل إلى الخرطوم شرع في تحصينها وإرسال الحملات إلى الجزيرة للقضاء على الثورة المهدية هناك، ولكن سرعان ما اختلف مع الحكومة المصرية حول حملة هكس، وكان من أنصار الخطة الدفاعية والكف عن مهاجمة المهدي في كردفان، ونتيجةً لذلك أعفي من منصبه ليخلفه علاء الدين باشا في فبراير ١٨٨٣م. أنظر عبد الله محمد أحمد حسن، مرجع سابق، ص٢٢١.

١٥٤ نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، .....، ص٧٠١-٧٠٣.

١٥٥ حاتم الصديق محمد أحمد، مرجع سابق، ص٣٦-٣٧.

ارتفعت نسبة الوفيات وسط السكان نتيجةً لتفشي مرض فقر الدم والدسنتاريا، وقد كانت حصيلة الموتى في اليوم وفي داخل المدينة ما بين ١٠–٢٠ شخص، وبعد أن اشتد الحصار أخذ السكان في التسلل إلى خارج المدينة، والالتحاق بمعسكر المهدي، وقد كان من أبرز مَن خرجوا إبراهيم ود عدلان[١٥٦*].[(١٥٧)]

كان رضوخ السكان للتسليم شيئاً قريباً، ولكن لم يتم التسليم، عندها صمم المهدي على مهاجمة المدينة، وأمر بإحضار الرايات، أمر كذلك بأن تدخل راية أخيه محمد عبد الله من القبلة ثم تتبعها بقية الرايات، وبعد صلاة صبح الجمعة تحركت القوات نحو المدينة.[(١٥٨)]

هجمت قوات الأنصار على المدينة، ولكن القوات المدافعة عنها استطاعت أن تصد الهجوم الكاسح الذي قُتل فيه ما بين ١٢–٢٠ ألف مقاتل من الأنصار، بعد هذا الهجوم الفاشل أو الهزيمة تراجع المهدي مع قواته إلى (كابا). وكانت فكرة بعض أتباع المهدي التحرك نحو دارفور، ومن أنصار هذا الرأي الخليفة عبد الله، وكان هنالك رأي مخالف لرأي الخليفة وهو التقدم نحو المدينة مرةً أخرى وصاحب هذا الرأي الياس باشا أم برير، وبعد التشاور مع أصحابه والتجار قرر المهدي مهاجمة المدينة مرةً أخرى، وعندما وصلها

---

١٥٦ * إبراهيم ود عدلان، كان تاجراً في العهد التركي، انضم للمهدي عند حصار الأبيض، عمل مع أحمد سليمان في بيت المال، أرسله المهدي لتنظيم بيت مال القضارف، اكتسب خبرة واسعة في إدارة المال، استطاع أن يكسب محبة الناس، دخل في صراع مع الأمير يعقوب أدى به في نهاية الأمر إلى دخول السجن والقتل. أنظر حاتم الصديق أحمد، مرجع سابق، ص٩١–٩٢.

١٥٧ إبراهيم فوزي، مصدر سابق ،ج٢، ص١٠٧.

١٥٨ حاتم الصديق محمد أحمد، مرجع سابق، ص٣٦–٣٧.

للمرة الثانية ضرب حولها حصاراً محكماً بعد أن أمر بإحضار الأسلحة من قدير، واستمر الحصار حتى مطلع سنة ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م.[١٥٩]

بعد فشل الهجوم الأول على الأبيض أصدر المهدي تعليماته المشددة بعدم الهجوم على أي مدينة عند بداية الحصار، وإنما عليهم الانتظار حتى تعمل المجاعة والأمراض على إنهاك سكان المدن المحاصرة، وبعد ذلك يتم الهجوم.[١٦٠]

وفي العام ١٨٨٣م أدخل المهدي إستراتيجية جديدة لكي تتناسب مع السلاح الناري، وقام بتشكيل مجلس حربي ظل في انعقاد دائم.[١٦١]

بعد إحضار السلاح الناري أصبح التفوق الواضح لقوات المهدي، وذلك بعد تكوين فرقة الجهادية السود تحت قيادة حمدان أبوعنجة، وقد ساهمت هذه القوة في تحرير المدينة بعد أن أضيف عدد منها إلى قوة الرايات، وفي سنة ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م استسلمت المدينة ودخلها المهدي دخول الفاتحين.[١٦٢]

كان التكتيك العسكري والحربي للمهدي يتغير من معركة إلى أخرى، حيث نجد بأنّ التكتيك في أبا يختلف عن التكتيك العسكري ضد قوات راشد والشلالي وكان المهدي يبادر بالهجوم، لذلك نعتقد بأنه قد حقق العديد من المكاسب التي كان في أشد الحاجة إليها.

ساهم السلاح الناري في تحرير الأبيض وبقية المدن المحاصرة الأخرى في كردفان. صاحَب استخدام السلاح الناري، إنشاء فرقة الجهادية التي أصبحت القوة الضاربة في جيش المهدي.

١٥٩ المرجع نفسه، ص٣٧-٣٨.

١٦٠ Wenqet,op.cit. p. 57.

١٦١ مجلة الخرطوم، مرجع سابق، ص٥٢.

١٦٢ محمد سعيد القدال، محمد أحمد بن عبد الله،....، ص١٢٣-١٢٥.

الخطة التي وضعها المهدي للقضاء على قوات هكس:

بعد السيطرة على الأبيض، وصلت الأخبار للمهدي بأنّ الحكومة قد أرسلت قوة عسكرية ضخمة للقضاء عليه في الأبيض، ولهذا وضع المهدي قوات هكس تحت المراقبة، وبعد أن تحركت قوات هكس من الدويم نقل المهدي جميع قواته من الأبيض إلى المنطقة الواقعة في شرق المدينة.(١٦٣)

التكتيكات التي استخدمها المهدي لضرب معنويات قوات هكس:

استخدم المهدي عدداً من التكتيكات لضرب معنويات العدو مستخدماً الطلائع لتنفيذ تلك المهام، منها الغارات المتكررة والهجوم على الأجنحة والكمائن والهجوم المفاجئ في المكان والزمان المناسب، وترحيل الأهالي من أمام الحملة، وتوزيع المنشورات التي تنادي بالتسليم.(١٦٤)

أناط الإمام المهدي مهمة مناوشة قوات هكس باشا للقائد أبو قرجة١٦٥* الذي تمكن من الالتحام بالقوات الغازية في منطقة العقيلة في سنه١٣٠١هـ/ ١١ أكتوبر ١٨٨٣م وأصبح ملازماً لها كالظل، وقد نجحت هذه القوة في مناوشة الحملة وقتل كل من يتحرك خارج نطاق المربع، لأنّ قوات هكس كانت تتحرك في شكل مربع، حتى دواب الحملة لم تستطع الرعي خارج المربع ومات العديد منها، ودخل الخوف في نفوس الجنود كلما توغلوا في داخل البلاد، واستمرت المناوشات حتى وصلت قوات هكس منهل الرهد في سنه ١٣٠١هـ/ ٢٠ أكتوبر عام ١٨٨٣م.(١٦٦)

---

١٦٣ نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، ....، ص٧١٩.

١٦٤ سيرجي سمرنوف، مرجع سابق، ص١٥٨.

١٦٥ * أنظر ملحق رقم (٣).

١٦٦ نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، ....، ص٧١٩.

اهتم المهدي بإعداد الرايات، وأوكل للراية الزرقاء مهمة الاقتحام ضمن قوة الاقتحام الرئيسية، وتحركت الرايات الثلاث تحت قيادة كل من الأمير عبد الرحمن النجومي والأمير يعقوب والأمير موسى ود حلو ومعهم جهادية حمدان أبوعنجة.[١٦٧]

استطاعت قوات المهدي أن تلتحم مع قوات هكس في غابة شيكان، وحققت عليهم نصراً حاسماً، بعد أن أبيدت جميع قوات الحملة وانكسر المربع الذي شكل قوات هكس.[١٦٨]

بعد القضاء على حملة هكس أخذ يستعد للتحرك نحو الخرطوم والسيطرة عليها، ولتأكيد ذلك بدأ في إجراء عدد من الاتصالات مع الأهالي ورجال الدين وهو يسعى بذلك إلى كسب أكبر عدد من الأتباع والمؤيدين، وكتب إلى رجال القبائل القاطنين حول الخرطوم وأمرهم بإثارة حالة من الفوضى وعدم الأمان وإثارة القلاقل و تحركت قوات المهدي تحت قيادته نحو الرهد بجيش كبير، ومن الرهد قام المهدي بإرسال الأمير عبد الرحمن النجومي على رأس جيش مسلح بالبنادق والمدافع، وأخرج المهدي جيشاً آخرَ مع النجومي تحت قيادة عبد الله ود النور هدفه عزل الخرطوم.[١٦٩]

اعتمد المهدي على عدد من أنصاره في تشديد الحصار على الخرطوم، وقد طبق نفس الأسلوب الذي طبقه في الأبيض، حيث اعتمد على العبيد ود بدر في حصار المدينة من الشرق، ومن الجنوب الفقيه مضوي، ومن جهة أم درمان

---

١٦٧ عصمت حسن زلفو، شيكان، ....، ص١٣٢.

١٦٨ المرجع نفسه، ص٢٠١.

١٦٩ حاتم الصديق محمد أحمد، مرجع سابق، ص٤١.

مصطفى الأمين ود أم حقين، ومن جهة النيل الأزرق محمد الطيب البصير الذي قام بمحاصرة قوات الشايقية والأتراك بالقرب من النيل الأزرق.[١٧٠]

وكذلك قام الشيخ أحمد ابوضفيرة وهو شيخ الجموعية بحصار المدينة من جهة أبو سعد، وأوكل المهدي لأبوقرجة مهمة الإشراف على جيش الجزيرة، واستطاع بالقوات التي معه ومساندة القبائل أن يسيطر على فداسي، ومنها تحرك نحو الخرطوم وعسكر بالجريف وبدأ في إعداد العمليات العسكرية نحو الخرطوم. وجدت قوات أبو قرجة بعض المقاومة من قوات غردون، ومُنِيَ كذلك ببعض الهزائم ولكن استمر في الهجوم على المدينة والضغط عليها.[١٧١]

تحرك المهدي بقواته من الرهد في ٢٢ أغسطس، وقد كانت قواته تسلك ثلاثة طرق مختلفة، الطريق الأول اتخذته القبائل التي تستخدم الجمال وهو الطريق الشمالي، أمّا الطريق الأوسط الذي يمر عبر العيارة وشركيلة والدويم فقد سلكه المهدي وخلفاؤه والأمراء، أمّا الطريق الجنوبي فقد سلكه البقارة والقبائل الأخرى صاحبة المواشي، وفي الطريق نحو الخرطوم لحق بالمهدي شيخه محمد شريف نور الدائم وكذلك لحق بهي أولفر باين الصحفي الفرنسي.[١٧٢]

نلاحظ التنسيق الواضح في حركة قوات المهدي وتحركها نحو الخرطوم، وهذا التنسيق قد وضح في سلك الطرق، ونعتقد بأنّ اختيار الطريق بالنسبة للقبائل التي ترعى الإبل قد تم بطريقة مدروسة لتوفر المرعى الصالح والذي يتناسب

---

١٧٠ د. و. م. خ/ مهدية ٤/١/٨ من محمد أحمد المهدي إلى محمد خالد زقل، ٤ الحجة ١٣٠١هـ، سبتمبر ١٨٨٤م، ص٦.

١٧١ حاتم الصديق محمد أحمد، مرجع سابق، ص٤٣.

١٧٢ محمد سعيد القدال، الإمام محمد أحمد المهدي، ....، ص١٣٣.

معهم. وكذلك بالنسبة للطريق الأوسط الذي تم اختياره للخلفاء والأمراء، نجد بأنّ هذا الطريق غير مزدحم بالقبائل المتحركة مع المهدي مما سهل الحركة بالنسبة لهم ولبقية الخلفاء والأمراء. أمّا الطريق الثالث فهو الطريق الذي تم اختياره لقبائل البقارة والقبائل التي لها مواشي، ونعتقد أنّ هذا الاختيار قد تم لوفرة المياه والعشب الذي يتناسب مع هذه المواشي.

حصار أم درمان:

استمر تقدم المهدي نحو الخرطوم حتى وصل أبو سِعِد، والتي مكث فيها ثلاثة أشهر ومنها بعث العديد من المنشورات إلى سكان الخرطوم، حيث فعلت هذه المنشورات مفعول السحر بين سكان المدينة المحاصرة، فلحق بعضهم بالمهدي وبايعوه، ثم بدأ في إرسال الرسائل إلى غردون باشا بلغت ثماني رسائل وملحقين.[١٧٣]

كلف المهدي حمدان أبوعنجة، بأن يقوم بحصار المدينة، وأن يعمل درعاً ترابياً ضد الرصاص، وحفر خندق يساعدهم على الاختباء.[١٧٤]

حصار وتحرير الخرطوم:

ضرب المهدي الحصار على المدينة لمدة ستة أيام، بعدها سلمت المدينة بعد أن استبسلت قوات الحكومة وحاربت بقوة، ولكن الشيء الذي أضعفهم عدم وصول المدد من الخرطوم، وبعد أن سلمت أم درمان أعطاهم المهدي الأمان، وأمر حمدان أبوعنجة جمع الأسلحة والأموال. بدأت علامات

١٧٣ حاتم الصديق محمد أحمد، مرجع سابق، ص١٣٤-١٣٥.

١٧٤ يوسف ميخائيل، مصدر سابق، ص١١٨.

السرور على المهدي بعد السيطرة على أم درمان، وأصبح يبشر الأنصار بفتح الخرطوم بعد أم درمان.(١٧٥)

ساهمت السيطرة على أم درمان في رفع الروح المعنوية للمهدي، الشيء الذي انعكس إيجاباً على قواته، وأصبحت السيطرة على أم درمان هي المفتاح الحقيقي للسيطرة على الخرطوم بعد ذلك، بعد أن ازداد الضغط على المدينة بفضل الخطة المحكمة التي وضعها المهدي لخنق المدينة.

بعد السيطرة على أم درمان، عمل المهدي على تشديد الحصار أكثر على الخرطوم، ولذلك طلب الخليفة عبد الله من محمد خالد زقل١٧٦* في الفاشر مد قوات المهدية بالأسلحة الموجودة معه، وقد حدد الخليفة عبد الله لمحمد خالد زقل سلاح الرمنجتون.(١٧٧)

وفي خطاب آخر بتاريخ ٢٠ صفر ١٣٠٢هـ/١٨٨٢م ألح الخليفة على محمد خالد زقل في طلب الأسلحة لأنّ تحرير المدينة يحتاج إلى المزيد من الأسلحة، ولأنّ الحصار مضروب من ثلاثة جهات ولحاجة القوات للبارود عليه أن يرسل بارود المدافع والجُلَل.(١٧٨)

---

١٧٥ المصدر نفسه، ص١١٨-١١٩.

١٧٦ * محمد خالد زقل، من كبار أمراء المهدية وهو ابن عم المهدي، بدأ حياته كتاجر ثم أصبح موظفاً في الحكومة التركية المصرية في دارفور، وذلك بعد أن تم فتحها، وتولى مدير (شكا)، وقد ساهم في قمع ثورة سليمان بن الزبير ضد الحكومة التركية، وفي عام ١٨٨٢م كان هو القائم بأعمال مديرية دارفور، منح لقب بك، وبعد أن تم تحرير الأبيض قام سلاطين بإرساله إلى الأبيض للاستطلاع ومعرفة أخبار المهدي، عاد زقل من المهدي أميراً على كل دارفور واستطاع أن يتسلم المديرية من سلاطين، تم =عزله من إقليم دارفور في عهد الخليفة عبد الله وأصبح ملازماً للخليفة في أم درمان ثم عين على الشمال، عاش حتى نهاية الدولة المهدية وذهب بعد سقوطها إلى دارفور حيث قتل هناك عام ١٩٠٣م. أنظر عبد الله محمد أحمد حسن، مرجع سابق، ص٢١٩.

١٧٧ مهدية ٢/١٠A/١ من الخليفة عبد الله إلى محمد خالد زقل، ٨ صفر ١٣٠٢هـ، نوفمبر ١٨٨٤م، ص٢٠٠.

١٧٨ مهدية ٢/١٠A/١ من الخليفة عبد الله إلى محمد خالد زقل، ٢٠ صفر ١٣٠٢هـ، نوفمبر ١٨٨٤م، ص٢٠٢.

وطلب الخليفة من محمد خالد أيضاً الاستعانة بالإبل واستئجارها من عرب دارفور.

وحدد الخليفة عبد الله حاجة القوات من الأسلحة لمحمد خالد زقل بأن لا تقل عن حمولة ألفين بعير، وهي الكميات التي طلبها المهدي.[١٧٩]

كان طلب الدعم العسكري والحربي من محمد خالد زقل تصرفاً عسكرياً مهماً وذلك لتشديد الحصار على المدينة المتهالكة، وإحضار المزيد من الأسلحة والذخيرة يعمل على رفع الروح المعنوية لقوات المهدية المتربصة بقوات غردون.

ونجد بأنّ الفاشر قد ساهمت بصورة كبيرة في مد قوات المهدية بالأسلحة وفي تحرير المدينة، وتسريع عملية نقل الأسلحة من دارفور إلى الخرطوم.

إضافةً للأسلحة والبارود التي طلبها الخليفة عبد الله من محمد خالد زقل، طلب منه إرسال أعداد من قوات البازنقر والجهادية، وذلك لدعم القوات المحاصِرة للمدينة (... عجِّلوا بإرسال جانباً من الجهادية وجانب من البازنقر بأسلحتهم الطرفين وجانب من الخيول ...).[١٨٠]

بعد أن وصلت أخبار هزيمة قوات المهدية في أبو طليح إلى المهدي، عقد مجلس حربي فيه الخلفاء وكبار الأنصار وأقاربه، طُرحت فكرة الانسحاب إلى كردفان، وجدت الفكرة في البداية بعض التأييد، وكان أكبر المعارضين لها محمد عبد الكريم خال المهدي، ونتيجةً لمعارضته قرر المجلس الهجوم

---

١٧٩ مهدية ٢/١٠٨/١ من الخليفة عبد الله إلى محمد خالد زقل، ٢٢ صفر ١٣٠٢هـ، نوفمبر ١٨٨٤م، ص٢٠٦.

١٨٠ د. و. م. خ/ مهدية ٢/١٠٨/١ من الخليفة عبد الله إلى محمد خالد زقل، ٢٨ ربيع أول ١٣٠١هـ، ديسمبر ١٨٨٣م، ص١٥٧.

قبل أن تصل قوات الإنقاذ، وما عزز فكرة الهجوم ما ورد على لسان بعض الهاربين من المدينة.[١٨١]

انهيار استحكامات الخرطوم:

كانت الخرطوم تحيط بها العديد من الاستحكامات، مثل الكلاكلة وبري، والقوات التي تم توزيعها على هذه الاستحكامات بلغ عددها خمس أورطات من الجنود و٢٥ أوردي من الباشبوزق والشايقية، وتم حفر خندق بين النيلين الأبيض والأزرق لحماية المدينة ووضعت عليه الأسلاك الشائكة والمسامير الحديدية (الضِريسَة)[١٨٢*]، وكان الهدف من وضع الضريسة والتحصينات أن تعيق الدخول إلى داخل المدينة، ولكن المهدي كان يعرف كل شيء وذلك عبر الذين فروا منها. في مساء الأحد جماد الأول ١٣٠٥هـ/ ٢٥ يناير ١٨٨٥م عَبَرَ المهدي النيل الأبيض إلى معسكر النجومي وتشاور معه في شأن الهجوم، استقر الرأي على أن يكون الهجوم في فجر الاثنين جماد الاول١٣٠٥هـ/ ٢٦ يناير ١٨٨٥م، وعند الفجر بدأ الهجوم على المدينة، واختار المهدي هذا التوقيت لكي لا تتمكن القوات الحكومية من إلحاق الخسائر بجنوده.[١٨٣]

كان النجومي صاحب قيادة الهجوم من جهة النيل الأبيض ومعه ٤٠ ألف مقاتل، واستطاع اختراق الدفاعات عبر فتحة صغيرة بين الاستحكامات،

١٨١ ب.م هولت، مرجع سابق، ص١٢١.

١٨٢ * الضريسة، هي عبارة عن قطع الحديد التي يتم تجميعها مع بعضها، وهي ذات رؤوس حادة استخمدمها غردون باشا للدفاع عن مدينة الخرطوم، حيث قام بغرسها في الطين لمنع الانصار من دخول الخرطوم، انظر حاتم الصديق محمد أحمد ،مرجع سابق، ص٤٨.

١٨٣ المرجع نفسه، ص٤٨.

وكان هناك ما يقارب ٢٠ ألف جندي منتشرين في مواجهة الدفاعات. وبعد وصول جيش النجومي بدأت القوات المواجِهة للاستحكامات في الهجوم، واستطاعت المجموعة الأولى من قوة الأنصار الوصول إلى مقر غردون وقتله وتحررت المدينة في وقت وجيز وكان ذلك في ٢٦ يناير ١٨٨٥م.[١٨٤]

نرى وبصورة واضحة أنّ معظم مواجهات المهدي ضد قوات الحكومة، قد اختار لها المهدي توقيتاً واحداً وهو الفجر، والدليل القضاء على قوات أبو السعود كان فجراً، وكذلك راشد والشلالي والهجوم على الخرطوم.

الأسرى عند المهدي:

كان هنالك العديد من الأسرى الذين وقعوا في قبضة المهدي، ومن هؤلاء لبتن بك، وغوستاف كلوتز، وأولفر باين وكوتسيه الإيطالي.

لبتن بك كان مديراً على بحر الغزال، وقد خلف موسى شوقي ووقع في الأسر عندما قبض عليه محمد كركساوي[١٨٥*]، حيث قام بإرساله إلى المهدي. قام لبتن بك بالكتابة إلى غردون باشا عندما كان محاصراً في الخرطوم، وقع الكتاب في يد المهدي الشيء الذي أدى إلى دخوله السجن، وبعد تحرير الخرطوم قام المهدي بإطلاق سراحه وقابل الخليفة عبد الله وأخبره بأنه يستطيع أن يحضِّر البارود، وفي أثناء أدائه لذلك توفي في عام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م.[١٨٦]

---

١٨٤ حاتم الصديق محمد احمد، مرجع سابق، ص٤٨.

١٨٥ * محمد كركساوي، دنقلاوي، شقيق كرم الله كركساوي، وفدا على المهدي عندما كان في الأبيض، أخبرا المهدي بأنهما قادران على نشر المهدية في شكا على النيل الأبيض وحفرة النحاس وبحر الغزال، كانت معهم قوة تسمى (الخطرية) ساهمت معهم في شم شكا وبعد ذلك استطاعوا ضم بحر الغزال وحفرة النحاس. أنظر إبراهيم فوزي، مصدر سابق، ج٢، ص٢٥٥-٢٥٦.

١٨٦ المصدر نفسه، ج٢، ص١٥١.

أمّا غوستاف كلوتز فهو مواطن ألماني كان يعمل مع البارون سكندروف وترك العمل معه عندما كان في شركيلة وانتقل للعمل مع أورد نوفان مراسل صحيفة الديلي نيوز، وعندما حضرت حملة هكس تحرك معها حتى وصلت الرهد، وهنالك هرب منها ووقع في قبضة أبو قرجة الذي قام بإرساله إلى المهدي في الأبيض، وعرض عليه المهدي الإسلام وأسلم وسُمي مصطفى.(١٨٧)

أمّا الأسير الثالث فهو أولفر باين الذي التحق بالمهدي عندما كان متحركاً نحو الخرطوم في المنطقة بين الرهد وشاة، وعندما وصل إلى معسكر المهدي قابله الخليفة عبد الله ثم سلاطين باشا الذي قال للخليفة بأنّ باين فرنسي ويعرض دعم فرنسا على المهدي في قتاله ضد قوات الحكومة التركية، وهذا الدعم ناتج عن الصراع البريطاني الفرنسي حول المنطقة ولكن المهدي قد رفض هذا الدعم، وبقي في الأسر حتى توفي بالحمى.(١٨٨)

كان عرض أولفر باين للمهدي عرضاً سخياً، وهذا العرض يندرج تحت التسابق الاستعماري الأوربي نحو القارة الأفريقية، أو التسابق ما بين بريطانيا وفرنسا نحو السودان.

ومن الأسرى كوتسيه الإيطالي الذي كان خادماً للمسيو ماركيه قنصل فرنسا في الخرطوم الذي قام بإرساله إلى بربر في تجارة، وعند مرور غردون ببربر عمل على أن يبقى كوتسيه في بربر وذلك لرفع التقارير عن الأحوال في بربر، وقام غردون بتسليمه الشفرة التي سوف يخاطب بها الوكالة البريطانية

١٨٧ Ohrwalder.j.op.cit . p. 90–94.

١٨٨ إبراهيم فوزي، مصدر سابق، ج١، ص٣٧٧.

إذا دعت الحاجة إلى ذلك، وبعد أن سيطر محمد الخير على بربر حاول كوتسيه الهروب إلى مصر، ولكن تم القبض عليه وأُرسل إلى المهدي، وهنالك أسلم، وأصبح رسول المهدي إلى غردون عندما حمل رسالة من المهدي إليه.[١٨٩]

استخبارات المهدي:

نجح المهدي ومنذ أيام الثورة الأولى في أن ينشئ قاعدة استخباراتية على درجة عالية من المهنية، وأضف على ذلك قدرته كقائد على ترجمة وتحليل المعلومات الواردة إليه، والتي على ضوئها يتم وضع الخطط والمهام الحربية.

وقد استفاد المهدي من الأخبار التي وصلت إليه في ليلة الجمعة ١٦رمضان١٢٨ﻫ / ١٢ أغسطس ١٨٨١م في معرفة القوة المتحركة نحوه تحت قيادة أبو السعود، الشيء الذي جعله يعد قوته للقضاء عليها.[١٩٠]

كشف أخبار حملة راشد:

رغم تكتم راشد بك أيمن على الحملة المتوجهة للقضاء على المهدي، إلا أنه عندما وصلت قواته إلى جبل قدير رأته رابحة الكنانية، التي قامت مسرعة إلى المهدي في الثلث الأخير من ليلة الخميس ١٦ محرم سنة ١٢٩٩ﻫ/٢٨ ديسمبر عام ١٨٨١م، ولمّا وصلت إلى معسكر المهدي أخبرته بتقدم الحملة نحوه تحت قيادة راشد بك أيمن.[١٩١]

استفاد المهدي من المعلومات التي رفعتها إليه رابحة الكنانية، حيث عمل على ترتيب قواته والاستعداد للمواجهة الحاسمة ضد قوات راشد بك

١٨٩ المصدر نفسه، ج١، ص٣٧٢.

١٩٠ نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، .....، ص٦٥٣.

١٩١ نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، .....، ص٦٥٧.

أيمن المتحركة نحوه الشيء الذي ساعده في إعداد وتنظيم قوته بالصورة المثلى التي تتناسب والقوة المتحركة للقضاء عليه.

استخبارات المهدي وحملة الشلالي:

قام المهدي بإرسال الطلائع لمعرفة أخبار الشلالي، وقد كان المهدي يقتدي بالرسول صلى الله عليه وسلم في إرسال الطلائع، وقد سأل الشلالي المهدي عن سبب إرساله الطلائع للكشف عن أخبار العدو، وهو المهدي المنتظر فكان رد المهدي (... إنّ الرسول كان يرسل الطلائع كحذيفة اليماني وبلال والزبير بن العوام...).[١٩٢]

استمدّ المهدي فكرة الاستطلاع من الرسول صلى الله عليه وسلم، والذي كان يقوم بإرسال دوريات الاستطلاع للكشف عن أخبار العدو وتمشيط الطرق التي من المحتمل أن يسلكها المشركون.[١٩٣]

المعلومات التي تحصل عليها المهدي عند حصار الأبيض:

عمل المهدي على جمع المعلومات عن طريق عدد من المصادر وذلك عندما كان يحاصر الأبيض، وأول هذه المصادر مجموعة الفارين من داخل المدينة، وقد كان من بين الفارين بعض الضباط والجنود الذين سلموا للمهدي.[١٩٤]

والمصدر الثاني انضمام مجموعة من الجعليين الذين التحقوا بالمهدي، وقد كشفوا للمهدي نقاط الضعف في داخل المدينة المحاصرة، ومن هؤلاء

١٩٢ عصمت حسن زلفو، كرري، ....، ص٥١.

١٩٣ محمد محمد البيلي يونس،الاستخبارات في غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم، مكتبة السندس، الكويت، ١٩٩٥م، ص٧٧.

١٩٤ إبراهيم فوزي، مصدر سابق، ج٢، ص١٢٣.

الذين انضموا للمهدي الياس باشا وعبد الله بانقا ومحمد المكي إسماعيل وخالد العمرابي ومحمد العريك.[١٩٥]

وكان انضمام هؤلاء الرجال للمهدي وهم أعيان مدينة الأبيض قد ساهم وبصورة مباشرة في الكشف عن نقاط الضعف والقوة في داخل المدينة التي أصبحت هدف المهدي ومطلبه.

استخبارات المهدي وقوات هكس:

من مكائد الحروب بث الجواسيس، وهذه المكيدة تعد من أهم المكائد في الحروب، ويجب أن يراعى في الجواسيس أو الاستخبارات أو فرسان الاستطلاع بأن يكونوا من أهل الثقة، ويجب أن يتم ابتعاثهم إلى أرض العدو أو المنطقة التي سكن فيها العدو، وذلك للتعرف على أخبارهم ومعرفة ما عندهم من العدة والعتاد وكم عددهم والعمل على تخذيل أكبر عدد منهم.[١٩٦]

ولكي يتمكن المهدي من معرفة التفاصيل الدقيقة عن خطة حملة هكس، كوّن المهدي فرساناً للاستطلاع، وذلك بعد اتساع مسرح معاركه. ومن واجبات فرسان الاستطلاع:

- ضمان انسياب المعلومات والأخبار عن تحركات هكس، وموقفهم وخططهم.
- السيطرة على الأرض الحرام.
- العمل على مضايقة وإرهاب العدو، ومحاربته نفسياً.

وقد تكونت فرقة الاستطلاع من راكبي الخيول، حيث تكونت من

١٩٥ ب.م هولت، مرجع سابق، ص٧١.

١٩٦ محمد محمد البيلي يونس، مرجع سابق، ص٢١.

٣٠٠٠ فارس أغلبهم مسلحون بالبنادق تحت قيادة أبو قرجة وعبد الحليم مَسَاعَد وعمر الياس أم برير والشيخ فضلوا أحمد.[١٩٧]

استطاعت هذه المجموعة أن تحقق نجاحاً كبيراً في المهمة التي أوكلت بها، وعملت على ربط ومد المهدي بالمعلومات، حيث أنّ المهدي كان يضع الخطط على ضوء المعلومات التي تُرفع إليه.

استفاد المهدي وبصورة واضحة من فرسان الاستطلاع ومن الأخبار الواردة عن الحملة.

وعليه فإنّ الاستخبارات لها أثر بالغ في الحروب قديماً وحديثاً لأنها تساهم في إعطاء صورة عن تحركات العدو، وهي تساعد القائد في وضع الخطة المناسبة دفاعية كانت أم هجومية مضادة، تؤدي إلى تحقيق النصر، وعلى ضوء المعلومات المتواصلة يمكن للقائد أن يعمل على تعديل خطته القتالية، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدرك ذلك ولهذا كان يحرص على استخدام وسائل متعددة لمراقبة عدوه ورصد تحركاته، وكان يستخدم الطلائع الاستكشافية لتحقيق ذلك.[١٩٨]

استفاد المهدي من المعلومات التي تقوم برفعها قوات الاستطلاع وهو بذلك يقتدي بأسلوب الرسول صلى الله عليه وسلم في الحرب.

واستفاد أيضاً من المعلومات التي أخبره بها كلوتس الألماني وهي قد تضمنت معلومات مهمة وحساسة عن إعداد الحملة والحالة المعنوية والنفسية للحملة وقدرات وعتاد وعدة الحملة، الشيء الذي أكد للمهدي بأنّ

١٩٧ عصمت حسن زلفو، شيكان، ....، ص٥٢.

١٩٨ محمد محمد البيلي، مرجع سابق، ص١٠٤-١٠٥.

النصر سوف يكن حليفه في هذه المواجهة ضد هكس.[١٩٩]

جمع المعلومات عن الخرطوم:

لعبت المرأة دورا مهماً في المهدية منذ معاركها الأولى في مد المهدي بالمعلومات من داخل مدينة الخرطوم، وعن استحكامات غردون، ولقد كُنَّ في داخل المدينة، وبعد أن يتحصلنَ على المعلومات يتسللنَ لمعسكر المهدي ويُخْبِرْنَهُ بما شاهدنه من أوضاع.[٢٠٠]

وقد نجحت استخباراته كذلك في ضبط عدد من الرسائل التي قام بإرسالها الأب بونومي والأب جوزيف أور فالدر إلى القنصل النمساوي في الخرطوم.[٢٠١]

يدل هذا الحادث على يقظة استخبارات المهدي ومتابعته للأجانب الذين كانوا في معسكر المهدي.

---

١٩٩ نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، .....، ص٧١٩.

٢٠٠ عبد الودود شلبي، مرجع سابق، ص١٨٩.

٢٠١ Ohrwalder. Op.cit. p. 77.

ترجمة الخطابات التي تقع في يد المهدي:

نجحت قوات المهدي في أن تسيطر على محتويات الباخرة عباس، وهي باخرة صغيرة كانت تحمل خطابات من الخرطوم لمصر، وكانت تحمل استيورت باشا وقنصل كل من فرنسا وإنجلترا ومجموعة أخرى من الأفراد وعدد من الرسائل التي كان غردون باشا يطمع في أن تصل إلى مصر، وقد كانت هذه الرسائل تحتوي على كل التفاصيل المتعلقة بمدينة الخرطوم، وقد استفاد المهدي من تلك الرسائل في وضع خططه لاقتحام المدينة.[٢٠٢]

وقد كان هناك العديد من الأشخاص الذين يجيدون عدداً من اللغات، ويقومون بترجمة الخطابات التي ترد أو تقع في يد المهدي.[٢٠٣]

---

٢٠٢ د. و. م. خ/ مهدية متنوعة، ١/٧ من محمد أحمد المهدي إلى غردون باشا، محرم ١٣٠٢هـ،اكتوبر ١٨٨٤م، ص٢.

٢٠٣ Ohrwalder.J.op.cit.. p. 77.

الفصل الثالث

الجيش في عهد الخليفة عبد الله (١٨٨٥-١٨٩٩م)

المبحث الأول

تجريد الراية الحمراء والخضراء

بدأت بوادر الصراع بين الخليفة عبد الله والأشراف منذ حياة المهدي، ولم يظهر بصورة علنية إلى السطح، لمقدرة المهدي على الإمساك بزمام الأمور. ولكنه احتدم فور وفاة المهدي وكان أول احتكاك مباشر ظهر بين الخليفة عبد الله والأشراف في الأبيض عندما سعى الأشراف إلى عزل الخليفة عبد الله من الخلافة، ولكن تدخُّل الإمام المهدي قد حسم هذا الأمر، ولأن المهدي يرى أحقية الخليفة عبد الله بهذا المنصب لم ينصع إلى مطالب أهله الأشراف، ولتجنب تكرار الاحتكاك بين الخليفة عبد الله والخليفة محمد شريف أمر بأن يكون الاتصال بينهم بواسطة الخليفة علي ود حلو.[٢٠٤]

وعمل المهدي ومنذ حياته إلى إبعاد الأشراف عن الخليفة عبد الله والسبب أنّ الأشراف يعملون على استغلال قرابتهم منه لحسم خلافهم مع الخليفة عبد الله، ووضح غضب المهدي من الأشراف في آخر خطبة له قبل وفاته بعد تحرير الخرطوم حيث قال: (... أيها الناس إني مللت من النصح والمذاكرة لأقاربي الأشراف الذين تمادوا في البطش والغواية وظنوا أنّ المهدي لهم وحدهم ...) وقال أيضاً: (... أنا برئ منهم فكونوا أنتم شهوداً عليّ بين يدي الله تعالى ...).[٢٠٥]

---

٢٠٤ حاتم الصديق محمد أحمد، مرجع سابق، ص٧١.

٢٠٥ المرجع نفسه، ص٧٣.

بعد وفاة المهدي مباشرةً، اجتمعت كل القيادات في أم درمان لاختيار الخليفة وكان على رأسهم الخلفاء الثلاثة والفكي الدرديري وأحمد شرفي جد الأشراف، وقد أظهر الأشراف رغبة واضحة في أن يصبح الخليفة محمد شريف الشخص الذي يخلف المهدي، ولكن هذا الاقتراح وجد معارضة شديدة، وانقسم المجتمعون إلى فريقين الأول مع تولية الخليفة عبد الله والثاني مع تولية الخليفة محمد شريف، وتم حسم الأمر عندما قام الفكي الدرديري وبايع الخليفة عبد الله ثم تبعه بعد ذلك أحمد شرفي والخليفة علي ود حلو، عندها لم يجد الأشراف بداً من المبايعة فبايعوا وكان آخر المبايعين الخليفة محمد شريف،استمر الخليفة عبد الله تلقى البيعة حتى منتصف الليل، وبعد ذلك قام بإرسال الخطابات إلى جميع أنحاء البلاد يعلن فيها وفاة المهدي وتوليه للخلافة، وطلب من العمال في الأقاليم العمل على أخذ البيعة له.[٢٠٦]

خطة الخليفة عبد الله للتخلص من معارضيه:

أثبت الصراع على السلطة بين الخليفة عبد الله والأشراف أنّ ميزان القوى في أم درمان يرجح كفة الخليفة عبد الله، إذ كانت معه قوات الراية الزرقاء وقوات الراية الخضراء، وكذلك قوات الجهادية التابعين لحمدان أبو عنجة، والذي ترك عدداً منهم في أم درمان عندما ذهب إلى جبال النوبة، تحت قيادة أخيه فضل المولى صابون،أما أولاد البلد فقد كانوا يتقلدون العديد من المناصب الإدارية المهمة في أم درمان أمثال أحمد

٢٠٦ محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث، ....، ص٢٣٥.

سليمان أمين بيت المال وأحمد ود علي قاضي الإسلام وبعض القيادات العسكرية الأخرى.[٢٠٧]

وعلى مستوى الأقاليم كانت الغلبة للأشراف وأولاد البلد بصورة عامة، فقد كان محمود عبد القادر[٢٠٨*] ابن عم المهدي في الأبيض، ومحمد خالد زقل في الفاشر، وكرم الله كركساوي[٢٠٩*] في بحر الغزال، ومحمد عبد الكريم في سنار، ومحمد الخير في بربر، وكانت فكرة القضاء عليهم تحتاج إلى تكتيك خاص من قبل الخليفة عبد الله، ولتحقيق ذلك وضع الخليفة خطة دقيقة ترتكز على محورين. المحور الأول العمل على سحب رايات أولاد البلد من الغرب وتركيزها في الشمال حتى يصبح الغرب عمقاً استراتيجياً للخليفة إذا احتاج إليه أو تراجع نحوه، وأن يتم

---

٢٠٧ المرجع نفسه، ص٢٣٥-٢٣٦.

٢٠٨ * محمود عبد القادر ابن عم المهدي وعامله في كردفان، وبعد وفاة المهدي شك الخليفة عبد الله في ولائه للمهدية فاستدعاه إلى أم درمان لتجديد البيعة وعين مكانه عثمان آدم (جانو). وفي أثناء فترة وجوده في أم درمان تمرد الجهادية في الأبيض وهربوا إلى جبال النوبة، ورجع محمود عبد القادر للقضاء عليهم ودخل معهم في معارك خاسرة انتهت لمقتله بالقرب من جبل الداير في ٢٠ ديسمبر ١٨٨٥م/١٣٠٢هـ، أنظر يوسف ميخائيل، مصدر سابق، ص١٧٤.

٢٠٩ * كرم الله كركساوي ينتمي إلى قبيلة الدناقلة، ولد بجزيرة (كركس) قرب شندي، عمل في بحر الغزال ثم التحق بخدمة الحكومة التركية، عند قيام الثورة المهدية التحق بالمهدي، وأصبح من أمراء المهدية، وفي عهد الخليفة عبد الله اختاره الخليفة عبد الله ليقود السرية إلى الجنوب وذلك لمعرفته بتلك المناطق، ثم قام الخليفة عبد الله بسحب كرم الله كركساوي وجميع قواته من جنوب السودان إلى كسلا د. و. ق. خ/ مهدية ١/٣٢/١ من كرم الله كركساوي إلى الخليفة عبد الله، ٢٠ صفر ١٣٠٤هـ، يوليو ١٨٩٦م، ص١.
وبعد انسحابه من الجنوب أرسله الخليفة عبد الله لإخماد ثورة الرزيقات في جنوب دارفور، نجح في العديد من المعارك وزادت شهرته، شارك في معركة فركه ضد الإنجليز ١٨٩٦م، وبعد معركة كرري انضم إلى علي دينار الذي شك في ولائه وقرر إعدامه عام ١٩٠٣م قرب الفاشر. محمد رفعت رمضان، وثائق تاريخ الأورطة المصرية السودانية في الكنغو، مطبعة البستان، العربي، القاهرة، يونيو ١٩٦٣م، ص١٥٢-١٥٤.

تركيز رايات أبناء البلد في الشمال في أكثر المناطق خطورة وهي في مواجهة القوات الإنجليزية والمصرية والمحور الثاني، العمل على سحب كل قوات الجهادية من الرايات وتركيزها في تنظيم عسكري جديد يدين بالطاقة والولاء للخليفة عبد الله، حيث كان الجهادية موزعين على الرايات المختلفة.[٢١٠]

تجريد الخليفة محمد شريف ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٦م:

بدأ الخليفة عبد الله في الإعداد لتجريد الخليفة محمد شريف من رايته سلاحه منذ مبايعته بالخلافة وأخذ يعد لهذا الأمر، وما لبثت أن وصلت الأخبار إلى الخليفة محمد شريف، الذي كانت قواته تعسكر في شمال أم درمان استعداداً للتحرك نحو مصر، اجتمع الخليفة محمد شريف بقادة الراية الحمراء وكبار الأشراف وأخبرهم بأنّ الخليفة عبد الله يخطط لتجريده من رايته وسلاحه، فطلب البعض التريث حتى ينجلي هذا الأمر والبعض الآخر عارض بشدة عملية التجريد التي سوف يقدم عليها الخليفة عبد الله. وقد صحت هذه التوقعات، وصدر الأمر من الخليفة عبد الله بتجريد الخليفة محمد شريف، عارض الخليفة محمد شريف هذا القرار، ولكنه رضخ في نهاية الأمر .وفى أثناء عملية التسليم احتج بعض أنصار الخليفة شريف منهم أمين بين المال احمد ودسليمان.[٢١١]

وهنالك رأي يقول بأنّ عملية تجريد الخليفة محمد شريف قد بدأت

---

٢١٠ محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث، .....، ص٢٣٦.

٢١١ نهلة مبارك فوراوي، الخليفة محمد شريف بن السيد حامد، ١٨٧٠-١٨٩٩، سيرة ذاتية ودوره في المهدية، رسالة ماجستير غير منشورة، شعبة التاريخ، كلية الآداب – جامعة الخرطوم، ١٩٩٣م، ص٤٧.

بعد عودة محمد عبد الكريم من سنار إلى أم درمان، وقد طلب منه الخليفة عبد الله أن يسلم الأسلحة والذخيرة إلى بيت الأمانة ولكن محمد عبد الكريم رفض التسليم، وفي نفس الوقت أعلن الخليفة محمد شريف بأنه يرغب في التقدم نحو بربر ثم دنقلا لكي يقوم بفتح مصر تنفيذاً لوصية المهدي فقام الخليفة بمنعه، لكنه تقدم نحو شمال أم درمان وعسكر بقواته. ونتيجةً لتطور الأحداث، جمع الخليفة عبد الله أهل الشورى حيث كان رأيهم مقاومة الخليفة محمد شريف، ولكن هذا الاقتراح وجد معارضة شديدة من الخليفة عبد الله لأنّ القوة التي مع محمد شريف كبيرة، ولذلك يجب استخدام الحيلة، واتجه إلى استمالة الخليفة علي ود حلو إلى صفه وأحمد شرفي جد الأشراف وخرج بهم إلى المكان الذي يعسكر فيه الخليفة محمد شريف، وذكره بأنّ المهدي في غاية الحزن مما أقدم عليه ويجب أن لا تظهر عليهم الفرقة، بعدها طلب الخليفة عبد الله من الخليفة محمد شريف والخليفة علي ود حلو تسليم راياتهم، وامتثل الخليفة محمد شريف لذلك وقام بتسليم رايته.[٢١٢]

نرجح الرأي الثاني القائل بأنّ عملية التجريد للخليفة محمد شريف قد حدثت في شمال أم درمان، وذلك لأنّ قوات الخليفة محمد شريف عسكرت في شمال أم درمان في انتظار التحرك نحو مصر، وأنّ الخليفة محمد شريف بعد أن وصلته الأخبار بنية الخليفة عبد الله في تجريده من سلاحه ورايته أراد أن يتحرك بقواته نحو بربر ثم دنقلا، الأمر الذي لم يتركه الخليفة

٢١٢ إبراهيم فوزي، مصدر سابق، ج٢، ص٩٨-٩٩.

عبد الله يحدث لأنّ الخليفة محمد شريف قد خرج من أم درمان وهو غاضب من الخليفة عبد الله ولا يستبعد تحالفه مع المصريين.

ملازمة الأشراف لمجلس الخليفة عبد الله:

عندما ظهرت بوادر التمرد وسط الأشراف، طلب الخليفة عبد الله منهم ملازمة مجلسه وعدم مغادرته، وهذا الإجراء الهدف منه أن تصل إليهم أخبار غير صحيحة أو أن ينقل الوشاة معلومات تعمل على زيادة الشقة بينهم وبين الخليفة عبد الله، ولذلك لزم الأشراف مجلس الخليفة عبد الله حتى عام ١٣٠٣هـ/١٨٨٦م، حيث وصلت بعض الأخبار إلى الأشراف والتي تؤكد بأنّ الخليفة عبد الله يضمر القضاء عليهم، ولما كان الهجوم خير وسيلة للدفاع فقد تعاهدوا على القضاء علية قبل أن يغدر بهم.(٢١٣)

ازدادت الوشايات التي تؤلب الأشراف ضد الخليفة عبد الله، والتي تؤكد أنّ الخليفة عبد الله لا محالة منقض على الأشراف وسوف يعمل على التنكيل بهم، عندها تتبع الخليفة عبد الله تلك الوشايات، عندها تأكد له بأنها تصدر من إسماعيل أحمد شجر الذي تربطه صلة قرابة بالأشراف وهو من تجار الأبيض وكان مساعداً لأحمد سليمان أمين بيت المال، واشترك معه في الترويج لتلك الأخبار الشيخ محمد عمر البنا وهو كاتب الخليفة محمد شريف، فأمر الخليفة عبد الله بالقبض عليهم، وإرسالهم إلى بحر الجبل، وبذلك يكون إسماعيل أحمد شجر والشيخ محمد عمر البنا أول سجينين من الأشراف يقعان في قبضة الخليفة عبد الله.(٢١٤)

---

٢١٣ عبد الله محمد أحمد حسن، مرجع سابق ص١٤٧.

٢١٤ عبد الله محمد أحمد حسن، مرجع سابق، ص١٤٨.

وقد ساهم مقتل محمود عبد القادر عامل الخليفة على الأبيض، والأحداث التي تلته في تزايد نسبة المواجهة بين الخليفة عبد الله والأشراف، حيث أنّ الأشراف وبعد مقتل محمود عبد القادر سعوا إلى تعيين شخص منهم خلفاً لمحمود عبد القادر مما أغضب الخليفة عبد الله وأخاه الأمير يعقوب وقد قال الأمير يعقوب: (... الأشراف أيقظونا من النوم ...) ولكي يقطع الخليفة عبد الله الطريق أمام طموح الأشراف قام بتعيين عثمان آدم[٢١٥]* خلفاً لمحمود عبد القادر.[٢١٦]

انتفاضة الأشراف:

نتيجةً لتأزم الوضع بين الأشراف والخليفة عبد الله، كان لا بد من أن تحدث المواجهة، وبعد سجن إسماعيل أحمد شجر والشيخ محمد عمر البنا والوضع الذي أصبح عليه الأشراف من تضييق وتنكيل أجمع الأشراف على الانتفاضة، وكان الخليفة محمد شريف يبارك هذا الأمر ويحثهم عليه، وعندما وصلت الأخبار عن تحرك الأشراف اجتمع الخليفة عبد الله بأخيه الأمير يعقوب واتفقوا على مواجهة الأشراف، وقد قام الأمير يعقوب بتوزيع الأسلحة على جنوده وكل من يثق في ولائه للخليفة.[٢١٧]

وعند اندلاع الانتفاضة تحصن الأشراف بقبة المهدي وبعض

---

٢١٥ * عثمان آدم (جانو) من أقرباء الخليفة عبد الله ومن أمراء المهدية، عين عام ١٨٨٦م/١٣٠٣هـ عاملاً على كردفان، وهو قائد حملة الكبابيش التي أرسلها الخليفة عبد الله لتأديبهم وقتل زعيمهم صالح فضل الله واستطاع بذلك أن يقضي على أبو جميزة قرب الفاشر ١٨٨٩م وتوفي بعد ذلك وخلفه محمود ود أحمد. أنظر يوسف ميخائيل، مصدر سابق، ص١٧٤.

٢١٦ حاتم الصديق محمد أحمد، مرجع سابق، ص٧٣.

٢١٧ المرجع نفسه، ص٧٥.

المنازل القريبة منها وهم في كامل سلاحهم، وقد شاركت نساء المهدي في هذه الانتفاضة رغم أنهن ممنوعات من الخروج من منازلهن ومقابلة عامة الناس. ولتشديد الحصار على الأشراف أمر الأمير يعقوب بدوي ود العريق بأن يضيق الخناق على منازل الأشراف وأن يقوم بقطع طريق الخروج أو الدخول إليهم، الشيء الذي أدخل الخوف في نفوس الأشراف نتيجةً لما شاهدوه من استعداد عسكري تحت قيادة الأمير يعقوب.

ولتشديد الخناق على الأشراف قام الأمير يعقوب بقفل الطريق الذي يصل السوق بقبة المهدي، ورابط الأمير يعقوب قرب الجامع ومنزل أخيه الخليفة عبد الله، وفي يوم ٢٤ نوفمبر ١٨٩١م/١٣٠٨هـ تمكن الأمير يعقوب من الإحاطة بالأشراف، وقد كان الخليفة عبد الله يرغب في الفتك بهم ولكنه فطن إلى أن أي فوضى في أم درمان قد تؤدي في نهاية الأمر إلى خراب المدينة وفرار عدد من القبائل تحت ستار تلك الفوضى.[٢١٨]

ولكي يتلافى الخليفة عبد الله الكثير من الخسائر وسط المدينة قام بإرسال الخليفة علي ود حلو لكي يكون وسيطاً بينه والأشراف لكنهم رفضوا تلك الوساطة في أول الأمر، وبادروا بإطلاق النار على قوات الخليفة عبد الله، ولإصرار الخليفة عبد الله على الحوار مع الأشراف أرسل إليهم الخليفة علي ود حلو مرةً أخرى، عندها تأكد الأشراف بأنه لا يوجد مخرج أو مفر، ويجب عليهم التسليم والخضوع للصلح، وطلب الأشراف معرفة شروط الصلح، وأخبرهم الخليفة عبد الله بأن يضعوا الشروط التي

٢١٨ حاتم الصديق محمد أحمد، مرجع سابق، ص٧٦.

تناسبهم. وفي ٢٥ نوفمبر ١٨٩١م/١٣٠٨هـ تم التوقيع على الصلح الذي اشتمل على عدد من البنود منها:

- أن يتم العفو عن كل الذين اشتركوا في الانتفاضة.
- أن يكون للخليفة محمد شريف مكانٌ يليق به ويخصص له مقعدٌ قرب الخليفة عبد الله.
- أن ترد له راياته يجتمع حولها المتطوعة.
- أن يخصص له راتب شهري قدره ٢٠٠٠ ريال ولأولاد المهدي وأهل بيته رواتب تكفيهم.
- أن يسلم الأشراف سلاحهم ويطيعون الخليفة عبد الله طاعةً عمياء.[٢١٩]

أكّد الخليفة علي ود حلو للخليفة محمد شريف بأنه سوف يقف معه في إنفاذ هذه الشروط وإذا لم تنفذ سوف يكون سنده وعونه، وبعد ذلك حضر الخليفة محمد شريف إلى الخليفة عبد الله وتصافحا.

بعد توقيع الصلح مباشرةً اتجه الأمير يعقوب إلى إلقاء القبض على كل الأشراف الذين اشتركوا في الانتفاضة وتم الزج بهم في سجن الساير[٢٢٠*] ومعهم أكابر وأعيان الأشراف، وتمت عملية ملاحقة الأشراف المقيمين في أم درمان وفي الأقاليم، حيث أنّ عملية التعقب والبحث استمرت لمدة عشرين يوماً، ولاستكمال عملية القبض على الأشراف كلف الأمير يعقوب جنوده

٢١٩ عزام أبو بكر الطيب،العلاقة بين الخليفة عبد الله التعايشى وقبائل السودان (١٨٨٥- ١٨٩٨م)، المطبعة القومية للثاقفة والفنون، مطبعة جامعة الخرطوم، ١٩٩٢م، ص٤٥.

٢٢٠ * سجن الساير: أطلق اسم السجن على إدريس الساير من قبيلة الجمع التي تسكن في شرق كردفان والذي لحق بالمهدي في جبل قدير وعينه المهدي في وظيفة سجان، أنظر علي محمد علي، القضاء في دولة المهدية ،مركز الدراسات السودانية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٦٤.

بأن يقفوا في كل مشرع أو معبر وهم يترصدون الأشراف لمدة شهر، وأرسل الأمير يعقوب جنوده إلى كل من الكاملين ومدني والقطينة، لكي يتم القبض على الدناقلة وإرسالهم إلى أم درمان، على أن تتم عملية تجريدهم من أموالهم. ومعظم الدناقلة عمدوا إلى إنكار انتسابهم إلى الأشراف حيث قالوا: (... نحن لسنا أشراف بل دناقلة نجارين مراكب ...).[٢٢١]

وأمّا الأشراف الذين كانوا في منطقة الجزيرة والتي ذهبوا إليها بعد موافقة الخليفة عبد الله، فقد أصدر الأمير يعقوب لهم أمراً بحضورهم إلى أم درمان للمشاركة في الجهاد وأنّ هذا أمر ملزم لهم.[٢٢٢]

القبض على الأشراف وجهادية الخليفة محمد شريف:

ولكي تكتمل عملية تجريد الخليفة محمد شريف، طلب الخليفة عبد الله من الصالح حماد عامله على الجزيرة بأن يقوم بالقبض على جهادية الخليفة محمد شريف المقيمين بود مدني وبقية الجهادية المتواجدين بود العباس بالقرب من سنار، وأن يتم ذلك بواسطة إبراهيم النور حامد، وقد بلغ عدد الجهادية التابعين لراية الخليفة محمد شريف في الكاملين ١٣٥ جهادياً بعوائلهم.[٢٢٣]

وفي أم درمان أقدم الأمير يعقوب على إخلاء سبيل عدد كبير من الدناقلة، ولكنه شدد قبضته على كبار الأشراف أمثال عبد القادر ساتي، وحامد عبد الكريم، وأحمد سليمان، بالإضافة إلى خمسة وأربعين من الأشراف

٢٢١ يوسف ميخائيل، مصدر سابق، ص١٥٢.

٢٢٢ د. و. م.خ/ مهدية ٢/٤٧/٢-١ بيان رايات الأشراف التي بالجزيرة والشرق، ص٤٣.

٢٢٣ د. و. م. خ/ مهدية ٢/١٩/١ من الصالح حماد إلى الخليفة عبد الله، ١٨ جماد آخر ١٣٠٩هـ و٦ رجب ١٣٠٩هـ، مارس ١٨٩٢م، ص٢٢.

المسجونين في سجن الساير، وقد أرسل هؤلاء إلى بحر الجبل إلى الزاكي طمل الذي قام بقتلهم مستخدماً النبابيت. بعد إجراء عملية القبض على الأشراف وترحيلهم إلى الرجاف، أصدر الخليفة عبد الله منشوراً يؤكد فيه بأنّ عملية القبض على الأشراف وإرسالهم إلى الرجاف قد تمت بتوجيه من المهدي (... ثم قال لي المهدي أنّ أحمد سليمان، وأحمد محمد خير، وسعيد فرح، وفوزي أحمد وصالح سوار الذهب، فليكن حبسهم، فقلت للمهدي (عم) أن أهل الظاهر ينكرون عليّ ذلك ويقولون عفا عنهم ثم حبسهم فقال لي المهدي (عم) أنّ الحق معك وأهل الباطل معك، فاحبسهم واتل على الأصحاب المنشور المحرر منا في حقك ...).[٢٢٤]

سعى الخليفة عبد الله من خلال هذا المنشور إلى إضفاء الشرعية على تصرفه تجاه الأشراف والقبض عليهم والتنكيل بهم.

موقف الخليفة محمد شريف بعد التنكيل بالأشراف:

بعد أن علم الخليفة محمد شريف بمقتل الأشراف في بحر الجبل ازداد سخطه على الخليفة عبد الله، ونتيجةً لهذه الحادثة ولمعارضته للخليفة عبد الله ترك الخليفة محمد شريف الذهاب إلى المسجد لأداء الجمعة في جماعة، كان انقطاع الخليفة محمد شريف عن الصلاة في المسجد الذريعة التي كان يبحث عنها الخليفة عبد الله لتصفية حساباته مع الخليفة شريف، ولكي يؤكد لعامة الناس بأنّ الخليفة محمد شريف معارض لحكم الخليفة عبد الله، قد سارع إلى جمع العلماء والقضاة لكي يقوموا بالحكم في أمر الخليفة محمد

٢٢٤ محمد إبراهيم أبو سليم، منشورات المهدية، دار الجيل بيروت، لبنان، ١٩٦٩م، ص١٠٢.

شريف الذي ترك الصلاة في المسجد. توصل القضاة إلى أنّ الخليفة محمد شريف مذنب بتركه الحضور إلى الصلاة، ونتيجةً لذلك تم الزج به في سجن الساير مكبلاً في القيود.(٢٢٥)

وقد كان الخليفة عبد الله ينوي القضاء على الخليفة محمد شريف لولا إظهاره للتوبة، ومن القضاة الذين حكموا على الخليفة محمد شريف، أحمد علي قاضي الإسلام، السيد المكي إسماعيل، عبد القادر ود أم مريوم، إسماعيل عبد القادر الكردفاني، محمد البدوي، مكي أبو حراز، القاضي حسين جزو، وقد بلغ عددهم ثلاثة وأربعين قاضياً.(٢٢٦)

لقد كان سجن الخليفة محمد شريف في ٢ شعبان ١٣٠٩هـ / ٢ مارس ١٨٩٢م، والعلماء والقضاة الذين وقعوا على الحكم كان معظمهم من الذين لازموا المهدي في حياته، وتم طبع الحكم الذي صدر في حق الخليفة محمد شريف في مطبعة الحجر[٢٢٧*] ووزع على جميع العمالات.

وكان الصلح الأول الذي وقع بين الخليفتين ما هو إلا هدنة استغلها كل طرف لكي يعد نفسه للمواجهة النهائية.

وقد نجح الخليفة عبد الله في أن يحشد أكبر عدد من العلماء والقضاة لمحاكمة الخليفة شريف.(٢٢٨) بعد محاكمة الخليفة شريف وإصدار الحكم علية وعلى أنصاره ،يمكننا القول أن هذه المحكمة تعتبر غير عادلة حيث نقض الخليفة على ودحلو مواثيقه مع أبناء المهدي ،وتمكن الخليفة عبد الله تصفية

٢٢٥ نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، ....، ص١١٦٨ ؛ ١١٧٢.
٢٢٦ علي محمد علي، مرجع سابق، ص١٥٤.
٢٢٧ * أنظر ملحق رقم (٤).
٢٢٨ المرجع نفسه، ص١٢٤.

نفوذ الأشراف على كافة مستويات الدولة، وفى نفس الوقت تعززت سيطرة الخليفة عبد الله وأهله البقارة على كل مفاصل الدولة، وظهر استعداد الخليفة عبد الله لقمع أي عمل عسكري أو سياسي يهدد مركزه.

نتائج تجريد الخليفة محمد شريف:

بعد تجريد الخليفة شريف أصدر امرأ بتوزيع كل الرايات التابعة للخليفة شريف على الأقاليم، ودمجها في الراية الزرقاء. وكان هدف الخليفة عبد الله من وراء ذلك إبعاد العناصر المؤيدة للخليفة شريف من ام درمان، وتعزيز قوة الراية الزرقاء.[٢٢٩]

بعد أن ضم الخليفة عبد الله رايات الخليفة محمد شريف إلى الراية الزرقاء، لم يبقَ للخليفة محمد شريف سوى العدد القليل من الحراس وتحديداً الحرس الخاص، وحتى هذا الحرس الخاص تم سحبه بعد ذلك ليصبح تحت قيادة أحمد فضيل المتوجه إلى الشرق والمساعد لعثمان دقنة في الهجوم على طوكر، وبذلك يصبح الخليفة محمد شريف بلا سلطة على الراية الحمراء التي آلت إلى الأمير يعقوب القائد العام للجيش، مع العلم بأنّ قوات الخليفة محمد شريف والتي كانت تقاتل تحت الراية الحمراء كانت أعدادها تفوق الخمسة والعشرين ألف مقاتلٍ وقد تضاءل هذا العدد الضخم حتى وصل إلى أربعة أشخاص فقط مسلحون بالسلاح الأبيض، وهؤلاء الأربعة يمثلون حرس الخليفة محمد شريف الخاص.[٢٣٠]

تمثل انتفاضة الأشراف احتجاج مسلح ضد سياسة الخليفة عبد الله

٢٢٩ نهلة مبارك فوراوي، مرجع سابق، ص٧٧.

٢٣٠ المرجع نفسه، ص٧٨.

تجاه الأشراف وأبناء البلد والعمل على إقصائهم من مناصبهم وبسط نفوذه والعمل على إعطاء المناصب القيادية لأبناء الغرب وعشيرته المقربين والعمل على تحويل الدولة الوليدة إلى مملكة خالصة له ولأهله، والعمل على إقصاء كل من ساهم في بناء هذه الدولة، وأول من تضرر من هذه السياسة الأشراف الذين اعتبرهم الخليفة عبد الله العدو الأول له ولحكمه ولكي يبسط نفوذه يجب القضاء عليهم.

تجريد قادة الراية الحمراء:

بعد ثورة الأشراف عمد الخليفة عبد الله إلى تجريد قادة الراية الحمراء الذين يشك في ولائهم، والذين يهددون سلطته وهم أتباع للخليفة محمد شريف، وقد استطاع الخليفة عبد الله أن يجرد بعض القادة ويسجن البعض الآخر ويبعد عدداً منهم، وأول هؤلاء الأمراء محمود عبد القادر قائد جيوش المهدية في الأبيض، ويعد محمود عبد القادر من القادة الذين يمتازون بالمقدرة على القيادة، وقد أصبح الخليفة عبد الله يخشاه لذلك سعى إلى إبعاده، وتم له ذلك عندما وصل محمود عبد القادر إلى أم درمان في عام ١٨٨٥م/١٣٠٢هـ قادماً من الأبيض، لكي يقوم بتجديد البيعة للخليفة عبد الله وذلك حسب طلب الخليفة عبد الله، وتجديد البيعة هو إجراء اتخذه الخليفة عبد الله بعد موت المهدي وذلك لكي يضمن ولاء القادة والعمال في مناطق الدولة المهدية المختلفة.[٢٣١]

وبعد وصوله أصدر له الخليفة عبد الله أمراً بالتوجه إلى الشمال

٢٣١ عبد الوهاب أحمد عبد الوهاب، توشكي، دراسة تاريخية لحملة عبد الرحمن النجومي على مصر، دار جامعة الخرطوم للنشر، ١٩٧٩م، ص٤٥.

وتحديداً دنقلا، وقد كانت فكرة الخليفة عبد الله أن يقوم بجمع قادة الراية الحمراء والمعارضين له من الأشراف في شمال السودان لكي يسهل القضاء عليهم أو الحد من خطورتهم، وقد أتاحت الظروف للخليفة ما كان يخطط له بشأن محمود عبد القادر وذلك عندما رجع إلى الأبيض لإحضار عائلته، وعند وصوله إلى الأبيض وجد أنّ قوات الجهادية المرابطة في المدينة قد ثارت ضد الخليفة عبد الله والدولة المهدية، واتجهوا نحو جبال النوبة، فقام محمود عبد القادر بجمع قواته وصمم على مطاردتهم الأمر الذي يتعارض مع أوامر الخليفة عبد الله والتي صدرت له وتؤكد على أن يحضر عائلته ويرجع من الأبيض إلى أم درمان، وعندما علم الخليفة عبد الله بنيته في مطاردة الجهادية منعه من القيام بذلك وأمره بالرجوع من الأبيض، وقد كانت النتيجة لمطاردة محمود عبد القادر لقوات الجهادية هزيمة قواته ومقتله في جبل الداير في ٢٠ ديسمبر ١٨٨٥م/١٣٠٢هـ.[٢٣٢]

تجريد محمد خالد زقل:

استمر مشروع الخليفة عبد الله في تجريد قادة الراية الحمراء حيث اتجهت أنظاره هذه المرة إلى قائد آخر من قادة الراية الحمراء وهو محمد خالد زقل، الذي استطاع أن يبسط نفوذه منذ العام ١٨٨٤م/١٣٠١هـ على دارفور بعد استسلام سلاطين باشا، ولخوف الخليفة عبد الله من إمكانيات محمد خالد زقل القيادية واحتمال أن يبسط سيطرته على إقليم دارفور ويسعى لأن يحكمه منفرداً،طلب الخليفة من زقل بأن يحضر إلى أم درمان لتجديد البيعة، أذعن

٢٣٢ المرجع نفسه، ص٤٥.

زقل لأمر الخليفة لكنة أبطأ المسير إلى أم درمان، رغم المكاتبات التي وردت إليه من الخليفة محمد شريف والخليفة علي ود حلو والأمير عبد الرحمن النجومي، وعندما لم يستجيب محمد خالد زقل أرسل إليه الخليفة مرةً أخرى يحثه على القدوم إلى أم درمان على أن يحضر بكامل سلاحه وقواته.(٢٣٣)

لم يستجب محمد خالد زقل لخطابات الخليفة عبد الله المتكررة، والخطابات التي وردت إليه من الخلفاء والأمراء، في عام ١٨٨٦م/١٣٠٣هـ استعد محمد خالد زقل للتحرك نحو أم درمان بكامل جيشه حيث لم تكن وجهته معلومة، فمن الممكن أن يكون زقل لم يجد مفر من التحرك إلى أم درمان أو أنه أراد بهذا التحرك وبهذا الجيش الضخم أن يدعم الأشراف في صراعهم ضد الخليفة عبد الله، ومن الواضح أنّ الخليفة عبد الله قد احتاط لكل هذه الاحتمالات، والدليل على ذلك نجده قد كتب إلى حمدان أبو عنجة بأوامر سرية، حيث كان حمدان أبو عنجة بقواته في الأبيض حيث تم انتدابه من قبل الخليفة عبد الله للقضاء على ثورة الجهادية التي انطلقت من الأبيض نحو الجبال وقد كان حمدان من أكثر القادة قرباً من الخليفة عبد الله.(٢٣٤)

كانت خطة الأشراف أن يقوم محمد خالد زقل باحتلال إقليم الجزيرة بجيشه الكبير بعد أن يتحرك من الفاشر، وقد وصلت هذه الأخبار إلى الخليفة عبد الله الذي قام بدوره بتعيين يونس الدكيم[٢٣٥]* عاملاً على الجزيرة قبل أن

٢٣٣ د. و. م. خ/ مهدية ٣/١/١ من عبد الرحمن النجومي ومحمد عثمان أبو قرجة وآخرين إلى محمد خالد زقل، ١٩ شوال ١٣٠٢هـ، يوليو ١٨٨٥م، ص٢.

٢٣٤ عبد الوهاب أحمد عبد الوهاب، مرجع سابق، ص٤٥-٤٦.

٢٣٥ * الأمير يونس الدكيم من قبيلة التعايشة وابن عم الخليفة عبد الله، انضم إلى المهدي في قدير في نهاية عام ١٨٨١م – اشترك في حصار وتحرير الخرطوم، ساهم في إشعال الثورة في ديار الرزيقات وهو الذي اعتقل عقيل الجنقاوي، وفي عهد الخليفة عبد الله عهد إليه بولاية الجزيرة لكي يمنع الأشراف من الدخول إليها عندما كان زقل متحركاً من دارفور نحو أم درمان تولى القلابات حتى عين حمدان أبو عنجة عاملاً

يتحرك زقل من الفاشر، وعندما أحس الأشراف بالخطر المحدق بمحمد خالد زقل حاولوا الاتصال بهي، لكن الخليفة عبد الله قام بوضع رقابة صارمة على الرسائل الواردة والصادرة من وإلى أم درمان الشيء الذي أفشل عملية تنبيه محمد خالد زقل من قبل الأشراف.(٢٣٦)

ولتعجيل عملية التجريد صدرت الأوامر إلى حمدان أبو عنجة بصورة سرية من الخليفة عبد لله، وقد قام كاتب الخليفة الخاص المدثر إبراهيم بكتابة هذه الأوامر وقد كانت واضحة حيث طلب من حمدان أبو عنجة أن يقوم بتجريد محمد خالد زقل من كل قواته وأسلحته التي معه بالإضافة إلى قوات الجهادية، وأن يقوم كذلك باستلام أموال بيت المال، وذلك بعد أن وصلت الأخبار إلى الخليفة عبد الله بأنّ محمد خالد زقل يحتفظ بالكثير من الأموال والذخيرة والخيول لنفسه.(٢٣٧)

نجح حمدان أبو عنجة في أن يجرد محمد خال زقل في بارا ١٩رجب ١٣٠٣هـ/ ٩ أبريل ١٨٨٦م، ووجه إليه تهمة الاختلاس، وجرد من سلطته وصندوق أمواله وتم سجنه في أول الأمر في الأبيض ثم بعد ذلك تم إرساله إلى أم درمان التي سجن فيها أيضاً ثم أطلق سراحه من قبل الخليفة عبد الله، حيث أبقاه ملازماً للصلوات في المسجد.(٢٣٨)

عليها، عندما تطور الصراع مع الحبشة عزل يونس من القلابات لعدم تعاونه مع حمدان أبو عنجة، تولى إمارة دنقلا مرتين، شارك في كرري ثم أم دبيكرات، وقع في الأسر ونفي إلى مصر، توفي في أم درمان بعد أن أطلق سراحه عام ١٩٣٩م وعمره ١٢٠ عام. أنظر عبد القادر الكردفاني، سعادة المستهدي بسيرة الامام المهدي، تحيق، محمد ابراهيم ابوسليم، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٨٢، ص٣٨.

٢٣٦ محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث، .....، ص٢٣٦.

٢٣٧ د. و. م. خ/ مهدية منشورات ١/٨٦/٢ من الخليفة عبد الله إلى حمدان أبو عنجة، ٥ رجب ١٣٠٣هـ، ابريل ١٨٨٦م،ص١٩.

٢٣٨ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٢٥/١ من الخليفة عبد الله إلى حمدان أبو عنجة، ٢٣ ربيع آخر ١٣٠٤هـ،ديسمبر

بقي محمد خالد زقل ملازما للخليفة في أم درمان،ثم عفا عنة بعد أن اظهر توبته وفى سنة ١٣٠٦هـ/١٨٨٩م قام الخليفة عبد الله بإرساله إلى شرق السودان لحل الخلاف الذي نشب بين أبو قرجة والأمير عثمان دقنة، وفى سنة ١٣٠٧هـ/ ١٨٩٠معين من قبل الخليفة عبد الله عاملا على دنقلا حيث عفا عنه الخليفة عبد الله وعينه عاملاً على دنقلا.[٢٣٩]

وفي دنقلا حدث خلاف بين محمد خالد زقل ومساعد قيدوم[٢٤٠*]، حيث قام الأخير بتدبير مؤامرة لقتل محمد خالد زقل وجميع أولاد البلد في دنقلا، وقد اشترك معه في هذه المؤامرة عربي دفع الله[٢٤١*] وقوات الجهادية، حيث كان الصراع بين البقارة والجهادية من جهة والجعليين والدناقلة من جهة أخرى، وقد فشلت المؤامرة ولكن رغم فشلها لم يستطع محمد خالد زقل أن يجرد قوات الجهادية من سلاحهم لأنهم قد اتصلوا بالخليفة عبد الله وأخبروه بأنّ زقل على

١٨٨٦م، ص٣٨٦.

٢٣٩ علي محمد بركات، السياسة البريطانية واسترداد السودان (١٨٨٩م-١٨٩٩م)، المطبعة المصرية للكتاب، المكتبة العربية، القاهرة ١٩٧٧م، ص٦٤.

٢٤٠ * مساعد قيدوم من زعماء الهبانية في دارفور، درس مبادئ الفقه والقرآن في خلوة الفقيه محمد علي تورشين في دار الرزيقات ثم انتقل مع شيخه إلى دار الجمع بالقرب من الدويم وانضم بعد ذلك إلى المهدية في تقلي عام ١٨٨٢م، اشترك في تحرير الأبيض والخرطوم، شارك في الحروبات ضد الإيطاليين في شرق السودان، ثم شهد واقعة الحفير عام ١٨٩٦م وقد شارك في موقعة كرري ١٨٩٨م، وقبض عليه بواسطة القوات الإنجليزية المصرية عام ١٨٩٩م وظل في السجن حتى عام ١٩٢٠م، وبعد أن أطلق سراحه عين عمدة على دار الهبانية في دارفور وتقاعد عن العمل عام ١٩٣٢م وتوفي عام ١٩٣٤م. أنظر يوسف ميخائيل، مصدر سابق، ص١٧٨.

٢٤١ * عربي دفع الله من قبيلة التعايشة ومن أمراء المهدية ومن أمراء الراية الزرقاء ومن أوائل الذين التحقوا بالمهدية، في عام ١٨٩٠م أرسل إلى الاستوائية ودافع عن حدود الدولة المهدية الجنوبية وبقي هنالك حتى زادت الأطماع الفرنسية والبريطانية على السودان، وبعد أن عرف نتيجة معركة كرري انسحب مع عدد من رجاله إلى دارفور حيث مكث هنالك حتى سلم للسلطان علي دينار عام ١٩٠٢م واشترك في جيشه حتى مات عام ١٩١٥م. أنظر علي محمد علي، مرجع سابق، ص١٣٨.

اتصال بالحكومة المصرية، وينوي تسليم دنقلا للقوات المصرية، ونتيجةً لذلك قام الخليفة عبد الله بعزل محمد خالد زقل وتعيين يونس الدكيم بدلاً عنه، وقد حاول محمد خالد زقل أن ينفي تهمة التآمر ضد الخليفة عبد الله، ولكن الخليفة عبد الله أحضر لزقل وثيقة مصرية أُحضرت من مصر تحتوي على أنّ محمد خالد زقل كان على اتصال بمصر، وعرضت على القضاة الذين حكموا بإعدام محمد خالد زقل.[٢٤٢]

مكث محمد خالد زقل في سجن الخليفة عبد الله ولم ينفذ فيه حكم الإعدام حتى سقوط الدولة المهدية، حيث ذهب بعد سقوط المهدية إلى دارفور وقتل هناك عام ١٩٠٣م.[٢٤٣]

عزل محمد الخير عبد الله من عمالة بربر:

في سنة١٣٠٦هـ/ سبتمبر ١٨٨٦م تم عزل محمد الخير عبد الله من عمالة بربر وأصبح عثمان الدكيم[٢٤٤*] العامل الجديد، وهذا العزل جزء من سياسة الخليفة لإقصاء الأشراف، وقد لعب الأمير يعقوب دوراً كبيراً في عزل محمد الخير من عمالة بربر وذلك عندما قام بتحريض علي ود سعد زعيم الجعليين بأن يشكو محمد الخير عبد الله للخليفة عبد الله وأن يعمل جهده لإظهار كل قبيح فيه، وأن يخبر الخليفة عبد الله كذلك بأن محمد الخير يحتكر الوظائف لأهله، وقد وعد الأمير يعقوب ود سعد بأن يصبح أميراً على

---

٢٤٢ لي محمد بركات، مرجع سابق، ص٦٧.

٢٤٣ عبد الله محمد أحمد حسن، مرجع سابق، ص١٢٩.

٢٤٤ * عثمان الدكيم من أمراء المهدية وأخ الأمير يونس الدكيم وابن عم الخليفة عبد الله، عين أميراً على بربر من قبل الخليفة عبد الله بدلاً عن محمد الخير عبد الله خوجلي، شارك في حروب المهدية وفي تأمين جبهة الشمال، استشهد في كرري، أنظر يوسف ميخائيل، مصدر سابق، ص٢٣١.

بربر خلفاً لمحمد الخير لو نجح في مسعاه. وفعلاً استطاع علي ود سعد أن يقنع الخليفة عبد الله بأفعال محمد الخير، بعد ذلك طلب الخليفة عبد الله من محمد الخير عامل بربر إلى الحضور إلى أم درمان حيث قام بعزله وسجنه في أم درمان، ثم أطلق سراحه بعد ذلك بفترة وأُرجع إلى دنقلا كأحد صغار القادة وتوفي في دنقلا عام ١٨٩٠م/١٣٠٧هـ.[٢٤٥]

اعتقال محمد عبد الكريم:

بعد فتح الخرطوم قام المهدي بإرسال محمد عبد الكريم في عشرين ألفاً لحصار مدينة سنار التي وصلها وشدد الحصار عليها وتم له فتح المدينة بعد ثلاثة أشهر من وفاة المهدي ١٣٠٥هـ/ سبتمبر ١٨٨٥م.[٢٤٦]

وبعد عودة محمد عبد الكريم إلى أم درمان من سنار اتجه الخليفة عبد الله إلى تجريده من قواته وسلاحه، وقد أمر الخليفة عبد الله بأن توزع جميع القوات التي كانت تحت قيادته على الراية الزرقاء في الأقاليم، وبعد قيام انتفاضة الأشراف لم يبقَ منهم سوى محمد عبد الكريم وعبد القادر ساتي طبيب المهدي، وقد أبقى عليهم الخليفة عبد الله بهدف معرفة معلومات إضافية عن الذين لم يتم القبض عليهم من الأشراف، والذين شاركوا في الانتفاضة التي قامت ضده، وبعد ذلك أصدر الخليفة عبد الله أمراً بنفيهم إلى فشودة حيث تمت عملية إعدامهم.[٢٤٧]

---

٢٤٥ محمد سعيد القد، تاريخ السودان الحديث، ....، ص٨٥-٨٦.

٢٤٦ إبراهيم فوزي، مصدر سابق، ج٢، ص٥٥.

٢٤٧ محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث، ....، ص٢٣٩.

إبعاد أبو قرجة ثم نفيه إلى جنوب السودان:

كان أبو قرجة في بربر، وفي سنة ١٣٠٣هـ/ سبتمبر ١٨٨٦م قام الخليفة عبد الله بإرسال أبو قرجة إلى الشرق لمعاونة عثمان دقنة، والهدف من ذلك إبعاد محمد عثمان أبو قرجة عن مسرح الأحداث في أم درمان، والسبب في ذلك خوف الخليفة عبد الله من وقوف أبو قرجة إلى جانب الأشراف. [٢٤٨]

وعندما كان أبو قرجة في كسلا،حدث خلاف بينه وبين الأمير عثمان دقنة، وقد وجد أبو قرجة مساندة من بعض الأمراء في خلافه مع الأمير عثمان دقنة. ومن الأمراء الذين وقفوا مع أبو قرجة حمد النيل حامد وأحمد البدوي، وربما كان هذا الدعم الذي وجده أبو قرجة ناتج عن المعاملة القاسية التي كان يعامل بها الأمير عثمان دقنة بقية الأمراء.[٢٤٩]

ولحسم الخلاف الذي أخذ يتصاعد بين أبو قرجة والأمير عثمان دقنة قام الخليفة عبد الله بعزل عثمان دقنة من إمارة كسلا وولى عليها أبو قرجة، وبعد ذلك قام بعزل أبو قرجة عن إمارة كسلا وعمل على فصل الإمارة عن إمارة السودان الشرقي، وولى عليها حامد علي أحد أقارب الخليفة عبد الله ثم قام بعزل حامد علي وولى مكانه مساعد قيدوم وذلك في عام ١٣٠٩هـ/١٨٩١م.[٢٥٠]

---

٢٤٨ محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث ،.....، ص٢٣٧.

٢٤٩ د. و. م. خ/ مهدية ١/١٨/٢ من خاطر حميدان إلى الخليفة عبد الله، ١٧ صفر ١٣٠٦هـ، اكتو بر ١٨٨٨م، ص١٢٠.

٢٥٠ إبراهيم فوزي، مصدر سابق، ج٢، ص٣٠٣- ٣٠٤ .

وعندما كان حامد علي إدريس مع أبو قرجة في كسلا سعى إلى الوشاية بأبو قرجة عند الخليفة عبد الله وذلك عندما كتب للخليفة عبد الله يخبره بأنّ أبو قرجة الموجود في كسلا غير مهتم بأمر المهدية وذلك لاهتمامه بزراعته والتي يعطيها كل وقته، ويعامل الأنصار معاملة سيئة، وأنّ البوستة إذا حضرت تجده مع زراعته بالإضافة إلى عدم اهتمامه بأمر الدين.(٢٥١)

عندما كان أبو قرجة في كسلا، صدر له الأمر من الخليفة عبد الله بأن يتوجه إلى سواكن، عندها طلب أبو قرجة من الخليفة عبد الله أن يصطحب معه قوات الجهادية ولكن الخليفة عبد الله رفض هذا الطلب، وأمر أبو قرجة بأن يتركهم في كسلا الشيء الذي ساهم في فرارهم من المدينة.(٢٥٢)

قبل أن يتوجه أبو قرجة إلى خط الاستواء شارك في عدد من المعارك ضد القوات الإيطالية، وقد أرسل الخليفة عبد الله إليه كل من النصري العالم وحامد علي لكي يعاونوه في حربه ضد الطليان.(٢٥٣)

أرسل الخليفة عبد الله محمد عثمان أبو قرجة إلى خط الاستواء في عام ١٨٩٣م/١٣١٠هـ، ومعه ٣٠٠ مقاتل.(٢٥٤)

هنالك رأي يقول بأنّ أبو قرجة تم نفيه إلى الرجاف وتم سجنه هنالك ضمن سجناء الأشراف، ولكن تشير وثائق المهدية إلى أنّ أبو قرجة كان

---

٢٥١ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٦/١ من حامد علي إدريس إلى الخليفة عبد الله، ١٨ ربيع أول ١٣٠٩هـ، ديسمبر ١٨٩١م، ص٢٤٠.

٢٥٢ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٥/١ من محمد عثمان أبو قرجة إلى الخليفة عبد الله، ٣ رجب ١٣٠٨هـ، فبراير ١٨٩١م، ص١٤٨.

٢٥٣ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٥/١ من محمد عثمان أبو قرجة إلى الخليفة عبد الله،، ٢١ شوال ١٣٠٨هـ، مايو ١٨٩١م، ص١٦٢.

٢٥٤ إبراهيم فوزي، مصدر سابق، ج٢، ص٢٨٨-٢٨٩.

عاملاً على الرجاف عندما قام الخليفة عبد الله بإرسال الأشراف الذين قاموا بالثورة ضده إلى أبو قرجة في الرجاف، وطلب منه الخليفة عبد الله أن يشدد عليهم الحراسة، وأتبع الخليفة تلك الأوامر بخطابين آخرين وألحق بهم محمد الخير عبد الله بالرجاف ضمن أسرى الأشراف، وذكر الخليفة عبد الله لأبو قرجة بأنّ هذا الإجراء يعد نفياً لهم.(٢٥٥) ويرجح أن ابوقرجة قد تم ابتعاثة من قبل الخليفة عبد الله إلى الرجاف،وهنالك قد تم تجريده بواسطة عربي دفع الله.

وشدد الخليفة عبد الله على أبو قرجة في أمر الأشراف الذين معه بالرجاف وطلب منه أن يشدد عليهم الحراسة وأن لا يسمح بفرار واحد منهم لأنّ ذلك يعد من الإهمال الشيء الذي يترتب عليه عواقب وخيمة.(٢٥٦)

وإمعاناً في التشديد على الأسرى في الرجاف صدر الأمر من الخليفة عبد الله إلى أبو قرجة بأن يعمل على تكبيلهم بالمكية*٢٥٧، والبعض من الأشراف يكبل بأكثر من مكية واحدة، ومن الذين يكبلون بأكثر من مكية واحدة ود العريق وعمر الياس أم برير وعبد الكبير أبو صفية.(٢٥٨)

لقد كان مساجين أبو قرجة من الأشراف يتكونون من البدوي والعريق وعمر الياس أم برير وملازميه الخليفة محمد شريف، وكانت أعداد المسجونين

---

٢٥٥ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٥/١ من محمد عثمان أبو قرجة إلى الخليفة عبد الله، ١٢ جماد أول ١٣١٠هـ، ١٨٩٢م، ص٢١٤.

٢٥٦ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٥/١ من محمد عثمان أبو قرجة إلى الخليفة عبد الله، ٨ جماد أول ١٣١٠هـ، ١٨٩٢م، ص٢٢١.

٢٥٧ * المكية هي عبارة عن قيد حديدي كانت تستخدمه الحكومة التركية في تقييد السجناء، وقد استخدمته الدولة المهدية،انظر يوسف ميخائيل، مصدر سابق، ص١٠٤.

٢٥٨ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٥/١ من محمد عثمان أبو قرجة إلى الخليفة عبد الله، ٤ جماد آخر ١٣١٠هـ، ١٨٩٢م، ص٢٢٢.

في ازدياد، وعندما وصل عددهم إلى واحد وعشرين مسجوناً، عمل أبو قرجة على فصلهم حيث حبس كل واحد في زريبة وحده وشدد على قواته بأن لا يتحدثوا إليهم.[٢٥٩]

تأسيس مراكز في بحر الجبل:

طلب أبو قرجة من الخليفة عبد الله أن يعمل على تشييد مراكز على بحر الجبل وأن يمد هذه المراكز بالأنصار وذلك لأنّ عدد الأنصار الموجودين في هذه المنطقة قليل.[٢٦٠]

وقد كان أبو قرجة يقوم برفع كشوفات مفصلة عن أعداد القوات التي معه ومن مات منهم والكيفية التي مات بها، وقد ذكر أبو قرجة للخليفة عبد الله أنّ بعض قواته قد توفوا بصورة طبيعية والبعض الآخر منهم ألتهمتهم التماسيح والبعض استشهد في المعارك.[٢٦١]

سجن محمد عثمان أبو قرجة:

صدرت الأوامر من الخليفة عبد الله إلى عربي دفع الله بأن يستلم الأسلحة والذخيرة من محمد عثمان أبو قرجة، وقد نفذ عربي دفع الله المهمة حيث استلم من أبو قرجة ١٨ بندقية و٤٤ دستة من الذخيرة وهي جميع ما وجد مع أبو قرجة.[٢٦٢]

---

٢٥٩ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٥/١ من محمد عثمان أبو قرجة إلى الخليفة عبد الله، ٤ الحجة ١٣١٠هـ، ١٨٩٢م، ص٢٣١.

٢٦٠ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٥/١ من محمد عثمان أبو قرجة إلى الخليفة عبد الله، ٧ صفر ١٣١١هـ، أغسطس ١٨٩٣م، ص٢٣٩.

٢٦١ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٥/١ من محمد عثمان أبو قرجة إلى الخليفة عبد الله، ١٥ صفر ١٣١١هـ، أغسطس ١٨٩٣م، ص٢٤٧.

٢٦٢ د. و. م. خ/ مهدية ٣/٣٢/١ من عربي دفع الله إلى الخليفة عبد الله، ٢٢ جماد آخر ١٣١١هـ، يناير

مكث أبو قرجة في الرجاف سجيناً حتى مجيء الاحتلال الإنجليزي المصري للسودان ثم ذهب إلى دارفور للإقامة بها ومنها تحرك نحو أم غنيم بالقرب من الكوة وأصبح عمدة أهله في فترة الحكم الثنائي، وعندما داهمه المرض تحرك للإقامة في أم درمان حيث توفي فيها عام ١٩١٦م/١٣٣٥هـ.[٢٦٣]

تحرك النجومي نحو مصر:

مع بداية عام ١٣٠٣هـ/١٨٨٦م قام الخليفة عبد الله بإرسال الأمير عبد الرحمن النجومي إلى بربر ليتحرك منها إلى دنقلا، ومعه جميع قوات الراية الحمراء، وقد وصل إلى دنقلا في أواخر عام ١٣٠٣هـ/١٨٨٦م واتخذ منها معسكراً لقواته وقام بإرسال الطلائع إلى جنوب مدينة حلفا.[٢٦٤]

كان عدد القوات التي تحركت نحو بربر تحت قيادة النجومي تقدر بحوالي سبعين ألفاً، وعندما وصلوا إلى بربر تفرق الكثير من تلك القوات في أنحاء البلاد ولم يبقَ منهم سوى عشرين ألف مقاتلٍ منهم عشرة ألفٍ من الجهادية الذين تمردوا علية ولكنه اكتشف هذا التمرد واستطاع أن يقضي على هذا التمرد، وبعد أن وصل إلى دنقلا قام الخليفة عبد الله بتعيين مساعد قيدوم مدعوماً بعدد من المقاتلين لكي يكون وكيلاً لعبد الرحمن النجومي.[٢٦٥]

وحدث نفور واضح بين النجومي ومساعد قيدوم حتى وصل مرحلة أنّ كل واحد منهم يقوم باستعراض جيشه وحده، وفي عام ١٣٠٥هـ/١٨٨٨م

١٨٩٤م، ص٤٥.

٢٦٣ عبد الله محمد أحمد حسن، مرجع سابق، ص٢١٩.

٢٦٤ إبراهيم فوزي، مصدر سابق، ج٢، ص١٠٩.

٢٦٥ المصدر نفسه، ج٢، ص١٧٧.

قام الخليفة باستدعاء الأمير عبد الرحمن النجومي إلى أم درمان وقام بتأنيبه وتحقيره أمام الناس، وذكر له بأنه شخص منفعل ولا يصلح للقيادة، وفي أواخر عام ١٣٠٥هـ/١٨٨٨م رجع النجومي إلى دنقلا بغرض التقدم نحو مصر، وعند حلول ١٣٠٦هـ/١٨٨٩م انتشرت المجاعة في جميع أنحاء السودان، وقام الخليفة عبد الله بتعيين يونس الدكيم قائداً عاماً وعاملاً على دنقلا، وأمره بأن يضغط على النجومي لكي يتحرك نحو مصر.[٢٦٦]

لقد تم نقل يونس الدكيم من القلابات إلى دنقلا، وقد كان نقله بعد خلاف نشب بينه وبين حمدان أبو عنجة، وسبب هذا الخلاف أنّ يونس الدكيم قد تغول على سلطات حمدان أبو عنجة في القلابات، وتأكد الخليفة عبد الله من عدم استمرارهم مع بعض في القلابات ولذلك تم تعيين يونس الدكيم عاملاً على كل الجيش في دنقلا.[٢٦٧]

ومما شجع الخليفة عبد الله للضغط على النجومي للتحرك نحو مصر أنّ عدداً من القبائل في جنوب مصر قد أبدت الموافقة على الوقوف مع قوات الخليفة عبد الله ضد القوات المصرية، ومن تلك القبائل قبيلة الجعافرة، ورغم مرض النجومي تحرك بجيشه الذي فرّ عدد كبير منه من دنقلا نحو الشمال وقام بصرف مقدار قليل من الذرة لكل مقاتل وهو شيء لا يكفي لإطعام قواته.[٢٦٨]

انضم إلى النجومي في دنقلا ٢٠٨٧ مقاتلاً من قبيلة البطاحين، وقد

٢٦٦ المصدر نفسه، ج٢، ص١٧٨-١٧٩.

٢٦٧ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٦٨/١ من الخليفة عبد الله إلى حمدان أبو عنجة، ٢٥ جماد أول ١٣٠٦هـ، يناير ١٨٨٩م، ص٢٧٢.

٢٦٨ إبراهيم فوزي، مصدر سابق، ج٢، ص١٧٩-١٨٠.

استقبلهم النجومي بعرضه كبيرة خارج المدينة، ورفع لنجومي كشف شامل للخليفة بالأعداد التي انضمت إليه وسلاحهم وراياتهم.[٢٦٩]

لقد كان قوام قوات النجومي يتكون من قوات الراية الحمراء بالإضافة إلى قوات القبائل التي انضمت إلى النجومي مثل الرباطاب والجعليين والشايقية والشكرية والدناقلة والمحس والرزيقات والهبانية، والمسيرية، وقد كانت أسلحتهم بدائية مقارنةً بأسلحة القوات المصرية، حيث كان الخليفة عبد الله يعتقد بأنّ سلاح القوات المصرية هو نفس السلاح الذي قاتلوا به ضدهم في سنوات المهدية الأولى.[٢٧٠]

وقد كانت أعداد القوات التي مع النجومي في دنقلا قبل أن تتحرك منها شمالاً تتكون من ١١٩٧٧ مقاتلاً وعدد الخيول ٨٤٠ أمّا السلاح الأبيض فقد بلغ ٢٨٤١ قطعة سلاح، هذه الأعداد كانت في ٧ ربيع أول ١٣٠٦هـ/نوفمبر ١٨٨٩م.[٢٧١]

هروب قوات النجومي:

لقد كانت هنالك حالات هروب وسط جيش النجومي وأهالي دنقلا، وقد بدأ هروب الجهادية عندما تحرك النجومي من دنقلا نحو كرسكو، وقد هرب الجهادية الذين يعلمون بالمدافع وانضموا للجيش المصري، وقد هرب ٣٢ جهادياً وهرب أيضاً رئيس الطوبجية بخيت جاموس الشيء الذي جعل

---

٢٦٩ د. و. م. خ/ مهدية ١/١ من عبد الرحمن النجومي إلى الخليفة عبد الله، ٨ ربيع أول ١٣٠٦هـ، نوفمبر ١٨٨٨م، ص٨٩.

٢٧٠ عبد الوهاب أحمد عبد الوهاب، مرجع سابق، ص٤٩-٥٠.

٢٧١ د. و. م. خ/ مهدية ١/١ من عبد الرحمن النجومي إلى الخليفة عبد الله، ٧ ربيع أول ١٣٠٦هـ، نوفمبر ١٨٨٨م، ص٨٥.

النجومي يفقد عدداً من جنوده المهمين، ومما أزم موقف النجومي هروب الجهادية الذين يحملون المدافع، ونفقت الإبل التي معه مما الذي دفعه إلى تكليف بعض الأنصار بجر المدافع لمسافة طويلة ثم دفنها بعد ذلك لكي لا تقع في يد القوات الإنجليزية والمصرية.[٢٧٢]

وقد شملت حالات الهروب الأهالي المتواجدين في دنقلا، حيث هرب عدد منهم إلى جهة القوات المصرية والانضمام إليها، واستغلوا في ذلك المراكب، فصدر توجيه من محمد خالد إلى حمودة إدريس رئيس نقطة دلقو بأن لا يسمح لأي مركب بالمرور ما لم تكون تحمل تصريحاً بالمرور.[٢٧٣]

الخلاف بين النجومي ومساعد قيدوم ويونس الدكيم:

لقد عصفت بالجبهة الشمالية موجة من الخلافات بين قادة الدولة المهدية، ومن أبرز تلك الخلافات التي انعكست سلباً على أداء قوات المهدية، الخلاف الذي تجدد بين النجومي ومساعد قيدوم، وهذا الصراع بذل فيه الخليفة عبد الله دوراً مقدراً في حسمه، وقد كان كل من النجومي ومساعد قيدوم يطلبون من الخليفة عبد الله الإذن بالحضور إلى أم درمان وتوضيح وجهة نظره، وتحول الصراع إلى صراع آخر بين يونس الدكيم ومساعد قيدوم.

وقد كان الصراع بين النجومي ومساعد قيدوم صراعاً إدارياً وليس قبلياً، وما يدل على ذلك أنّ مساعد قيدوم قد دخل في صراع آخر مع

---

٢٧٢ د. و. م. خ/ مهدية ١/١ من عبد الرحمن النجومي إلى الخليفة عبد الله، القعدة ١٣٠٦هـ، أغسطس ١٨٨٩م، ص١٠٣.

٢٧٣ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٣٧/١ من محمد ود بشارة إلى حمودة إدريس، ١٦ شوال ١٣١٣هـ، مارس ١٨٩٦م، ص١٧.

يونس الدكيم، والصراع بين النجومي ومساعد قيدوم يرجع إلى أسباب إدارية وتنظيمية وأسباب أخرى شخصية غير قبلية، ولكن هذا الصراع في نهاية الأمر أضعف من قوة الجيش.[٢٧٤]

رغم الخلاف الواضح بين النجومي ومساعد قيدوم إلا أنّ الخليفة عبد الله قد استطاع أن يصلح بينهم، وبعد هذا الصلح طلب الخليفة من النجومي أن يعمل على ترحيل عائلة مساعد قيدوم من صرص إلى دنقلا على أن يوكل أمر ترحيلهم إلى عدد من أتباعه.[٢٧٥]

تنظيم جيش النجومي في الشمال:

كانت هنالك العديد من التوجيهات التي تصدر من الخليفة عبد الله إلى النجومي بخصوص الجيش الذي معه، وقد طلب منه تنظيم جيشه وتقسيمه إلى أربع رايات كبيرة، وأن يقوم بتوضيح أعداد الجيش وأعداد الأرباع وسلاحهم وأن يقوم بتعيين الأشخاص القادرين على الإدارة والقيادة أمثال مساعد قيدوم وعبد الحليم مساعد ومحمد حمزة، كقادة للربع وأن يستعرض الجيش في شكل صف واحد بدلاً عن التربيعات، والهدف من أسلوب الصف إدخال الخوف في نفوس الأعداء.(٢٧٦)

قسم النجومي جيشه إلى أربعة أقسام وهي كالآتي:

القسم الأول تحت قيادة النجومي ٧٤٠٠

٢٧٤ عبد الوهاب أحمد عبد الوهاب، مرجع سابق، ص٧٧.

٢٧٥ د. و. م. خ/ مهدية ١/١ من عبد الرحمن النجومي إلى الخليفة عبد الله، ١٤ رجب ١٣٠٥هـ، مارس ١٨٨٨م، ص٤٣.

٢٧٦ د. و. م. خ/ مهدية ١/١ من عبد الرحمن النجومي إلى الخليفة عبد الله، ٢٤ صفر ١٣٠٦هـ، اكتو بر ١٨٨٨م، ص٦٦.

القسم الثاني تحت قيادة إسماعيل حركة ٢٠٠٠

القسم الثالث تحت قيادة عبد الحليم مساعد ٢٢٠٠

القسم الرابع تحت قيادة مساعد قيدوم ١٢٠٠

المجموع ١٢٨٠٠[٢٧٧]

لقد كانت قوات النجومي الموجودة في صرص تحت قيادة عبد الحليم مساعد تعاني من الجوع والعري والإرهاق، الأمر الذي دفع الأمير عبد الحليم مساعد بأن يكتب للأمير عبد الرحمن النجومي يطلب منه إرسال مدد من الغذاء والكساء، ولكن في نفس الوقت كانت قوات النجومي تعاني أشد المعاناة ولذلك رفع النجومي طلب الدعم إلى الخليفة عبد الله.[٢٧٨]

لقد ساهم الجوع وبصورة مباشرة في فرار عدد من قواته إلى داخل الأراضي المصرية، الشيء الذي أدخل الحزن في نفس النجومي لأنه لم يكن يعتقد بأن أحداً من قواته سوف ينضم إلى معسكر الأعداء.[٢٧٩]

ونتيجةً لحالة الجوع طلب عبد الحليم مساعد من مساعد قيدوم السماح له بالدخول إلى الأراضي المصرية والعمل على جلب الغذاء من هنالك، ولكن قوبل طلبه بالرفض وهذا الرفض صادر من الخليفة عبد الله، وذكر مساعد قيدوم لعبد الحليم مساعد بأنّ القوات المصرية لم تدخل إلى الأراضي السودانية ولذلك لا يمكن مهاجمتهم أو دخول أراضيهم.[٢٨٠]

٢٧٧ Wenqet,op.cit. p 491.

٢٧٨ د. و. م. خ/ مهدية ١/١ من عبد الرحمن النجومي إلى الخليفة عبد الله، ربيع أول ١٣٠٦هـ، نوفمبر ١٨٨٨م، ص٩٢.

٢٧٩ د. و. م. خ/ مهدية ٣/١/١ من عبد الرحمن النجومي إلى يونس الدكيم، ٢٩ القعدة ١٣٠٦هـ، يوليو ١٨٨٩م، ص٣٢.

٢٨٠ د. و. م. خ/ مهدية ٣/١/١ من عبد الحليم مساعد إلى الحليم مساعد، ٢٤ رمضان ١٣٠٥هـ، مايو

الخطابات المتبادلة بين النجومي وسردار الجيش المصري:

كانت هنالك عدد من الخطابات التي بعثها سردار الجيش المصري جرنفل إلى عبد الرحمن النجومي، وعندما علم الخليفة عبد الله بتلك الخطابات طلب من النجومي عدم الرد على تلك الرسائل لأنّ جميع الخطابات التي ترد إليه من جرنفل لا تحتوي إلا على الغش والخداع، وأنّ هذا المنع يأتي من باب سد الثغرات، وذكره بكتابات جرنفل إلى عثمان دقنة عندما كان في كسلا حيث امتنع عثمان دقنة عن الرد الشيء الذي أدى إلى أن يقطع جرنفل تلك الرسائل مع عثمان دقنة.(٢٨١)

لقد كانت للخليفة نظرة بعيدة تجاه الرسائل التي ترد إلى النجومي من سردار الجيش المصري، وقد كان الخليفة عبد الله يقرأ الأحداث جيداً، فقد خشي من كتابات سردار الجيش المصري على تماسك النجومي، وأن يستثمر جرنفل النقص في الغذاء والسلاح والذخيرة في الضغط على النجومي ويدفعه إلى التسليم، ولخوف الخليفة عبد الله من ذلك نجده قد منع النجومي من الرد على تلك الرسائل.

وساطة محمد سر الختم بين النجومي والحكومة المصرية:

حاول محمد سر الختم الميرغني التوسط بين النجومي والحكومة المصرية، وقد ذكر للنجومي بأنه سوف يعمل على رفع مطالبه إلى الحكومة المصرية، ويعمل كذلك على وقف الحرب بين النجومي والحكومة المصرية، وسوف يسعى

١٨٨٨م، ص٦٧.

٢٨١ د. و. م. خ/ مهدية ٣/١/١ من الخليفة عبد الله إلى عبد الرحمن النجومي، ١٥ الحجة ١٣٠٦هـ، ابريل ١٨٨٩م، ص٥٣.

إلى إقناع الحكومة المصرية بعدم التقدم جنوباً داخل الأراضي السودانية.(٢٨٢)

تقدم قوات النجومي نحو الأراضي المصرية:

لم تنجح وساطة السيد محمد سر الختم الميرغني ولم يستطع جرنفل أن يستميل النجومي[٢٨٣*] ويقنعه بالتسليم، وقد تحركت القوات المنهكة، حتى وصلت إلى سمنه حيث بلغ عددها هناك ٤٠٠٠ مقاتل والنساء والأطفال ٧٠٠٠، وأمّا الجيش الذي كان تحت قيادة عبد الحليم مساعد ١٢٠٠ والنساء والأطفال ١٠٠٠.(٢٨٤)

وقتل من الأمراء في أرقين ٦ وأمّا الخسائر في المعركة الفاصلة والتي حدثت في توشكى فقد خسر النجومي ١٢٠٠ قتيل و٤٠٠٠ أسير، وقتل النجومي في هذه المعركة، وبعد مقتله حاول أصحابه حمله على جمل والدخول به إلى داخل الأراضي السودانية، ولكن فرق المطاردة المصرية استطاعت أن تلحق بهم وتستولي على جثمان الأمير البطل التي وجد معها ابن عبد الرحمن النجومي عبد الله الذي نجا من المعركة.(٢٨٥)

تجريد الراية الخضراء:

بعد فشل انتفاضة الأشراف حاول الخليفة علي ود حلو تصعيد مطالب أبناء المهدي ولكنه فشل في ذلك، وقد قام الخليفة علي ود حلو بعقد اجتماعٍ سريّ للتفاكر في الأسلوب الذي سوف يتبعه في تنفيذ ما يخطط له، ولكن

---

٢٨٢ د. و. م. خ/ مهدية ١/٧ من محمد سر الختم الميرغني إلى عبد الرحمن النجومي، ٧ ربيع آخر ١٣٠٤هـ، ديسمبر ١٨٨٦م، ص١.

٢٨٣ * أنظر ملحق رقم (٢/أ) و(٢/ب).

٢٨٤ Wenqet,op.cit .p 491.

٢٨٥ علي محمد بركات، مرجع سابق، ص٤٣.

أحمد شرفي كشف أمر الخليفة علي ود حلو للخليفة عبد الله، الشيء الذي جعل الخليفة عبد الله يشرع في تجريد الخليفة علي ود حلو من جميع رجاله وسلاحه ورايته، وبذلك يكون الخليفة عبد الله استطاع أن يقلص دور الخليفتين وأن يصبح دورهم دوراً رمزياً فقط في الدولة. [٢٨٦]

هنالك اختلاف حول تجريد الخليفة علي ود حلو، ومن هذه الآراء أنّ تجريد الخليفة علي ود حلو قد تم بعد أن تحرك الخليفة محمد شريف نحو شمال أم درمان، وحاول التحرك نحو مصر، عندها طلب الخليفة عبد الله من الخليفة علي ود حلو تسليم راياته وسلاحه مقارناً بالخليفة محمد شريف وسوف يعمل على ردهم إليه بعد ذلك. والرأي الثاني أنّ التجريد قد تم بعد ثورة الأشراف، حيث حاول الخليفة علي ود حلو تبني مطالب أبناء المهدي الذين لم ينصفهم الخليفة عبد الله وعمل على سجنهم.

نعتقد بأنّ حادثة التجريد بالنسبة للخليفة علي ود حلو قد تمت بعد انتفاضة الأشراف، وأنّ الخليفة عبد الله ورغم العلاقة التي تربطه بالخليفة علي ود حلو سعى إلى تجريده، وذلك كي يضع كل السلطات العسكرية والإدارية في يد الأمير يعقوب ويصبح المسيطر على الوضع العسكري في أم درمان وبقية الأقاليم.

أمراء الراية الخضراء:

من أشهر أمراء الراية الخضراء موسى ود حلو أخ الخليفة علي ود حلو من قبيلة دغيم من أسرة عرفت بالدين، اشترك في المعارك التي سبقت

---

٢٨٦ Wenqet,op.cit. p. 525.

فتح الخرطوم، أرسل من قبل المهدي لصد القوات التي حضرت لإنقاذ غردون، وقد دخل مع تلك القوات في مواجهة مباشرة معهم في أبو طليح واستشهد فيها.

ومن الأمراء كذلك البشير عجب الفيه، وهو من كبار قادة الراية الخضراء وهو من قبيلة كنانة ذات السبق في تأييد المهدية، وهو من أوائل الذين بايعوا المهدي وقد استشهد في أم دبيكرات.(٢٨٧)

---

٢٨٧ عبد الله محمد أحمد حسن، مرجع سابق، ص٢٢٤.

المبحث الثاني

الرايـــــة الزرقـــــاء

بعد أن كسب الخليفة عبد الله الصراع حول السلطة، اتجه إلى كسب ولاء الجيش والسيطرة عليه، فأصبح الجيش هو جيش الدولة التي يسيطر عليها الخليفة عبد الله وأهله التعايشة بالإضافة إلى سنده الأمير يعقوب، وشهدت مؤسسة الجيش العديد من التصفيات وسط قادة الجيش وذلك بهدف إبعاد أولاد البلد من قيادة الجيش وإحلالهم بالتعايشة، ونتيجه لهذه السياسة أصبحت عشيرة الخليفة عبد الله القادة الفعليين للجيش.[٢٨٨]

بعد ذلك اتجه الخليفة عبد الله إلى أم درمان عاصمة الدولة الوليدة، حيث جعلها مركزاً للقوات وأكبر حشد عسكري وبها أكبر حامية عسكرية على نطاق الدولة المهدية، وكان الخليفة عبد الله يهدف من كل هذا الحشد العسكري إلى تأمين العاصمة من أي انقلاب ضده وذلك بعد انتفاضة الأشراف، وكان يطمح أيضاً إلى أن تصبح أم درمان المركز الإداري وصاحبة الاحتياطي الاستراتيجي من القوات والأسلحة والغلال ورئاسة الرايات ومقر الراية الزرقاء ومركز التجنيد.[٢٨٩]

وضع الراية الزرقاء بعد تجريد الخليفتين علي ود حلو والخليفة محمد شريف

تعتبر الراية الزرقاء من أكبر الرايات، وذلك منذ حياة المهدي، ولقد

٢٨٨ محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث، ....، ص٢٤٦.

٢٨٩ عصمت حسن زلفو، كرري، ....، ص١٣٣.

توسعت هذه الراية وأصبحت الراية المركزية بعد تجريد الخليفتين الخليفة محمد شريف والخليفة علي ود حلو. ولم يكن للراية الزرقاء بيت مال خاص في الدولة المهدية وذلك يرجع إلى المكانة التي يحتلها أميرها الأمير يعقوب، وقد كان بيت مال العموم هو بيت مال الراية الزرقاء، أمّا من ناحية التسلسل القيادي داخل الراية الزرقاء فقد كان الأمير يعقوب هو قائد الراية الزرقاء والقائد العام للجيش ثم بعد ذلك تأتي الرايات الكبيرة والتي تعرف برايات الأرباع وهي تسع رايات، ثم تأتي الرايات الصغرى وهي اثنتان وأربعون راية. ومن الرايات الكبيرة يتفرع الفرسان والمجموعات الأخرى التي تعرف برأس الميات وبعدها يأتي المقدمية.[٢٩٠]

وهناك أيضاً رأس الخمسين وهو من يرأس خمسين، والمقدم يرأس خمسة وعشرين.[٢٩١]

وقد كانت للأمير يعقوب سلطة واضحة على الراية الزرقاء وعلى كل الجيش، حيث كان الخليفة عبد الله يؤكد سلطة الأمير يعقوب على الراية الزرقاء وقد وضح ذلك في المنشور الذي أرسله الخليفة عبد الله إلى محمد ود التويم عامله على الراية الزرقاء والذي جاء فيه (...فلا زلت يا حبيبي قم بأمور رايتك وكل ما يحدث لك ولجماعتك من الأمور أجري عرضه ليعقوب فإن أمكنه قضاه بمعرفته يريح فيه وإلا يرفعه إلينا للنظر فيه ولا يحصل إلا الخير...).[٢٩٢]

---

٢٩٠ حاتم الصديق محمد أحمد، مرجع سابق، ص١٣٦.

٢٩١ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٣٣/٢ من الأمير يعقوب إلى محمود ود أحمد، ٢٢ شعبان ١٣١١هـ، فبراير ١٨٩٤م، ص٨٦.

٢٩٢ د. و. م. خ/ مهدية دفتر صادر من الخليفة عبد الله إلى محمد تويم، ٢٧ محرم ١٣٠٣هـ، اكتو بر ١٨٨٥م، ص٦.

لقد كان وضع الراية الزرقاء مميزاً فلم تكن وحدة قتالية عادية، فهي في البداية كانت تمثل كل جيش المهدي ثم أصبحت الراية الرئيسية لكل الجيش، وبعد تقسيم الجيش إلى رايات أصبحت تضم مقاتلي غرب السودان وأصبح الملازمية هي القوة النارية الرئيسية، وتحولت الراية الزرقاء إلى شبه تجمع للجيش الاحتياطي. وهنالك عاملان مهدا لذلك، أولهما أنّ الأمير يعقوب كان قائد الجيش وقائد الراية الزرقاء والذي يصدر مع الخليفة عبد الله أوامر الاستدعاء بالنسبة لقوات الاحتياطي.[٢٩٣]

والعامل الثاني تصفية الراية الحمراء والخضراء، حيث تمت إضافة كل مقاتلي الرايتين إلى الراية الزرقاء، وهم مقاتلو الشمال والجزيرة والنيل الأبيض، وبذلك تكون قد أصبحت الراية الأم وأصبحت تضم العناصر غير لنظامية وكل سكان أم درمان، ولهذا لم تمر الراية الزرقاء بالأطوار التي مرت بها بقية الوحدات القتالية، والتنظيم السائد في الراية الزرقاء تنظيم الرايات الخاصة بالقبائل والفروع تحت قيادة الزعماء الذين يتولون عملية تجميع أفراد قبائلهم ولذلك تتفاوت أحجام الرايات بين الألوف والعشرات أحياناً.

ويرجع السبب في ذلك إلى أعداد القبائل وحيوية زعمائها ومقدرتهم على حشد قبائلهم، ولقد اعتمدت الراية الزرقاء على الحشد القبلي وليس التنظيم القتالي، الأمر الذي جعل الراية الزرقاء تتخذ هذا الوضع الواجب التكتيكي نفسه الذي تقوم به، وقد مثلت الراية الزرقاء عنصر الاقتحام لحامية أم درمان وذلك لاشتمالها على الحرابة فقط بينما مثل الملازمية والمدفعية

---

٢٩٣ عصمت حسن زلفو، كرري،....، ص١٣٨.

عناصر النيران ولذلك اختفت في صفوف الراية الزرقاء بقية العناصر القتالية الموجودة في الأرباع النظامية كالجهادية والمدفعية، وانحصر تنظيم الراية الزرقاء في الرئاسة.[٢٩٤]

قوات الراية الزرقاء:

كان يقيم في أم درمان بصورة دائمة خمسمائة وخمسون فارساً من فرسان الراية الزرقاء، ولا يسمح لهؤلاء الفرسان بالابتعاد عن العاصمة إلا بمقدار مسافة يوم واحد، والغرض من ذلك أيضاً قوة ضاربة وسريعة بالقرب من الخليفة عبد الله وذلك تحسباً لأي خطر خارجي أو من داخل المدينة.[٢٩٥]

وقد كانت الراية الزرقاء تحاط بقدسية كبيرة ومكانة واضحة وسط الأنصار وقد وضح ذلك عندما أطلق الأنصار في الفاشر المنضوين تحت راية محمد ود بشارة اسم الراية الزرقاء على رايتهم، الشيء الذي أغضب الأمير عثمان آدم ووجه الأنصار المنضوين تحت راية محمد ود بشارة في الغرب بأن لا يطلقوا على رايتهم اسم الراية الزرقاء بل عليهم أن يطلقوا عليها اسم البرنجية لأنّ اسم الراية الزرقاء هو اسم راية الأمير يعقوب ولا يجب التعدي على هذا الاسم، ومن الجائز أن يطلقوا على رايتهم اسم الراية الكبيرة.[٢٩٦]

يتضح من خطاب عثمان آدم إلى المقاتلين تحت راية محمد ود بشارة أنّ راية ود بشارة كانت تقاتل تحت لواء الراية الزرقاء، ولكن مع ذلك لا يحق للمقاتلين

---

٢٩٤ عصمت حسن زلفو، كرري .....، ص١٣٨-١٣٩.

٢٩٥ محمد إبراهيم أبو سليم، تاريخ مدينة الخرطوم، .....، ص١٠٩.

٢٩٦ د. و. م. خ/ مهدية ١/٣٦/١ من عثمان آدم إلى عموم الأنصار بالسرية الغربية، ٨ رمضان ١٣٠٧هـ، ابريل ١٨٩٠م، ص١٦.

أن يطلقوا على رايتهم اسم الراية الزرقاء وذلك لأنّ الراية الزرقاء هي الراية الأم والتي تقاتل تحت لوائها كل الرايات، وإذا أُطلق على راية محمد ود بشارة اسم الراية الزرقاء يتقلص دور الراية المركزية في أم درمان وينحصر نشاطها في غرب السودان فقط.

الانضمام إلى الراية الزرقاء:

بعد أن أصبحت الراية الزرقاء، الراية المركزية ازدادت الطلبات على الخليفة عبد الله والأمير يعقوب بغرض الانضمام إلى الراية الزرقاء، وقد تقدم عدلان محمد سرور بطلب الانضمام إلى الراية الزرقاء هو وجماعته وقد وافق الخليفة عبد الله على هذا الطلب.(٢٩٧)

وانضم كذلك إلى الراية الزرقاء الضباينة بقيادة زعيمهم عوض الكريم عيسى زايد بعد أن طلب من الخليفة عبد الله أن يوافق على انضمامهم إلى الراية الزرقاء، وقد وجد طلبهم الموافقة من قبل الخليفة عبد الله.(٢٩٨)

من الملاحظ أنّ هنالك طلبات كثيرة للالتحاق بالراية الزرقاء، ومن الممكن أن يكون وضع الراية الزرقاء هو الذي شجع زعماء القبائل على الالتحاق بها ولأنها أصبحت الراية المركزية، ووقوعها تحت إشراف الأمير يعقوب.

وكان للراية الزرقاء في أم درمان رايات أخرى في العمالات، وعندما يرغب شخص في الانضمام إلى الراية الزرقاء أو إحدى الرايات التابعة لها، يقوم بتقديم

---

٢٩٧ د. و. م. خ/ مهدية ٣/١٨/١ من عثمان الدكيم إلى الخليفة عبد الله، ٢٥ ربيع أول ١٣٠٨هـ، اكتو بر ١٨٩٠م، ص٤٠٢.

٢٩٨ د. و. م. خ/ مهدية ١/٥/٣ من الخليفة عبد الله إلى عوض الكريم عيسى زايد، ٢٦ محرم ١٣٠٣هـ، اكتو بر ١٨٨٥م، ص٢٦.

طلب للخليفة عبد الله أو الأمير يعقوب، على أن يتضمن الطلب رغبة الشخص المعنى في الالتحاق بالراية الزرقاء. وقد تقدم الطيب الطاهر بطلب الانضمام للراية الزرقاء، وقد وجد طلبه الموافقة من قبل الخليفة عبد الله.[٢٩٩]

ولقد كان هنالك ضبط في عملية الدخول إلى الراية الزرقاء والرايات الأخرى، ويمكن للمقاتل الخروج من الراية والدخول في راية أخرى وذلك بعد تقديم ما يبرر أسباب الخروج، على أن يرفع طلبه للأمير يعقوب، وبعد أن يقتنع الأمير يعقوب يقوم بتحويل مقدم الطلب إلى الراية التي يرغب فيها كما حدث مع حمد إبراهيم وأخيه العوض إبراهيم عندما طلبوا الخروج من راية ود حمد والانضمام إلى راية أحمد حمدون.[٣٠٠]

لقد ساهم هذا الانضباط في استقرار الرايات وإتباعها، ونلحظ أنّ إشراف الأمير يعقوب قد ساهم في ضبط عملية التحرك، ولو ترك أمر الانتقال من راية إلى أخرى حسب هوى الشخص لانفلت عقد القوات المقاتلة في الدولة المهدية.

إشراف الأمير يعقوب على حركة المقاتلين داخل الدولة المهدية:

أكد الخليفة عبد الله لعثمان الدكيم بأنّ بقاء القوات أو تحركهم يكون بموافقة الأمير يعقوب (... أتو نحو الستة أنصار من دنقله ضمن اخوان الحبيب مقدم حمودة ورغبوا في الفضول معه وهو كذلك وبناء على رغبتهم

---

٢٩٩ د. و. م. خ/ مهدية ٣/٢/٧ من الخليفة عبد الله إلى الطيب الطاهر، ١٩ جماد أول ١٣٠٣هـ، فبراير ١٨٨٦م، ص١٧.

٣٠٠ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٣٣/١ من أحمد إبراهيم والعوض إبراهيم، إلى الأمير يعقوب، ٣٠ صفر ١٣٠٧هـ، سبتمبر ١٨٨٩م، ص١٠٤.

عرض منا في تاريخه لحضرة الأجل الأكرم يعقوب بن محمد بقصد الإذن نحو فضولهم وحيث الأمر كما نذكر نروم الإرشاد أنه من الآن فصاعدا إذا حضروا أمثال هؤلاء المذكورين نلتمس فضولهم كرغبة اخوانهم من لدن الأكرم يعقوب بن محمد...).[٣٠١]

وقد كان الأمير يقوم بتوزيع القبائل على الرايات المحددة لهم، وإذا حدث خلاف بين الأتباع حول الرايات والانتساب إليها، يتدخل الأمير يعقوب ويعمل على حل هذا الخلاف كما حدث مع جماعة محمد بيلو.[٣٠٢]

ونتيجةً للحركة الكثيفة للمقاتلين من أم درمان وخارجها كان هنالك بعض المقاتلين الذين يتحركون دون تصريح من العمالات أو الحاميات نحو أم درمان وقد كان معظم هؤلاء المقاتلين من جماعة حمدان أبو عنجة، ولكي تتم عملية ضبط هذه التحركات غير المنظمة كتب الأمير يعقوب إلى حمدان أبو عنجة الذي كان في جبال النوبة يخبره بأنّ أي شخص يتحرك نحو أم درمان من قواته دون تصريح سوف يلقى القبض عليه، وعلى حمدان أبو عنجة أن يصدر تصاريح تحرك لكل من يرغب في الحضور إلى أم درمان وذلك لضبط عملية التحرك نحو أم درمان وذلك لضبط عملية التحرك نحو العاصمة من جميع أنحاء السودان.[٣٠٣]

٣٠١ د. و. م. خ/ مهدية ٣/١٨/١ من عثمان الدكيم إلى الخليفة عبد الله، ٢٥ ربيع أول ١٣٠٨هـ، اكتو بر ١٨٩٠م، ص٤٠٢.

٣٠٢ د. و. م. خ/ مهدية ١/٣٣/٢ من الأمير يعقوب إلى محمود ود أحمد، ٢٦ الحجة ١٣٠٩هـ، يونيو ١٨٩٢م، ص١٣٦.

٣٠٣ د. و. م. خ/ مهدية ١/٣٣/٢ من الأمير يعقوب إلى حمدان أبو عنجة، ١١ شوال ١٣٠٣هـ، يوليو ١٨٩٦م، ص٢.

وقد امتد منعه التحرك إلى داخل سرية حمدان أبو عنجة، وإذا أراد أحد المقاتلين التحول من راية إلى أخرى داخل السرية تتم عملية التحول بعد وصول كل قوات حمدان أبو عنجة إلى أم درمان.(٣٠٤)

حصر مقتنيات الأمراء من قبل الخليفة عبد الله:

اهتم الخليفة عبد الله بحصر القوات المرابطة في مختلف العمالات، وقد اهتم بتعداد القوات المرابطة والمقاتلة، وقد طلب حمودة إدريس من محمد خالد زقل أن يقوم بعملية إحصاء للقوات التي معه وعدد الرايات، على أن يتضمن الكشف كل شخص يزيد عمره عن عشرة سنوات.(٣٠٥)

تبين هذه الرسالة أنّ الخليفة عبد الله اتجه إلى تجنيد الأطفال من عمر العاشرة وذلك لسد النقص الواضح في صفوف قواته، وذلك يرجع إلى امتناع عدد كبير من أبناء القبائل عن دخول الجيش بالإضافة إلى الحروبات الخارجية والداخلية، والتي تمثلت في صراع الخليفة عبد الله مع الأشراف والقبائل الأخرى مثل الكبابيش والضباينة والشكرية وقبائل رفاعة وسكان جبال النوبة، وحروبات خارجية ضد الحبشة ومصر، ولكي يغطي هذا النقص في القوات نجه قد اتجه إلى تجنيد الأطفال من سن العاشرة.

وقد كانت عملية حصر القوات والأسلحة الهاجس الذي يؤرق الخليفة عبد الله وأخيه الأمير يعقوب، حيث طلب الخليفة عبد الله من حمدان أبو عنجة

---

٣٠٤ د. و. م. خ/ مهدية ١/٣٣/٢ من الأمير يعقوب إلى حمدان أبو عنجة، ١١ جماد آخر ١٣٠٣هـ، مارس ١٨٩٦م، ص١١.

٣٠٥ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٣٧/١ من محمد علي إلى حمودة إدريس، ٥ شوال ١٣٠٧هـ، مايو ١٨٩٠م، ص٥.

والأمراء الذين معه القيام بحصر القوات التي معهم وسلاحهم على أن تشمل عملية الحصر قوات الجهادية والخيول والدروع والآلات الحديثة، وأكد الخليفة لحمدان أبو عنجة بأنّ الغرض من هذا الحصر معرفة مدى جاهزية قواته للقتال.[٣٠٦]

واهتم الأمير يعقوب وبصفته القائد العام للجيش بكشوفات القوات الموجودة خارج أم درمان، فقد طلب من أحمد السني بأن يقوم برفع كشف بالقوات الموجودة خارج أم درمان وفي شرق الجزيرة تحديداً وأسلحتهم وأعدادهم.[٣٠٧]

هنالك تنسيق بين الخليفة عبد الله والأمير يعقوب في عملية حصر القوات الموجودة خارج العاصمة أم درمان، ومطالبتهم لقادة المناطق العسكرية بإجراء حصر شامل للقوات الموجودة معهم بعد كل فترة وأخرى، على أن تشمل عملية الحصر أعداد القوات والأسلحة، والحالة العامة للجيش من حيث عدد المرضى والمتوفين والهاربين من جبهات القتال، ونجد أنّ هذا الإجراء من الخليفة عبد الله وأخيه الأمير يعقوب المقيمين في أم درمان بصورة دائمة قد جعلهم يلمون بكل تفاصيل قواتهم المرابطة في خارج العاصمة.

ولمعرفة مقتنيات الأمراء عمل الخليفة عبد الله على حصر مقتنياتهم، وقد كان الخليفة عبد الله يحدد أشخاص بعينهم للقيام بعملية الحصر وهم من أهل الثقة ويكونون من بيت المال، حيث كانوا يقومون بجرد كل ما

---

٣٠٦ د. و. م. خ/ مهدية ٢/A٢٦/١ من الخليفة عبد الله إلى حمدان أبو عنجة، ٢٢ محرم ١٣٠٦هـ، سبتمبر ١٨٨٨م، ص٢٢١.

٣٠٧ د. و. م. خ/ مهدية ١/B٧/٢ من أحمد السني إلى الأمير يعقوب، ١٤ جماد أول ١٣١٥هـ، اكتو بر ١٨٩٧م، ص١١.

يوجد في بيت الأمير المحدد، وقد قام الخليفة بحصر مقتنيات الأمير إبراهيم الخليل[٣٠٨]*.(٣٠٩)

كانت فكرة حصر مقتنيات الأمراء في الدولة المهدية من الإجراءات الإدارية المهمة، ويتضح خوف الخليفة عبد الله من أن يقوم الأمراء بجمع المال لأنفسهم ولذلك عمد إلى حصر ممتلكاتهم بالتفصيل، ونجد أنّ عملية الحصر لم تستثني إبراهيم الخليل.

طلب الأمير يعقوب من الصالح حماد[٣١٠]* حصر ما معه من القوات والأسلحة على أن يكون هذا الحصر بالتفصيل، وأن يقوم برفع كشف مفصل بذلك، وقد قام الصالح حماد بعملية الحصر ورفع الكشوفات إلى الأمير يعقوب حيث احتوى الكشف على عدد الجهادية والخيول والأسلحة.(٣١١)

وقد تحولت عملية الحصر من قبل الخليفة عبد الله إلى زعماء القبائل والأمراء وشملت حتى أمراء الرايات وشمل كذلك أي فرد في الدولة المهدية يرغب الخليفة عبد الله في معرفة ما عنده من أموال ومتعلقات، وللخليفة عبد الله الحق المطلق في التصرف في أموال أو ممتلكات الأمير أو شيخ القبيلة.(٣١٢)

---

٣٠٨ * إبراهيم الخليل أحمد هو أخ الأمير محمود ود أحمد من قادة الجهادية المعروفين، اعتمد عليه الخليفة عبد الله اعتماداً كبيراً في معظم الأمور العسكرية الكبيرة، ساهم في قمع انتفاضة سكان جبال النوبة ومن المعارضين لسجن ومقتل الزاكي طمل، اشترك في موقعة كرري واستشهد فيها. أنظر يوسف ميخائيل، مصدر سابق، ص٢٣٠.

٣٠٩ د. و. م. خ/ مهدية ١/٤٨/٢ كشف يحتوي بيان موجودات الأمير إبراهيم الخليل.

٣١٠ * الصالح حماد من أمراء المهدية وهو من التعايشة، كانت له سمعة طيبة لعدله بين الناس في منطقة الجزيرة. أنظر علي محمد علي، مرجع سابق، ص١٣٨.

٣١١ د. و. م. خ/ مهدية ٢/١٠/٣ من الصالح حماد إلى الأمير يعقوب، ١٠ محرم ١٣١٦هـ، مايو ١٨٩٨م، ص٥٤.

٣١٢ د. و. م. خ/ مهدية ٨١/٤٤/١، صادر، ص٥.

نلحظ بأنّ عملية الحصر في الدولة المهدية والتي شملت الأمراء والقادة وزعماء القبائل والتجار كانت تصدر من الخليفة عبد الله وأخيه الأمير يعقوب، الشيء الذي جعل سطوة الخليفة وأخيه الأمير يعقوب سيفاً مسلطاً على كل من يشك فيه الخليفة عبد الله.

استنفار القوات:

كان نظام الاستدعاء للقوات في الدولة المهدية يتم بطريقتين، الطريقة الأولى هي الطريقة المركزية، حيث تصدر أوامر الاستدعاء إلى أم درمان وضم القوات إلى الراية الزرقاء تمهيداً لإرسالهم للانضمام للحملات المختلفة، وهذه الطريقة تعتبر الطريقة المفضلة للخليفة عبد الله، وذلك لأنها تضع المقاتلين تحت الرقابة المباشرة في أم درمان، وقد واجهت هذه الطريقة بعض العقبات منها امتناع بعض المقاتلين عن الحضور إلى أم درمان، والشيء الثاني عدم تمكن قوات الخليفة عبد الله من الوصول إلى مناطق القبائل لإجبارهم على الهجرة. وهنالك طريقة ثانية وهي طريقة التعبئة المحلية التي يقوم بها قادة المناطق، وتتم التعبئة إذا أصبحت المنطقة مسرحاً للعمليات، وتستخدم التعبئة في الأمن الداخلي ومقاومة الثورات كما حدث في غرب السودان عندما قام عثمان آدم بجمع قبائل البقارة لمواجهة عصيان أبو جميزة، ومواجهة بعض القبائل المعارضة التي امتنعت عن الهجرة إلى أم درمان، وعندما قام محمود ود أحمد بتعبئة محلية في دارفور تمهيداً للتحرك نحو أم درمان.[٣١٣]

ولقد كانت أوامر التعبئة العسكرية العامة في الجيش تصدر من

---

٣١٣ عصمت حسن زلفو، كرري ....، ص٤٧.

الخليفة عبد الله والأمير يعقوب ومن ثم يتم تعميمها على باقي وحدات الجيش والأمراء.[٣١٤]

وقد استنفر الخليفة عبد الله سكان الجزيرة وذلك عندما طلب من الطاهر عربي أن يستنفر أهالي الجزيرة المتخلفين عن الجهاد أو الفارين من أم درمان.[٣١٥]

استدعاء زعماء القبائل:

استخدم الخليفة عبد الله أسلوب الخطاب المباشر إلى زعماء القبائل وذلك لدعوتهم للخروج إلى الجهاد أو أن يحضروا إلى أم درمان، وقد أرسل خطاب إلى أولاد العبيد ود بدر يأمرهم فيه بأن يخرجوا إلى الجهاد على أن لا يتأخر منهم أحد وأن يكون خروجهم بكل راياتهم.[٣١٦]

وقد قام الأمير يعقوب باستدعاء عدد من المجموعات والقبائل إلى أم درمان حيث استدعى أولاد العرب المتواجدين في مركز شاة إلى أم درمان.[٣١٧]

وشملت عملية الاستدعاء كذلك جميع أقاليم السودان حيث استدعى الأمير يعقوب قبائل كردفان بعواليها.[٣١٨]

وطلب الأمير يعقوب من يونس الدكيم إحضار المجاهدين إلى أم درمان من منطقة الجزيرة، وقد حدد الأمير يعقوب منطقة المناقل لإحضار

٣١٤ إبراهيم شحاتة حسن، مرجع سابق، ص٢٩٧.
٣١٥ د. و. م. خ/ مهدية ١/١٨/٢ من الطاهر عربي إلى الخليفة عبد الله، ١ رجب ١٣٠٦هـ، مار ١٨٨٩م، ص١.
٣١٦ د. و. م. خ/ مهدية ١/٤١/١ من الخليفة عبد الله إلى أولاد العبيد ود بدر، ص٢٦.
٣١٧ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٦/٢ من عبد القادر الوكيل إلى الأمير يعقوب، ٧ ربيع آخر ١٣١٥هـ، أغسطس ١٨٩٧م، ص٨٠.
٣١٨ د. و. م. خ/ مهدية ١/١١/٢ من يونس الدكيم إلى الأمير يعقوب، ٢٩ شوال ١٣١٥هـ، فبراير ١٨٩٨م، ص٩٢.

المجموعة الأولى من تلك القوات وقد نجح يونس الدكيم في إحضار مائة وتسعون مجاهد وثلاثماية خمسة وأربعون من أسرهم.[٣١٩]

كتابة أوامر الاستدعاء:

كانت أوامر الاستدعاء تصدر من الخليفة عبد الله والأمير يعقوب، وترسل الأوامر إلى الأمراء وجيش الاحتياطي لتعزيز أوامر التعبئة، حيث كلف أمراء الشمال بالانضمام إلى قوات النجومي، حيث كانت الأوامر تصدر كتابةً إلى العامل وترفق مع خطابات الصادر.[٣٢٠]

هدف الخليفة عبد الله إلى أن تكون قواته في حركة دائمة وأن تظل تلك القوات مشغولة بأمر الغزوات، وأن لا يصيب قواته الخمول، وذلك لكي لا يعتدوا على السكان أو نهبط روحهم المعنوية وتقل قدرتهم على خوض المعارك أو يفكر بعض القادة في الانفصال بمناطقهم.[٣٢١]

وقد كانت قوات الدولة المهدية في استنفار دائم في أم درمان وعلى حدود الدولة ولكن انصبّ التركيز على أم درمان لعدد من الاعتبارات منها أنّ أم درمان مركز القيادة وعاصمة الدولة ومقر الخليفة عبد الله ومنطقة استيداع الجيش، وبعد ذلك تأتي القلابات في المرتبة الثانية بعد أم درمان والتي بلغ عدد الجيش فيها ستين ألف وذلك عندما كان الصراع في أشده مع الأحباش، وبعد هزيمة الأحباش في معركة القلابات تم سحب هذا الجيش، وأرسل البعض منه إلى الجنوب والبعض الآخر إلى كسلا، أمّا الغرب فقد

٣١٩ د. و. م. خ/ مهدية ١/١١/٢ من يونس الدكيم إلى الأمير يعقوب، ٣٠ شوال ١٣١٥هـ، فبراير ١٨٩٨م، ص١٠٠.

٣٢٠ عصمت حسن زلفو، كرري،....، ص١٤٨.

٣٢١ إسماعيل عبد القادر الكردفاني، مصدر سابق، ص٩.

أبقى الخليفة عبد الله الجيش فيه محافظاً على قوته وعتاده وبذلك تكون دارفور قد أصبحت تشكل احتياطياً ثانياً ودائماً بعد أم درمان وهي بذلك تكون قد أصبحت احتياطي دائم، وكانت هنالك قوات في دنقلا، ولكن بعد هزيمة النجومي في توشكى تقلصت أعداد تلك القوات وأصبحت أعدادها بسيطة تقوم بحراسة الحدود في شكل دوريات.(٣٢٢)

تجديد البيعة في أم درمان:

كان الخليفة يقوم باستدعاء الجيش وقادته للحضور إلى أم درمان لحضور العيد وتجديد البيعة، على أن يحضر معهم جميع قواتهم، ومن القادة الذين تم استدعائهم لتجديد البيعة ومعهم جميع قواتهم لتجديد البيعة الأمير عبد الرحمن النجومي ومحمد عثمان أبو قرجة وعبد الحليم مساعد وعبد الصمد شرفي ومكين النور.(٣٢٣)

وكان الخليفة عبد الله يطلب أيضاً من زعماء القبائل البيعة والهجرة إلى أم درمان، وهنالك عدد من الزعماء الذين لم ينصاعوا لطلب الخليفة عبد الله فأوقع عليهم الخليفة عبد الله عقوبات صارمة، ومن هؤلاء الزعماء عوض الكريم أبو سن زعيم الشكرية الذي قبض عليه الخليفة عبد الله وأدخله السجن حتى قتل فيه عام ١٨٨٦م/١٣٠٤هـ، واستطاع أن يتخلص من مادبو على يد حمدان أبو عنجة، وسجن محمود ود زايد زعيم الضباينة، وقتل المرضي أبو روف شيخ قبيلة رفاعة، ودخل في صراع مع صالح فضل الله زعيم الكبابيش

٣٢٢ محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث، ....، ص١٤٧.

٣٢٣ د. و. م. خ/ مهدية ٣/١/٣ من الخليفة عبد الله إلى عبد الرحمن النجومي وأبو قرجة وآخرين، ١٣٠٢هـ،١٨٨٥م، ص١٠.

الذي عارض الخليفة عبد الله ولم يحضر لتجديد البيعة في أم درمان.[٣٢٤]

ولقد كانت سياسة التنفيذ وإحضار القبائل إلى أم درمان في المناسبات الكبيرة مثل الأعياد وعيد الأضحى تحديداً لتجديد البيعة تقع على عاتق زعماء القبائل وقادة المناطق على أن يحضروا معهم جميع الأسلحة والذخيرة، ومن يتخلف عن الحضور يتعرض لعقاب صارم من قبل الخليفة عبد الله، وقد حذر الخليفة عبد الله قبيلة الحلاوين من عاقبة عدم الحضور إلى أم درمان وعدم الامتثال لأمره (... ولا تتخلفوا فإنّ عاقبة التخلف وخيمة ولا نرضى لكم بها...).[٣٢٥]

وعندما يحضر المقاتلين إلى أم درمان يتم حصر ما معهم من أسلحة وخيول وسحبها منهم وإيداعها بيت الأمانة حتى يحين موعد خروجهم من أم درمان.[٣٢٦]

إنّ إجراء تجريد المقاتلين الوافدين إلى أم درمان من سلاحهم وخيولهم هو إجراء صادر من الأمير يعقوب لأنه الشخص المسئول عن تأمين العاصمة، وعملية نزع سلاحهم هو نوع من الحرص على أمن العاصمة.

يتضح أنّ الغرض من الحضور إلى أم درمان وذلك بالنسبة للقوات والقبائل والزعماء تجديد العهد للخليفة عبد الله المقيم في أم درمان العاصمة والتي لم يخرج منها قط، وتجديد العهد يعطي الخليفة عبد الله قدراً من تقدير الموقف العام للقبائل والقوات التي تقع خارج نطاق العاصمة، وكل من لا يحضر لتجديد البيعة يعمل الخليفة عبد الله على قتله أو تجريده أو ملاحقته.

---

٣٢٤ علي محمد علي، مرجع سابق، ص١٢٦.

٣٢٥ د. و. م. خ/ مهدية ٣/١/٣ من الخليفة عبد الله إلى جميع قبائل الحلاوين تحت إمرة محمد البصير، ٤ القعدة ١٣٠٢هـ، أغسطس ١٨٨٥م، ص٧.

٣٢٦ د. و. م. خ/ مهدية ١A/٤٤/١، بيانات مقاتلين، ص٤٨.

أثر مجاعة ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م على قوات المهدية:

حدثت مجاعة ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م نتيجةً لعدد من الأسباب، منها شح الأمطار وتهجير القبائل من مناطقها إلى أم درمان وتحديداً قبائل منطقة الجزيرة وكردفان ودارفور، وقد أثرت المجاعة بصورة مباشرة على النشاط العسكري لقوات المهدية، وعمت الفوضى جميع البلاد، وعملت قوات الدولة المهدية على مهاجمة الأهالي وعملت على سلب ما في أيديهم، وبلغ الجوع وسط الجنود في القضارف أنّ الزاكي لم يمنع قواته من التعدي على الناس والسبب في ذلك أنّ المجاعة كانت طاحنة وبيت المال في القضارف كان خالي ولا يحتوي على أي شيء.[٣٢٧]

وأصبح حال القوات في درجة من الضنك والعوز، وأصبحوا يأكلون لحوم الماشية الميتة ويلتقطون الحبوب من الأرض، ونتيجةً لهذه المجاعة الطاحنة سعى الخليفة عبد الله لتوفير المؤن التي تكفي قواته شر الموت جوعاً، ونتيجة حتمية لذلك توقفت المعارك ووقعت هدنة بين الخليفة عبد الله والأحباش.[٣٢٨]

الهروب من الجيش:

كانت هنالك بعض حالات الفرار من الجيش والرايات، حيث كان يحاول الفارين الذهاب إلى مناطق السودان المختلفة أو الرجوع إلى أم درمان، وعندما تحدث حالات هروب من الرايات أو الأرباع يتم إخبار الأمير يعقوب بأعداد الفارين والرايات التي يقاتلون تحت لوائها أو الأرباع، وعندما فر عدد

---

٣٢٧ محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث، ....، ص٢٧٠.

٣٢٨ سليمان محمد سليمان، الزاكي طمل، نوفمبر ١٩٥٥م، (ب.د)، ص٣٩-٤٠.

من أتباع سرية أبا سام قام الكتابة للأمير يعقوب يخبره بعملية الفرار.[٣٢٩]

وبعد أن تزايدت حالات الفرار من الجيش وأصبح الفارين يتجهون نحو الجزيرة، كتب الأمير يعقوب إلى أحمد السني العامل على منطقة الجزيرة يطلب منه القبض على كل من يهرب من السرايا المتوجهة إلى مناطق القتال أو من يحتمي منهم بمنطقة الجزيرة، وأن يعمل على تجريدهم من سلاحهم ومواشيهم وأن يعمل على إرسالهم إلى أم درمان، أمّا المهمات التي تقبض معهم تبقى مع أحمد السني في الجزيرة. وقد نجح أحمد السني في القبض على سبعة وعشرين جهادياً، وبلغ إجمالي المقبوض عليهم سبعة وستين نفراً تم إرسالهم إلى الأمير يعقوب في أم درمان.[٣٣٠]

واستطاع الشريف حميدان أن يلقي القبض على عدد من القوات التي فرت من جيش محمود ود أحمد واتجهت نحو الجزيرة، وبعد القبض عليهم قام بإرسالهم إلى الأمير يعقوب في أم درمان.[٣٣١]

وعندما تتم عملية هروب عدد من القوات يرسل كشف بأسماء الذين فروا من الجيش إلى الأمير يعقوب في أم درمان، الذي يقوم بدوره بإرسال عدد من القوات للقبض على الفارين، وفي بعض المرات وبعد أن يتم القبض عليهم يتم إرسالهم إلى مناطقهم التي هربوا منها وهم مكبلين بالسلاسل كما حدث للمجموعة التي هربت من الزاكي طمل.[٣٣٢]

---

٣٢٩ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٦/٢ من أبا سام إلى الأمير يعقوب، ١٧ صفر ١٣١٥هـ، يوليو ١٨٩٧م، ص٢١.

٣٣٠ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٩/٢ من أحمد السني إلى الخليفة عبد الله، ٢٥ جماد أول ١٣١٥هـ، سبتمبر ١٨٩٧م، ص١٦١.

٣٣١ د. و. م. خ/ مهدية ١/١١/٢ من الشريف حميدان إلى الأمير يعقوب، ٢٠ محرم ١٣١٥هـ، ص٥.

٣٣٢ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٣٣/٢ من الأمير يعقوب إلى الزاكي طمل، ٨ ربيع آخر ١٣١٠هـ، ص٢٧.

ولم تتوقف عمليات الفرار من الجيش، حيث فر من جيش محمود ود أحمد مجموعة من المقاتلين من ربع الفضيلي آدم ورجعوا إلى السرية، ولكي تتم عملية استعادة هؤلاء الفارين طلب محمود ود أحمد من الفضيلي آدم بأن يستعين بأحمد شرف الدين لأنه يعرف الفارين من السرية وذلك لكي يساعده في القبض عليهم.[٣٣٣]

وبعد تزايد عملية الهروب من سرية أبا سام طلب الأمير يعقوب منه إرسال كشف يحتوي على أعداد الجيش والأسلحة التي معه، والغرض من ذلك تحديد الأعداد التي هربت من الخدمة العسكرية والمفقود من الأسلحة التي تعتبر من الأشياء المهمة والسبب في ذلك الشح والندرة.[٣٣٤]

نرجح أنّ السبب في حالات الفرار الكبيرة من الجيش يرجع إلى عدم رغبة المقاتلين في القتال وضعف القدرة القيادية للقادة الذين يستطيعون إقناع المقاتلين بمواصلة القتال وكثرة الجبهات القتالية التي فتحها الخليفة عبد الله والمعارك المتواصلة سواء كانت على المستوى الداخلي أو الخارجي.

أقسام الجيش في عهد الخليفة عبد الله:

قسم الجيش في عهد الخليفة عبد الله إلى ثلاثة أقسام رئيسية وهي:

أولاً: العمالات أو الحاميات الثابتة.

ثانياً: المتطوعين.

ثالثاً: الحملات العسكرية أو الجردات.

---

٣٣٣ د. و. م. خ/ مهدية ١/٨٩/٢ من محمود ود أحمد إلى الأمير يعقوب، من ١٧ ربيع آخر ١٣١٣هـ، سبتمبر ١٨٩٥م، ص٧٠.

٣٣٤ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٦/٢ من أباسام إلى الأمير يعقوب، ١٥ محرم ١٣١٥هـ،يونيو ١٨٩٧م، ص٤.

العمالات:

قام الخليفة عبد الله بتقسيم البلاد إلى عمالات وذلك لتسهيل الإدارة، والعمالات هي عمالة الجزيرة والتي تمتد من المقرن وحتى جبل إدريس وتشمل القرى الواقعة شرق النيل الأزرق، وغرباً من العيلفون حتى سيرو، وكذلك حلال النيل الأبيض. وعمالة البادية الغربية من أم درمان إلى شأت على النيل الأبيض، وعمالة خط الاستواء (بحر الجبل) وعمالة الغرب التي تضم كل من كردفان ودارفور، ولقد تم دمج كردفان ودارفور بعد تجريد محمد خالد زقل ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م. وعمالة القلابات التي ضمت إليها القضارف، وتم ضم طوكر وكسلا في عمالة واحدة تحت قيادة عثمان دقنة ثم قام الخليفة بفصلهما بعد ذلك، وجعل بربر ودنقلا عمالة واحدة.[٣٣٥]

وتنقسم العمالات إلى اثنتين مدنية وعسكرية، يتولى أمير الأمراء قيادة العمالة عسكرياً وإدارياً ويقود العمليات العسكرية بنفسه إذا كنت العمليات العسكرية كبيرة، ويقوم بحشد مقاتلي عمالته. وفي بعض الحالات الضرورية يتولى أحد قادة المهدية الكبار العمليات الحربية، عندها يصبح قائد الحملة قائداً عسكرياً فقط، وعندها تنحصر مهام العامل في النواحي الإدارية ويكون تحت تصرف القائد العسكري، وقد حدث ذلك عندما عين أبو عنجة قائداً للجبهة الشرقية بدلاً عن يونس الدكيم حاكم المنطقة، أو عندما عين النجومي لغزو مصر تخلى عن واجباته لمساعد قيدوم ثم بعد ذلك إلى يونس الدكيم.[٣٣٦]

٣٣٥ علي محمد علي، مرجع سابق، ص٧٤-٧٥.

٣٣٦ عصمت حسن زلفو، كرري، ....، ص١٢٧.

وقد كانت كل عمالة مستقلة عن الأخرى ترجع في أحكامها إلى الخليفة عبد الله، والعامل في العمالة هو حلقة الوصل بين الخليفة عبد الله وأهل العمالة وترد إليه المنشورات وجميع التوجيهات من الخليفة عبد الله لتنفيذها. ويقوم الخليفة في بعض المرات بإرسال أمُنا للتحقيق في المشاكل وحل الأزمات، ويساعد العامل وكيل وأمين بيت المال وقاضي وكاتب.[٣٣٧]

ولخوف الخليفة عبد الله من النزاع بين الأمراء والمرابطين خارج أم درمان وفي العمالات المختلفة، عمل الخليفة عبد الله على استخدام بعض الأمراء في كتابة تقارير سرية عن القادة. فقد طلب الخليفة عبد الله من الزاكي طمل أن يكتب له تقريراً سرياً عن بعض القادة أمثال النور عنقرة ومحمد فرح وعمر الياس وبابكر الحاج وعبد الرحيم أبو دقل، وقد احتوى التقرير على أنّ النور عنقرة قد ترك الخلاف حول العمالة مع القادة في القضارف وأصبح يعاون الزاكي طمل في المهام العسكرية، وأمّا بابكر الحاج ومحمد فرح فقد أصبحوا مطيعين للنور عنقرة.[٣٣٨]

قادة المناطق العسكرية:

يأتي الأمير يعقوب في قمة الهرم الإداري العسكري ثم يأتي بعده قادة وحدات القيادة العامة الإدارية في أم درمان، ثم يأتي قادة المناطق العسكرية، وقد لقب القائد الإداري في المنطقة بالعامل بمعنى حاكم العمالة، وأمّا اللقب العسكري فهو أمير الأمراء والأمير يدير شئون عمالته من عاصمة العمالة

---

٣٣٧ علي محمد علي، مرجع سابق، ص٧٥.

٣٣٨ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٤/١ من الزاكي طمل إلى الخليفة عبد الله، ١١ جماد ثاني ١٣٠٧هـ، يناير ١٨٩٠م، ص٣٦٣.

بواسطة الخطابات، وإذا تطلب الأمر أن يتحرك الأمير مع الحملة تتحرك كل رئاسته معه، وهي:

- حامل الراية.
- أمير ملازمية الأمير لحماية رئاسة الأمير.
- أمين بيت المال.
- قاضي العمالة.
- أمير المدفع.
- مقدم هجانه البوستة.

ويتدرج التقسيم الإداري للعمالة إلى قادة الأرباع أو قادة الحاميات الصغيرة التي تتوزع عليها قوة العمالة العسكرية، وهي:

- أمير الربع وهو المسئول عن إدارة شئون وحداته القتالية والإدارية أو شئون منطقته إذا كان منفصلاً.

ويعمل تحت أمير الراية عدد من الزعماء وشيوخ القبائل ثم المقدمية، ويمثل المقدمون أول درجة في سلم القيادة.

ويتمتع المقدم بسلطات قيادية واسعة تتجاوز سلطات زعيم القبيلة، وهو المسؤول عن الإعاشة والتدريب والقيادة في الميدان.[٣٣٩]

وراية أمير ملازمية الأمير مكونة من بضع مئات من الملازمين ومهمتهم حماية الأمير ورئاسته.

---

٣٣٩ عصمت حسن زلفو، كرري ....، ص١٥٣-١٥٤.

وهنالك بيت مال العمالة، وهو يمثل بيت مال كل العمالة، وهو المسئول عن الإعاشة بالنسبة للجيش والصرف عليها وجمع الزكاة والعشور وحفظ الغنائم وسجلات الوارد والمنصرف، وينقسم بيت مال العمالة إلى عدة أقسام هي:

- الشونة، لحفظ الحبوب.
- قسم المخزن العام، ويضم أنواع مختلفة من الماشية والنقود والحيوانات.
- مخزن السلاح.
- مخزن الذخيرة.
- جمال الشيل والبغال، لحمل الذخيرة والمؤن.[٣٤٠]

وهناك أيضاً القاضي وهو قاضي العمالة، ولا يختلف نظام القضاء في العمالات عن القضاء في محكمة أم درمان، حيث جعل الخليفة عبد الله لكل عمالة عدداً من القضاة. ويختلف عدد القضاة في العمالة على حسب مساحتها وأهميتها، وكان على قضاة العمالة رئيس يتم تعيينه بواسطة قاضي الإسلام، ويجلس القضاة في العمالة في مكان معلوم يعرف بالكر، وهو عبارة عن راكوبة لها فتحات في جوانبها ولكل خصم الحق في عرض قضيته على القاضي الذي يرغب فيه، فينظر القاضي فيها ويقوم بالفصل.[٣٤١]

وهناك أيضاً محكمة للسرية، وذلك عندما تخرج السرية للحرب، فيخرج معها بعض القضاة للجهاد والحكم بين المقاتلين، وأهالي البلاد

٣٤٠ المرجع نفسه، ص١٢٧.

٣٤١ حسين سيد أحمد المفتي، تطور نظام القضاء في السودان، (ب،د)، ١٩٥٩م، ص١٦٤.

التي تتحرك إليها السرية، ويقوم قاضي الإسلام بتعيين قاضي السرية، وللسرية محكمة لها نفس الصلاحيات الممنوحة لمحكمة العمالة ولها أيضاً حق النظر في المسائل المتعلقة بجرائم الأموال ومسائل الزواج والطلاق، وكتابة حجج العقارات والأطيان والعقود، وأيضاً لها حق النظر في الجرائم الجنائية ولكن حكمها في قضايا القتل لا ينفذ إلا بعد التصديق عليه من الخليفة عبد الله شأنها شأن جميع محاكم الدولة المهدية.[٣٤٢]

الكتبة في الجيش والسرايا:

كان لكتاب الجيش والسرايا في الدولة المهدية دورٌ مهمٌ حيث كانوا يقومون بكتابة الخطابات من القادة والأمراء إلى الخليفة عبد الله والأمير يعقوب أو الخطابات المتبادلة بين القادة والأمراء، وقد كان الجيش في الدولة المهدية في حاجة ماسة إلى تلك الوسائل من التواصل وذلك لبعد العمالات عن المركز وبعد العمالات بعضها عن بعض، وتعد الرسائل من مكملات العمل الإداري والعسكري، ونجد أنّ إبراهيم قد طلب من الخليفة عبد الله إرسال كاتب يعاونه في كتابة الرسائل وذلك لأنّ الكاتب الذي معه بطئ، وهو يقوم بكتابة الرسالة في يومين أو ثلاثة ولذلك يجب تبديله (... وما معه كاتب إلا محمد محمود المذكور كلما أردنا تحرير ورقة لا ينجزها إلا بعد يومين أو ثلاثة ...).[٣٤٣]

---

٣٤٢ المرجع نفسه، ص١٧٠.

٣٤٣ د. و. م. خ/ مهدية ١/٣٢/١ من إبراهيم الخليل إلى الخليفة عبد الله، غرة رجب ١٣١٠هـ، ١٨٩٢م، ص١٣.

وقد كان الأمير يحتفظ بعدد من الكتبة في رئاسته وذلك لتحرير الخطابات الرسمية وإرسال الردود والكشوفات، وفي حالة الحملات العسكرية تجتمع الأرباع في مكان واحد وتجتمع الكتبة في رئاسة الأمير ويتحول الكتبة للأرباع عندما يجري انفصالها وتولية مسئوليات بعيدة عن العمالة أو المركز.[٣٤٤]

هجانه البوستة:

يعتمد بريد الخليفة عبد الله الجمال وهي وسيلة الاتصال بين القيادة العليا في أم درمان وبين قادة المناطق العسكرية، وبين قادة المناطق والحاميات الفرعية التابعة لهم. أمّا مناطق دنقلا وبربر والرجاف والنيل الأبيض فالبواخر النيلية كنت وسيلة المواصلات في معظم الأحيان.

مقدميه البروجية:

هي فصيلة مكونة من البروجية وضاربي الطبل ونحاس الأمير.

المدافع:

تجمعت أغلب مدافع الدولة المهدية في أم درمان ولكن بعض المناطق العسكرية كانت لها مدفعيتها الخاصة، والعمالات التي توجد بها مدافع هي دنقلا وبها ستة مدافع جبلية والقلابات وعمالة الغرب، ومعظم المدافع التي غنمتها الدولة كانت من الحكم التركي.[٣٤٥]

---

٣٤٤ عصمت حسن زلفو، كرري، ....، ص١٢٧-١٢٨.

٣٤٥ المرجع نفسه، ص١٢٨.

الوحدات القتالية في العمالة:

تتكون الوحدات القتالية في العمالة من الأرباع والحرابة[٣٤٦*] والجهادية والخيالة وعناصر السيطرة للربع.

يمثل الربع الوحدة القتالية الأساسية في جيش المهدية، ويعتبر الربع وحدة قتالية متكاملة، وتعداد أفراد الربع غير ثابت ولكنه لا يقل عن ثمانمائة مقاتل وقد يصل العدد إلى بضعة آلاف مثل ربع الملازمية في أم درمان، والذي يعتبر من أكثر الوحدات تنظيماً، ويتراوح تعداده بين ٨٠٠–١٢٠٠ مقاتل، ويتكون الربع من الوحدات القتالية التالية:

- الحرابة.
- الجهادية.
- الخيالة.
- عناصر سيطرة الربع.

الحرابة:

هم حملة السلاح الأبيض، ويعتبر الحرابة قوة الاقتحام الرئيسية، ويتم تقسيمهم على الرايات حسب القبائل أو فروع القبائل، وتعداد الرايات يتفاوت حسب مقدرة كل أمير على حشد الرجال، أو على حسب العدد الذي يتم تخصيصه من قبل الخليفة عبد الله أو الأمير يعقوب من رجال القبائل المختلفة، ويتم ابتعاثهم كدعم لقادة الحاميات.

يقود الراية أمير وهو راكب وله حامل راية، ويتم تقسيم الراية عندما

٣٤٦ * الحرابة يرمز لهم في كشوفات الأمير يعقوب بالمجاهدين أو الحرابة وذلك لتمييزهم عن الجهادية والفرسان، ويرمز لهم أيضاً بأولاد البلد، أنظر ، عصمت حسن زلفو، كرري، ....، ص١٢٩.

تكون كبيرة إلى مئات حيث يقود كل منها رأس مئة، ويتم تقسيم المئات إلى مقدميات على رأس كل منها مقدم، وتتكون المقدمية من ٢٥ رجلاً وتسليح كل مقاتل في الراية يتكون من سيف وحربة طويلة وأربعة حراب قصيرة.[٣٤٧]

الجهادية:

يعرفون بالبنادقة ويعتبرون قوة النيران الرئيسية، ويتم تقسيم الجهادية إلى الرايات، وتعداد كل راية من الجهادية يبلغ مائة من الجهادية على رأسهم أمير، ويتم تقسيم كل راية إلى مقدميات على رأس كل منها مقدم، ويعتمد تسليحهم على بنادق الرمنتجون، وقد أضيف إليهم بعض التعايشة كمدربين للتوجيه الديني والتربية العسكرية.

الخيالة:

أغلب قوات الخليفة عبد الله الراكبة كانت من البقارة، وقد اعتمد الخليفة عبد الله على استيراد الخيول من دارفور، وقد خصص عدد من الفرسان لكل ربع أوكل لهم مهمة الاستطلاع البعيد والعمليات التصادمية أثناء المعارك.

وهناك عاملان يحددان إذا كان المقاتل راجلاً أم راكباً، العامل الأول همة المقاتل والعامل الثاني الاستطاعة المادية للمقاتل ومقدرته على شراء فرس، لذلك كان عدد الخيالة غير ثابت، والرغبة والطموح للمقاتلين للقتال على ظهور الخيول أراحت الخليفة عبد الله من مشقة شراء الخيول وتوزيعها على الجيش، وأمّا سلاح الفارس فهو مسلح بحربة طويلة وسيف يتقلده على جنبه الأيسر، وإذا كان في مهمة استطلاعية فيتم تسليحه ببندقية وسبعة

---

٣٤٧ عصمت حسن زلفو، كرري، ....، ص١٢٩.

أحزمة ذخيرة، وكل الفرسان يلبسون عمائم حمراء وحزام أحمر.

عناصر السيطرة في الربع:

لكل أمير ربع عناصر إدارية وعناصر سيطرة تتكون من الكتبة والشونة والجمال لحمل المؤن ولتوصيل الرسائل إذا كان الربع يعمل في منطقة منفصلة.[٣٤٨]

تحرك الجيوش نحو الأقاليم:

من المواكب المهمة في الدولة المهدية خروج الجيش إلى الأقاليم، فعندما يشير الخليفة عبد الله على أحد الأمراء بالتحرك نحو جهة محددة من جهات السودان المختلفة، تصرف له الرايات والسلاح من بيت الأمانة، ويتم توزيعها على الجيش، ويقوم كاتب الأمير باستلام أدوات الكتابة، وبعد ذلك يستعد الجيش للتحرك نحو مكان الهجرة المعلوم وتضرب الأعلام في المواضع المحددة، فإذا كانت الجيوش متحركة نحو الشرق يعسكر الجيش بالقرب من قبة الشيخ خوجلي، وإذا كانت للشمال يعسكر الجيش في الطرف الشمالي من أم درمان، وإذا كان للجنوب أو الغرب تعسكر القوات في الشجرة وهي التي تعرف بشجرة المهدية، ثم يخرج الخليفة عبد الله في موكب ومعه قائد الجيش حتى المعسكر، فيقوم الخليفة عبد الله بتوديع الجيش وقائده ويبارك مسعاه في الجهاد.

وإذا عاد أحد الأمراء الكبار إلى أم درمان من إحدى المهمات الحربية يستقبله الخليفة عبد الله بعرضة كبيرة على مشارف أم درمان، وبعد ذلك

---

٣٤٨ عصمت حسن زلفو، كرري، ....، ص١٣٣.

الخليفة وقائد الجيش في موكب كبير إلى داخل المدينة.[٣٤٩]

لقد توزع جيش الدولة المهدية على مناطق الدولة المختلفة، حيث كانت هنالك قوات في الغرب والقلابات ودنقلا وخط الاستواء والقضارف وسواكن، وأمّا باقي السودان الأوسط فقد كان تحت رقابة وإشراف الأمير يعقوب.[٣٥٠]

قوات المهدية في جنوب السودان:

ارتبط نشاط الدولة المهدية في الجنوب بأربعة من الأمراء وهم كرم الله كركساوي وعمر صالح وعربي دفع الله ومحمد عثمان أبو قرجة لفترة وجيزة، وقد اتجه الخليفة عبد الله إلى الجنوب رغم انشغاله بالحروبات في الشمال والشرق. وقد استطاع كرم الله كركساوي بمعاونة أخيه محمد أن يسقط مدير بحر الغزال لبتن بك، وقام كذلك بإرسال خطابات إلى أمين بك حيث اشتملت هذه الخطابات على التحذير والتهديد وأخرى اشتملت على العفو في حالة التسليم، وقد حقق عدد من الانتصارات في الفترة من ١٣٠٣هـ-١٣٠٤هـ/ ١٨٨٤م حتى ١٨٨٥م واستطاع أن يسيطر على العديد من المناطق هناك، ولكنه انسحب في عام ١٨٨٥م من جنوب السودان لكي يعمل على إخماد ثورة الرزيقات التي اندلعت في جنوب دارفور.[٣٥١]

وبعد ذلك صدر له الأمر من الخليفة بالتحرك نحو كسلا بجميع قواته.[٣٥٢]

٣٤٩ محمد إبراهيم أبو سليم، تاريخ مدينة الخرطوم،ط٢، دار الجيل بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ص١٠٨.

٣٥٠ مكي شبيكة، السودان في قرن ط٢، القاهرة، ١٩٥٧م، ص٤٠٠.

٣٥١ محمد رفعت رمضان، مرجع سابق، ص١٥٢-١٥٣.

٣٥٢ د. و. ق. خ/ مهدية ٣/٣٢/١١ من محمد كركساوي إلى الخليفة عبد الله، محرم ١٣١٠هـ، ١٨٩٢م، ص٣١.

وقد فكر الخليفة عبد الله في الرجوع مرة أخرى إلى جنوب السودان، يدفعه إلى ذلك العديد من العوامل منها حاجة الخليفة عبد الله إلى العاج، ورغبته في أسر عدد مقدر من الجهادية حتى يدعم بهم صفوف جيشه ويعمل على سد النقص الواضح في السرايا، ومن أهم الأسباب خوف الخليفة عبد الله من عودة ستانلي إلى جنوب السودان مرةً أخرى، وقد وصلت الأخبار إلى الخليفة عبد الله بأنّ هنالك نشاط تبشيري وحركة أوربيين في جنوب السودان، لهذه الأسباب مجتمعة تحمس الخليفة عبد الله إلى محاربة الحكم التركي في جنوب السودان.[٣٥٣]

قام الخليفة عبد الله بتعيين عمر صالح[٣٥٤*] على جنوب السودان أميراً لقوات المهدية هناك خلفاً لكرم الله كركساوي، عمل عمر صالح على نقل قواته وإمداداتهم في ثلاث بواخر وتسعة مراكب كبيرة إلى محطة لأدو، وكتب إلى الخليفة عبد الله يطمئنه على سير قواته هناك، وقام بإرسال ثلاث رسائل إلى أمين بك يدعوه فيها إلى التسليم وتسليم المديرية، وعندما وصلت الرسائل إلى أمين بك كان في قبضة الجهادية الذين ثاروا ضده، وعندما وصلت الأخبار إلى الخليفة بثورة الجهادية ضد أمين بك أمر قواته بمهاجمة الرجاف، وقد استطاعت قواته أن تدخل الرجاف.[٣٥٥]

---

٣٥٣ محمد رفعت رمضان، مرجع سابق، ص٦٤.

٣٥٤ * عمر صالح ينتمي إلى قبيلة الجعليين، نشأ في مدينة شكا في جنوب دارفور، التحق بالمهدي وحارب في صفوف المهدية، تم إرساله من قبل الخليفة عبد الله إلى خط الاستواء عام ١٨٨٨م/١٣٠٦هـ لإخضاع الإقليم، انتهج عمر صالح نفي السياسة التي اتبعها كرم الله كركساوي، هزمت قوات عمر صالح في دوفلية وانسحب إلى الرجاف، بذل عمر صالح جهداً في إقناع السكان بالمهدية، خلف عمر صالح على خط الاستواء محمد عثمان أبو قرجة ثم عربي دفع الله، استشهد عمر صالح في واحدة من المعارك ضد الكنغوليين بالقرب من الرجاف عام ١٨٩٧م، أنظر محمد رفعت رمضان، المرجع نفسه، ص١٥٣-١٥٤.

٣٥٥ ((محمد رفعت رمضان، مرجع سابق، ص٦٤-٦٥.

بعد مقتل عمر صالح خلفه محمد عثمان أبو قرجة ثم عربي دفع الله، وهو من أقارب الخليفة عبد الله، تم إرساله من قبل الخليفة عبد الله إلى خط الاستواء عندما علم بنشاط الكنغوليين في تلك المنطقة وتعرض السرية المتواجدة هناك إلى الفرقة والشتات بسبب الثورات المحلية، استطاع عربي دفع الله أن يحقق انتصاراً على فضل المولى زعيم الجهادية التابعين لحامية الحكومة والذين ثاروا ضد أمين بك.[٣٥٦]

قوات المهدية المرابطة في عمالة الغرب:

لقد مثلت عمالة الغرب ودارفور تحديداً شوكة لم تنكسر حيث عمل الخليفة عبد الله على حشد أكبر عدد من جيشه فيها، حيث لم ينقص جيش الخليفة عبد الله هناك عن عشرين ألف مقاتل ووصل قوام هذا الجيش حتى وصل إلى ستة وثلاثين ألف مقاتل، والسبب في حشد تلك القوات الثورات التي قامت ضد الخليفة عبد الله من قبل الجهادية والقبائل المحلية في تلك العمالة.[٣٥٧]

وهناك منطقة أصبحت تمثل للخليفة عبد الله تهديداً مستمراً، وهذه المنطقة هي جبال النوبة والتي تم إرسال حمدان أبو عنجة إليها ثم إبراهيم الخليل الذي أرسله الخليفة عبد الله لإخضاع منطقة الجبال وتحرك في قوة قوامها ٢٥٤٥ مقاتل وأسلحتهم ٢١٠٨ وعدد من الخيول بلغ ٢٠٥ فرس و ٢٩ درعاً.[٣٥٨]

وهذه القوة التي وصلت معه إلى مركز شات على النيل الأبيض

---

٣٥٦ المرجع نفسه، ص١٥٤-١٥٥.

٣٥٧ عصمت حسن زلفو، كرري، .....، ص١٠٤.

٣٥٨ د. و. م. خ/ مهدية ١/٣٢/١ من إبراهيم الخليل إلى الخليفة عبد الله، ٢٧ جماد آخر ١٣١٠هـ،١٨٩٢م، ص١٥.

وعندما وصل إلى الدويم أرسل إبراهيم الخليل إلى عامل الجزيرة أحمد السني يطلب منه تقديم الدعم العيني للحملة، وقد وجد طلبه الاستجابة من أحمد السني وقام بدعم الحملة بالمعدات الحربية.[٣٥٩]

وقد وصل إبراهيم الخليل إلى جبال النوبة في ٢٥ رجب ١٣١٠هـ/١٨٩٢م وذلك لقمع الثورات التي قامت ضد الخليفة عبد الله، واستطاع أن يحقق عدد من الانتصارات، وتحرك نحو جبل تقلي واستطاع أن يفرض سيطرته عليه وقد قام الخليفة عبد الله بإرسال إبراهيم الخليل إلى جبال النوبة بهدف منع الثوار من الاحتماء بتلك الجبال واتخاذها نقاط دفاعية مستفيدين من العوامل الجغرافية لتحقيق ذلك.[٣٦٠]

ساهمت عدد من القبائل في دعم الثوار في جبال النوبة بالسلاح والمؤن، ومن تلك القبائل التي قمت الدعم قبائل كردفان الهواوير والجوامعة وذلك لرغبتهم في القضاء على الخليفة عبد الله.[٣٦١]

ولكي يعمل الأمير يعقوب على ربط دارفور بالعاصمة أم درمان، وذلك بعد المواجهات الكثيرة التي دارت بين قوات المهدية والقوات المعارضة لحكم الخليفة عبد الله عمل الأمير يعقوب على ربط دارفور بأم درمان بمجموعة آبار على طول الطريق الرابط بنهم، وهدف من ذلك إلى توفير المياه للقوات

---

٣٥٩ د. و. م. خ/ مهدية ١/٩/١ من أحمد السني إلى الخليفة عبد الله، ١١ رجب ١٣١٠هـ، ١٨٩٢م، ص٤٧.

٣٦٠ د. و. م. خ/ مهدية ١/٣٢/١ من إبراهيم الخليل إلى محمود ود أحمد، ١٩ شوال ١٣١٠هـ، ١٨٩٢م، ص٤٧.

٣٦١ د. و. م. خ/ مهدية ١/٣٢/١ من إبراهيم الخليل إلى محمود ود أحمد، ١٩ شوال ١٣١٠هـ، ١٨٩٢م، ص٤٧.

المتحركة من أم درمان نحو الغرب أو القوات الراجعة إلى أم درمان، والعمل على ري رجال البريد والمجمعات التي تم تهجيرها إلى أم درمان.[٣٦٢]

قوات المهدية في حامية القلابات:

بلغ عدد القوات التي مع حمدان أبو عنجة في مركز القلابات في ٢٦ ربيع أول ١٣٠٥هـ /نوفمبر ١٨٨٧م تسعة عشر ألفاً وأربعمائة ثمانية وخمسين مقاتلاً ومعهم من الأسلحة والمعدات الحربية كالآتي:

الرمنجتون	١١٠٩٠
الخشخشان	٣٨
الدروع	١٣٩
اللبوس[٣٦٣*]	٧٣
الخيول	٤٧٦
الرايات ٧٥ راية	

وقد كانت تعاني هذه القوات من قلة الخيول وهو الشيء الذي كانت تعاني منه الدولة المهدية طول فترة حكمها.[٣٦٤]

في يوم ٢٦ ربيع آخر ١٣٠٥هـ / ديسمبر ١٨٨٧م تحركت قوات حمدان أبو عنجة إلى داخل الأراضي الحبشية وقد كان معه من القوات خمسة عشر ألف مقاتلٍ، والحراب التي معهم أربعون ألفاً، وقد ذكر حمدان

---

٣٦٢ د. و. م. خ/ مهدية ١/١٢B/٢ من جاد الله بيلو إلى الأمير يعقوب، ١٣١٥هـ،١٨٩٧م، ص٦٧.

٣٦٣ * أنظر ملحق رقم (١٥).

٣٦٤ د. و. م. خ/ مهدية ٣/A٢٦/١ من حمدان أبو عنجة إلى الخليفة عبد الله، ١٤ ربيع أول ١٣٠٥هـ، نوفمبر ١٨٨٧م، ص٤٥.

أبو عنجة للخليفة عبد الله أنّ السبب في الهجوم على الأحباش تزايد أعداد الجيش، وقلة الغلال التي تكفي لإطعامهم، وخوفه من هروب قواته، وتزايد الأمراض وسط الجنود حيث بلغ عدد الموتى وسط قواته في اليوم الواحد عشرة أشخاص.(٣٦٥)

كانت فكرة الهجوم على الأحباش من قبل حمدان أبو عنجة فكرة سليمة والأسباب التي أوردها للخليفة عبد الله هي أسباب منطقية جعلته يتخذ هذا القرار الشجاع.

وكتب الخليفة عبد الله إلى حمدان أبو عنجة في أمر الرسائل الواردة منه إلى أم درمان، حيث طلب منه أن يقوم بالكتابة للأمير يعقوب الذي بدوره يقوم بإخبار الخليفة، على أن ترسل الكشوفات وأعداد الجيش إلى الأمير يعقوب أيضاً.(٣٦٦)

والأمير يعقوب بصفته القائد العام للجيش والمسئول العسكري الأول في الدولة من الأفضل أن تصله الخطابات من حمدان أبو عنجة ومن غيره من الأمراء وبالتشاور مع الخليفة عبد الله يتم اتخاذ القرار المناسب.

أعداد قوات المهدية في العمالات في عام ١٣١٢هـ/١٨٩٥م:

لقد بلغ عدد قوات[٣٦٧*] المهدية في سنة ١٣١٢هـ/١٨٩٥م والموزعين على العمالات كالآتي:

---

٣٦٥ د. و. م. خ/ مهدية ٣/A٢٦/١ من حمدان أبو عنجة إلى الخليفة عبد الله، ٢٦ ربيع آخر ١٣٠٥هـ، فبراير ١٨٨٨م، ص٤٤.

٣٦٦ د. و. م. خ/ مهدية ١/A٢٦/١ من الخليفة عبد الله إلى حمدان أبو عنجة، ١١ رجب ١٣٠٥هـ، مارس ١٨٨٨م، ص١١٣.

٣٦٧ * أنظر ملحق رقم (٥).

- عمالة بحر الجبل عليها عربي دفع الله عدد قواتها ٦,٠٠٠ مقاتل
- عمال الغرب عليها عثمان آدم عدد قواتها ٣٦,٠٠٠ مقاتل
- عمالة دنقلا عليها يونس الدكيم عدد قواتها ٥,٥٠٠ مقاتل
- عمالة بربر عليها الزاكي عثمان عدد قواتها ٣,٠٠٠ مقاتل
- عمالة الشرق عليها عثمان دقنة عدد قواتها ٣,٧٠٠ مقاتل
- عمالة القلابات عليها حمدان أبو عنجة عدد قواتها ٨٠,١٠٠ مقاتل
- عمالة الجيرة عليها أحمد السني عدد قواتها ٢٠٠ مقاتل[٣٦٨]

الصراعات بين قادة الجيش:

لقد عانت الدولة من حالة الصراع المحتدم بين قادتها الشيء الذي أدى في نهاية الأمر إلى إضعافها، ومن أبرز أنواع هذا الصراع الذي حدث بين الزاكي طمل وأحمد ود علي، وهو يعتبر من أشرس أنواع الصراع في الدولة المهدية، حيث كان الزاكي من أبطال المهدية وبطل معركة القلابات وصاحب الانتصار الساحق على الشلك، وأمّا أحمد علي

٣٦٨ عصمت حسن زلفو، كرري، ....، ص١٢٩.

فهو واحد من قواد الزاكي طمل، وابن عم الخليفة عبد الله، وقد ظهرت بوادر الصراع بينهم بعد وفاة حمدان أبو عنجة، وتعيين الزاكي طمل خليفة له، وقد سعى أحمد علي للتخلص من الزاكي طمل وذلك بالوشاية به عند الخليفة عبد لله والأمير يعقوب.[٣٦٩]

ولقد صادف سعي أحمد علي للتخلص من الزاكي طمل رغبة حقيقية عند الخليفة عبد الله وأخيه الأمير يعقوب لتنفيذ نفس الأمر، وتم استدعاء الزاكي من القلابات إلى أم درمان بواسطة الأمير يعقوب، وقد أظهر الزاكي بعض التمرد على الخليفة وتم إدخاله السجن، وقد كان الأمير محمود ود أحمد أكثر الأمراء فرحاً لسجن ومقتل الزاكي طمل عكس أخوه إبراهيم الخليل الذي يعتبر الزاكي أحد قادة الدولة المهدية العظام والذين لهم الفضل في تثبيت دعائم الدولة وبسط سلطة الخليفة عبد الله.[٣٧٠]

وبعد تصفية الزاكي طمل من قبل الخليفة عبد الله والأمير يعقوب، كتب الخليفة عبد الله إلى محمود ود أحمد يخبره بأنّ السبب في موت الزاكي أنه قد تلبسه عارض ولكي يتم القضاء على العارض تم سجنه ومنعه من الطعام والشراب حتى يموت العارض، وذكر الخليفة لمحمود ود أحمد بأنه كان يعلم بهذا العارض منذ فترة ولم يشفى الزاكي منه.[٣٧١]

---

٣٦٩ محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث، ....، ص٢٥٠.

٣٧٠ د. و. م. خ/ مهدية ١/١٤A/١ من محمود ود أحمد إلى الخليفة عبد الله، ٢٢ ربيع آخر ١٣١١هـ، اكتو بر ١٨٩٣م ص٥٢٣.

٣٧١ د. و. م. خ/ مهدية ١/١٤A/١ من محمود ود أحمد إلى الخليفة عبد الله، ٤ ربيع أول ١٣١١هـ، سبتمبر ١٨٩٣م، ص٥٧.

وحدث صراع آخر بين محمد الزاكي عامل بربر ومحمد عثمان حاج خالد أمين بيت المال في العمالة، وقد كان محمد الزاكي من أقارب الخليفة عبد الله يريد أن يفرض سيطرته على بيت المال وعلى أمينه محمد عثمان حاج خالد، وقد عارض الأخير سيطرة محمد الزاكي لي بيت المال، ونتيجةً لذلك قام محمد الزاكي بسرقة كشوفات بيت المال وقد استعان ببعض الكتاب في بيت المال لتنفيذ هذا الأمر، وعند مراجعته لها ادعى بأنه وجد بها بعض الفروقات، ولما وصلت الأخبار إلى محمد عثمان قام بفتح بيت المال ووزع ما فيه على أهله وقام بإرسالهم إلى الخليفة وأخبره بأنه أرسل إليه أهله لكي يحتموا بهي خوفاً من بطش محمد الزاكي، وقد أحدث تصرف محمد عثمان ارتباكاً في بيت المال ولم بتعرض للمسألة من قبل الخليفة عبد الله لمكانته عنده.[٣٧٢]

رغم الصراعات التي اجتاحت الدولة، نجد أنّ الطابع العسكري هو المسيطر على كل المجالات في الدولة المهدية، وأصبح السمة الملازمة لكل النشاطات الإدارية والاقتصادية، ونلاحظ بأنّ الإدارة في معظم الأحيان إدارة عسكرية وكذلك القادة وحتى الاقتصاد في الدولة المهدية أصبح اقتصاد حرب.[٣٧٣]

٣٧٢ محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث، .....، ص٢٥٠.

٣٧٣ فضل الله علي فضل الله، مرجع سابق، ص٩٥.

المبحث الثالث

التدريب والفرق الخاصة (الجهادية ـ الملازمية)

شكل تدريب قوات المهدية محو اهتمام الخليفة، رغم أنّ هذه القوات لم تجد الوقت الكافي للتدريب، ويرجع السبب في ذلك إلى الحروبات المتواصلة التي كانت تخوضها الدولة المهدية منذ بدايتها وحتى سقوطها، وقد كان الخليفة عبد الله يحث القادة في المناطق العسكرية بالاهتمام بالتدريب.[٣٧٤]

وقد كتب الخليفة عبد الله للذاكي طمل يطلب منه أن يهتم بتدريب قواته والعمل على رفع روحهم المعنوية، وذلك لكي يستطيع أن يحقق بواسطة التدريب والتأهيل العديد من الانتصارات على خصومه، وأن يركز الزاكي طمل على محافظة قواته على الصلوات وأن يمنعهم من التعدي على الناس، وأن يقرأ عليهم المنشور الذي صدر منه في هذا الشأن.[٣٧٥]

ولم يغفل الخليفة عبد الله تدريب قوات الجهادية، فقد كتب إلى عثمان الدكيم بخصوص تدريب قوات الجهادية والاهتمام بهم (... وترشدوا عبدكم بأنه يفتكر لأحوال الجهادية وتدريبهم ...).[٣٧٦]

ولكي يعمل الخليفة عبد الله على إخضاع الجهادية، اهتم بتدريبهم

---

٣٧٤ عصمت حسن زلفو، كرري، ....، ص١٥٥.

٣٧٥ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٤/١ من الزاكي طمل إلى الخليفة عبد الله، ٨ شعبان ١٣٠٧هـ، مارس ١٨٨٩م، ص١٨٢.

٣٧٦ د. و. م. خ/ مهدية ٢/١٨/١ من عثمان الدكيم إلى الخليفة عبد الله، ١٥ صفر ١٣٠٦هـ، أكتوبر ١٨٨٨م، ص١٩٤.

منذ التحاقهم بقواته، وقد أفرد لهم برنامج تدريبي يتلقون فيه التدريب على الحركات العسكرية وطاعة الأوامر وتنفيذ التعليمات بدقة.[٣٧٧]

وظهر الاهتمام الواضح من قبل الخليفة عبد الله بأمر تدريب قوته المتواجدة في أم درمان، والتي خارج أم درمان، فقد كتب إلى حمدان أبو عنجة في القلابات يحثه على رفع الكفاءة القتالية لقواته من خلال التدريب وأن يصلي بالجيش وأن يكون المفوض من قبله على كل المنطقة.[٣٧٨]

مما سبق يتضح أنّ التدريب بالنسبة للقوات كان الشغل الشاغل للخليفة عبد الله، وما يدل على ذلك الرسائل الكثيرة التي بعثها الخليفة عبد الله إلى قادته أمثال الزاكي طمل ومحمود ود أحمد وعثمان الدكيم.

وبالإضافة إلى التدريب والإعداد الجسدي اهتم الخليفة عبد الله بالإعداد المعنوي لقواته، ذلك من خلال المحافظة على الصلوات الخمس، وقراءة راتب المهدي، وقد كان يقوم بتوزيع راتب المهدي على قواته في الأقاليم من أجل الحفاظ على روحهم المعنوية.

تدريب قوات الدولة المهدية في أم درمان:

ينقسم تدريب القوات المتواجدة في أم درمان إلى مرحلتين، المرحلة الأولى هي التدريب الأساسي وهو الذي يستهدف من ينضمون حديثاً إلى قوات المهدية، ويطلق عليهم المستجدين.

---

٣٧٧ د. و. م. خ/ مهدية ٤/١٧B/١ من محمود ود أحمد إلى محمد الزاكي عثمان، ١٣ ربيع أول ١٣١٥هـ، يوليو ١٨٩٧م، ص٨٨.

٣٧٨ د. و. م. خ/ مهدية ١/A٢٦/١ من الخليفة عبد الله إلى حمدان أبو عنجة، ١١ رجب ١٣٠٥هـ، مارس ١٨٨٨م، ص١١٤.

والمرحلة الثانية هي مرحلة التدريب والتي تستهدف الجنود القدامى، وهذه المرحلة تشبه الدورات التدريبية النظامية، وقد كان التدريب في أم درمان يشمل تدريب القدامى على الحركات العسكرية وقراءة راتب المهدي، وهنالك برنامج تدريب يومي وأسبوعي.

وأمّا تدريب الملازمية المنضمين حديثاً لقوات الخليفة عبد الله يشتمل تدريبهم على قراءة راتب المهدي وهذا هو الجانب المعنوي في التدريب، أمّا التدريب أو الإعداد الجسدي فيشتمل على التدريب على السلاح الناري في المنطقة الواقعة إلى الشرق من قبة المهدي، وتشارك في هذا التدريب قوات الكارا مع قوات الملازمية.[٣٧٩]

العرضة:

لقد كانت العرضة عبارة عن نشاط تدريبي ضخم يجري في أم درمان، وتشتمل العرضة على استعراض الجيش، وهي محددة بمواعيد تقام في أيام الجمع والمناسبات الرسمية والأعياد، وقد كانت عرضة عيد الأضحى تجد الاهتمام من الأمير يعقوب والخليفة عبد الله، وما يدل على اهتمام الأمير يعقوب بعرضة عيد الأضحى، عندما طلب محمود ود أحمد إرسال ذخيرة لقواته في عمالة الغرب كان رد الأمير يعقوب بأنّ عيد الأضحى قد اقترب وأنّ العرضة سوف تكون فيه كبيرة، حيث تشتمل العرضة على مجموعة عرضات ولذلك سوف يتم تأجيل إرسال الذخيرة إلى ما بعد عرضة عيد الأضحى والفراغ منها.[٣٨٠]

---

٣٧٩ عصمت حسن زلفو، كرري، .....، ص١٥٥.

٣٨٠ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٣٣/٢ من الأمير يعقوب إلى محمود ود أحمد، ٦ الحجة ١٣١٠هـ، يونيو

وعندما يحين وقت العرضة يقوم الأمير يعقوب بإصدار إذن لصرف أسلحة العرضة، حيث يقوم بيت الأمانة بتنفيذ الأمر (... إنّ الثلاثون نفر الموضحين أعلاه من جماعة المكرم عبد الباقي عبد الوكيل ورغب صرف الأسلحة لهم لاستعدادهم لعرضة العديد وحيث سيدي إنّ هذا ما ينبغي رفعه لسيادتكم لأمل صدور الأمر بصرفها لهم وأمير لما تروه مفوض ...).[٣٨١]

وتشترك في العرضة جميع القوات وتشارك قوات المشاة والفرسان، وتشتمل العرضة على التدريب على الأسلحة النارية ولكن بدون إطلاق نار، ويصاحب العرضة تدريب على الهجوم بعدد كبير من القوات يشارك فيه المشاة المدعومين بالفرسان والمدفعية من الخلف.[٣٨٢]

استعراض قادة المهدية لجيوشهم:

بالإضافة إلى العرضة المركزية في أم درمان، كان هنالك بعض القادة الذين يقومون باستعراض قواتهم. ومن هؤلاء القادة الأمير عبد الرحمن النجومي الذي ابتكر أسلوباً جديداً في العرضة، وهذا الأسلوب الجديد كان يقوم على اصطفاف القوات في شكل مربع، وعندما علم الخليفة عبد الله بهذا الاستعراض الجديد طلب من عبد الرحمن النجومي أن يغير الأسلوب الجديد في العرضة وأن يرجع إلى الأسلوب القديم المتعارف عليه والذي يعتمد على أسلوب الصف في العرضة، ولأنه في

١٨٩٢م، ص٥٤.

٣٨١ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٨٨/٢ من إبراهيم الخليل إلى الأمير يعقوب، غرة الحجة ١٣١٤هـ، مايو ١٨٩٧م، ص٣٤.

٣٨٢ سيرجي سمرنوف، مرجع سابق، ص١٥٨.

نظر الخليفة عبد الله هو الأسلوب الأمثل لأنه يدخل الخوف في نفوس الأعداء.[٣٨٣]

ومن القادة الذين قاموا باستعراض قواتهم الزاكي طمل، وذلك عندما عاد بقواته من الرجاف، حيث حضر بجيش ضخم عمل على تدريبه واستعراضه في أم درمان بعد عودته، وقد كان يخرج بجيشه في شكل مهيب يشبه إلى حد كبير استعراض الخليفة عبد الله.[٣٨٤]

ومن الممكن أن يكون هذا الاستعراض الذي قام بهي الزاكي طمل هو الشرارة التي ساهمت في القضاء على الزاكي طمل، وجعلت الأمير يعقوب والخليفة عبد الله ينتبهون إلى خطورته وعظمة جيشه.

وعندما حضر حمدان أبو عنجة إلى أم درمان من جبال النوبة وهو على مشارف المدينة طلب منه الخليفة عبد الله أن يقوم بتنظيم جيشه وأن يعمل على اصطفافه في شكل العرضة، وذلك حتى يتفقده الخليفة عبد الله، وبعد اكتمال اصطفاف الجيش تفقده الخليفة عبد الله وهو راكب على فرسه وسط حراسة مشددة.[٣٨٥]

كان الخليفة عبد الله يهتم بمظهر قواته الحاضرة إلى أم درمان من مناطق القتال، وعندما حضرت قوات إبراهيم الخليل من جبال النوبة طلب منه الخليفة عبد الله أن يهتم بمظهر جيشه وأن يعمل على أن يدخل

---

٣٨٣ د. و. م. خ/ مهدية ١/١ من عبد الرحمن النجومي إلى الخليفة عبد الله، ٢٢ صفر ١٣٠٦هـ،اكتو بر ١٨٨٨م، ص٦٦.

٣٨٤ سليمان محمد سليمان،الزاكي طمل، (ب،د)، ١٩٥٩م، ص٤٦.

٣٨٥ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٢٥/١ من الخليفة عبد الله إلى حمدان أبو عنجة، ٢٧ رجب ١٣٠٤هـ، مار ١٨٨٧م، ص٣٨٠.

بجيشه إلى أم درمان وهو في كامل قوته واستعداده وتنظيمه.[٣٨٦]

وعندما اقتربت قوات حمدان أبو عنجة القادمة من جبال النوبة إلى أم درمان صدر له الأمر من الخليفة عبد الله أن يتوجه بقواته في اتجاه النيل الأبيض، وأن يشرف على غسيل ملابسهم وأن يعمل على كسوة كل من تمزقت ملابسه، وذلك بغرض إضفاء الهيبة والتنظيم على قواته.[٣٨٧]

لقد واجه الخليفة عبد الله قصوراً واضحاً في الناحية التدريبية، والسبب في ذلك أنّ قواته معظمها غير نظامية، بالإضافة إلى عدم تفرغهم للجندية واستدعائهم من مناطقهم إلى ميدان القتال، ولذلك كان هنالك تفاوت في ميعاد التدريب الذي كانت تتلقاه قوات المهدية. وبالنظر لقوات المهدية من ناحية التدريب نجد أنّ حامية أم درمان أو القوات المتواجدة في أم درمان هي الأوفر حظاً من ناحية التدريب وتحديداً قوات الملازمية والكارا، والسبب في ذلك استقرار هذه القوات في أم درمان، وبالتالي يقل التدريب في المناطق العسكرية الخارجية، والتي كانت في حالة معارك متواصلة، وينعدم التدريب في جيش الدولة المهدية الاحتياطي والذي يتم نقله مباشرةً من مناطقه إلى جبهات القتال.[٣٨٨]

الفرق الخاصة (الجهادية – الملازمية):

٣٨٦ د. و. م. خ/ مهدية ١/٣٢/١ من إبراهيم الخليل إلى الخليفة عبد الله، ٢٩ شوال ١٣١٠هـ، مايو ١٨٩٢م، ص٦٢.

٣٨٧ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٢٥/١ من الخليفة عبد الله إلى حمدان أبو عنجة، ٢٤ جماد أول ١٣٠٤هـ، اكتو بر ١٨٩٦م، ص٣٠٣.

٣٨٨ عصمت حسن زلفو، كرري، .....، ص١٥٥.

الجهادية:

كانت قوات الجهادية في بداية المهدية وحدة واحدة تحت قيادة حمدان أبو عنجة، ولحاجة الخليفة عبد الله إليهم اتجه إلى التوسع في استيعابهم لكي يعوض بهم بعض خسائره في حروبه ضد الأحباش والتي أبادت معظم قواته، والشيء الثاني كفاءة الجهادية العسكرية.[٣٨٩]

وقد شكلت قوات الجهادية القوة التي اعتمد عليها الخليفة عبد الله في دعم العمالات، وقد كانت عملية توزيعهم تتم بواسطة الأمير يعقوب حيث اعتمد التوزيع على الحاجة إليهم في العمالات المحددة، على أن يقدم عامل العمالة أو قائد الجيش في العمالة طلب للأمير يعقوب يطلب فيه إمداده بقوات الجهادية، وقد ساهم الجهادية بالإضافة إلى مهامهم العسكرية في جمع الضرائب والمحاصيل من الأهالي، وقد طلب أحمد السني من الأمير يعقوب مده بعدد من الجهادية لمساعدته في جمع المحاصيل الزراعية وبعض المهام الأخرى في العمالة (... وسبق عرضنا لسيدي برغبة صدور الأمر لأوليك الأخوان عن تسليمنا ما بطرفهم من الجهادية .... ذكرهم لأجل المساعدة بهم على المصلحة...).[٣٩٠]

وقد كانت مساهمة الجهادية واضحة في جمع الضرائب في ظل الدولة المهدية يشبهون إلى حد كبير قوات الباشبوزق في ظل الحكم التركي، وقوات المهدية أشبه بالقوات البوليسية منها للقوات العسكرية،

---

٣٨٩ المرجع نفسه، ص١٣٢.

٣٩٠ د. و. م. خ/ مهدية ١/٩/١ من أحمد السني إلى الأمير يعقوب، ٧ رجب ١٣١٤هـ،ديسمبر ١٨٩٦م، ص١٣.

وكان للجهادية قائد من التعايشة، ويعمل معه بعض الأقباط في وظائف الكتبة.[٣٩١]

واستخدم الأمير يعقوب قوات الجهادية في رعي الخيول والحفاظ عليها وحمايتها من السلب أو الهروب، حيث كانت ترعى في منطقة الجزيرة وبالقرب من أم درمان.[٣٩٢]

وعندما قرر الخليفة عبد الله أن يصبح الجهادية عنصر دعم لكل الوحدات القتالية اتجه إلى توزيعهم على الأرباع والوحدات القتالية في كل الجيش، وكنتيجة مباشرة لسياسة التوسع في استيعاب الجهادية أصدر الخليفة عبد الله منشوراً منع فيه بيع المردان[٣٩٣*] في الأسواق على أن تتم عملية بيعهم إلى الدولة المهدية، وقد حُدد السعر للواحد بـ ٣٠ ريال مجيدي[٣٩٤*]، ولهذا احتكرت الدولة المهدية بيع الذكور، وكانوا يوشمون على أيديهم اليسرى بحرف (ج) *، ويتقاضون مرتبات شهرية منتظمة مقدارها نصف ريال مجيدي وربع جوال ذرة، أمّا سلاحهم فهم مسلحون بالبنادق ويصرف للواحد أربعة أحزمة من الرصاص تعلق على الكتف.[٣٩٥]

---

٣٩١ ب. م. هولت، مرجع سابق، ص٢٨٠.

٣٩٢ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٨٨/٢ من جاد الله عيسى إلى الأمير يعقوب، جماد أول ١٣١٥هـ، سبتمبر ١٨٩٧م، ص٧٥.

٣٩٣ * المردان: هم الرقيق طوال القامة الصالحين للجندية، اتجه الخليفة عبد الله للاستفادة منهم في دعم قواته، أنظر عصمت حسن زلفو، كرري، ....، ص١٣٢.

٣٩٤ * الريال المجيدي هو واحد من العملات العثمانية التي وجدت رواج في السودان، وعرف بالمجيدي نسبة للسلطان عبد المجيد، أنظر يوسف ميخائيل، مصدر سابق، ص٣١.

٣٩٥ * حرف (ج) لقد كان الدافع وراء هذا الإجراء هو تسهيل عملية العثور على الجهادية، إذ كانوا كثيري الهروب من الجيش، وقد كانت معظم الجرائم في الدولة تسجل في مواجهتهم، أنظر عصمت حسن زلفو، كرري، ....، ص١٣٢.

وكان للجهادية مسجد خاص في معسكرهم بالطابية، وذلك لبعد المسافة بين مسجد الخليفة عبد الله وسكناتهم، لذلك سمح لهم الخليفة عبد الله بالصلاة في مسجدهم في الطابية.[٣٩٦]

وأنشئت للجهادية محكمة خاصة بهم، وعين لهم إبراهيم الخليل أميراً عليهم، الذي اهتم برعايتهم وتربيتهم على الجهاد في سبيل الله وعين لهم قاضياً للفصل في قضاياهم وقد كانت المحكمة تنظر في جميع القضايا المتعلقة بالزواج والطلاق والقضايا الخاصة بالديون والمعاملات التجارية والجرائم الجنائية، وقد كان الخليفة عبد الله يبدي اهتماماً خاصاً بهم لأنهم يمثلون احتياطي الجيش.[٣٩٧]

توزيع قوات الجهادية على العمالات:

لقد كانت قوات الجهادية ورغم المهام الكثيرة التي وقعت على عاتقهم، السند والداعم الأساسي للقوات المتواجدة في العمالات، وقد كان الخليفة عبد الله يبدي اهتماماً بأعداد الجهادية في الجيش، فقد طلب الخليفة عبد الله من عثمان الدكيم بأن يقوم برفع أسماء القوات التي معه ومع قريقر فضل الكريم، وقد قام عثمان برفع الكشوفات التي تضمنت أعداد الجهادية الذين معه في دنقلا ومن مات منهم ومن فقد.[٣٩٨]

رغم خروج الجهادية مع الرايات المختلفة التي معظم مناطق الدولة، لكنهم واصلوا الهروب من تلك الرايات للالتحاق براية حمدان أبو عنجة،

٣٩٦ عصمت حسن زلفو، كرري، المرجع نفسه، ص١٣٢.

٣٩٧ محمد إبراهيم أبو سليم، تاريخ مدينة الخرطوم، .....، ص١٢٩.

٣٩٨ علي محمد علي، مرجع سابق، ص٨٩.

وقد خرج مجموعة من الجهادية من راية محمد البرناوي والتحقوا براية حمدان أبو عنجة.[٣٩٩]

هنالك عدد من المبررات التي تدعم هروب الجهادية من راياتهم إلى راية حمدان أبو عنجة، وأول هذه المبررات ما عرف عن حمدان أبو عنجة من طيب المعشر وحسن الخلق واهتمامه بجنوده والإشراف عليهم، بالإضافة إلى ذلك هو أول من تولى قيادة الجهادية منذ حياة المهدي.

وكانت هناك فرق من الجهادية تقاتل إلى جانب عثمان دقنة، وعندما يحتاجون إلى شيء يقومون بالكتابة إلى الأمير عثمان دقنة، حيث كانوا يمثلون أميرهم علي بخيت.[٤٠٠]

وبلغ عدد الجهادية المقاتلة مع محمود ود أحمد ٢١٢٦، وكانوا يمثلون عنصر الهجوم في حروبه.[٤٠١]

وقد كان الأمير محمود ود أحمد يهتم بتلك القوات، واهتمام محمود بقوات الجهادية ناتج من توجيهات الخليفة عبد الله إليه، وقد طلب الأمير محمود ود أحمد من الخليفة عبد الله الإذن في تعليم الجهادية وذلك لأن الكثير منهم غير متعلمين ولا يجيدون القراءة ولا الكتابة.[٤٠٢]

٣٩٩ د. و. ق. خ/ مهدية ٣/١٨/١ من عثمان الدكيم إلى الخليفة عبد الله، ١٥ جماد أول ١٣٠٧هـ، ١٨٨٨م، ص٣٢٢.

٤٠٠ د. و. ق. خ/ مهدية ٢/٣٧/٢ من محمد البرناوي إلى الخليفة عبد الله، ٢٠ محرم ١٣٠٥هـ، سبتمبر ١٨٨٧ ص١٥٠.

٤٠١ د. و. ق. خ/ مهدية ٤/١٧B/١ من علي بخيت إلى عثمان دقنة، ٩ جماد أول ١٣١٢هـ، نوفمبر ١٨٩م، ص٦٠.

٤٠٢ د. و. ق. خ/ مهدية ١/١٤A/١ من محمود ود أحمد إلى الخليفة عبد الله، ١٤ ربيع أول ١٣١١هـ، سبتمبر ١٨٩٣م، ص٥٠٤.

عزل عبد المولى صابون عن قيادة الجهادية:

بعد انتفاضة الأشراف، ومساندة عبد المولى صابون[٤٠٣]* شقيق حمدان أبو عنجة لهم، عمل الخليفة عبد الله على عزله من قيادة الجهادية الموجودين في أم درمان، ولذلك كتب إلى حمدان أبو عنجة يخبره بأنه يرغب في تعيين شخص خلفاً لعبد المولى صابون، وذلك لأن عبد المولى قد مسه شيء من الجنون، وله حق في أن يرشح شخص من الذين معه في القلابات على أن لا يقوم بترشيح أمبدي الرضي لأن بهي شيء من اللين وقوات الجهادية تحتاج إلى الشدة والغلظة.[٤٠٤]

يتضح أنّ الخليفة عبد الله قد سعى إلى عزل عبد المولى صابون من قيادة الجهادية بعد وقوفه مع الأشراف في انتفاضتهم ضد الخليفة عبد الله، الموقف الذي لم يرضِ الخليفة، على الرغم من أنّ عبد المولى كان من أكثر قادة الجهادية التزاماً واهتماماً بقواته.

وعندما كان الجهادية في حاجة شديدة إلى المال، كان عبد المولى صابون يقوم باستدانة الأموال للصرف عليهم، وقد طلب من أحمد فضل المولى أن يسلفه ألف ريال لسد حاجة الجهادية.[٤٠٥]

---

٤٠٣ د. و. ق. خ/ مهدية١/١٤A/١ من محمود ود أحمد إلى الخليفة عبد الله، ٨ صفر ١٣١٠هـ، سمبتمبر ١٨٩٢م، ص٥٦٠.

٤٠٤ * عبد المولى صابون، هو الأمير عبد المولى صابون أخ الأمير حمدان أبو عنجة ووكيل الراية الزرقاء في أم درمان وقائد قوات الجهادية في أم درمان، وهو صاحب المهام العسكرية المهمة، وقد اتهمه الخليفة عبد الله بموالاة الأشراف، ولذلك عزله مكن قيادة الجهادية في أم درمان وسجنه في سجن الساير، أنظر يوسف ميخائيل، مصدر سابق، ص١٧٣.

٤٠٥ د. و. م. خ/ مهدية ٢/A٢٦/١ من الخليفة عبد الله إلى حمدان أبو عنجة، ١ ربيع أول ١٣٠٦هـ، نوفمبر ١٨٨٨م، ص٢٦٥.

تمرد قوات الجهادية:

رغم اهتمام الخليفة عبد الله بقوات الجهادية لكنهم تمردوا عليه، وقد شمل هذا التمرد معظم البلاد، وقد خرج الجهادية على سلطة الخليفة عبد الله وحملوا السلاح في وجه قواته، وعملوا على سلب الناس حقوقهم وعملوا كذلك على إخافتهم، وقد كان تمرد جهادية محمود ود أحمد في الأبيض لإحساسهم بأنّ الأنصار يستعبدونهم وذلك لأنّ الأنصار في الأبيض استخدموا الجهادية في بناء المنازل، والبعض الآخر رأى أنّ وضعه في ظل الحكم التركي أفضل من وضعهم الحالي في ظل الدولة المهدية، وقد كانوا في فترة الحكم التركي يتقاضون مرتبات ثابتة ومنتظمة، ووضعهم المعيشي أفضل، وحياتهم تأثرت بنمط الحياة المصرية.[٤٠٦]

ولمواصلة الخروج على سلطة الخليفة، قام الجهادية بالتعدي على أهالي منطقة شرق الجزيرة، وقاموا بسلب مواشيهم وأموالهم، وأرهبوا الأهالي باستخدام السلاح الناري. وبعد أن تزايدت حالات التعدي من قبل الجهادية على سكان شرق الجزيرة أمر الخليفة عبد الله الصالح حماد بأن يقبض على كل الجهادية الموجودين في شرق الجزيرة وأن يعمل على مصادرة أسلحتهم، وأن يقوم بإرسالهم إلى أم درمان.[٤٠٧]

وفي عمالة الغرب خرج الجهادية عن سيطرة محمود ود أحمد وأصبحوا يناوشون قواته، وقام محمود ود أحمد بإرسال عدد من الفرسان

٤٠٦ د. و. م. خ/ مهدية ٤٦/١٢/٢٥ من أحمد فضل المولى إلى الخليفة عبد الله، ٢٣ شعبان ١٣٠٧هـ، مارس ١٨٩٠م، ص٧٣.

٤٠٧ إخلاص علي محمد علي الأمير عثمان (جانو) ودورة في بناء المهدية (١٨٨١- ١٨٩٠)، الناشر، دار عزة للطباعة والنشر، الخرطوم، ٢٠٠٥م، ص٩٨-٩٩.

لملاحقة الجهادية الذين فروا من الجيش، وقام بنزع الأسلحة من الجهادية الموجودين معه ووضع رؤوس المئات منهم في الأسر واستبدلهم برؤوس مئات من التعايشة.[٤٠٨]

وقام الجهادية بمهاجمة الأهالي في عمالة الغرب، حيث دفع الأهالي شكواهم إلى الأمير محمود ود أحمد الذي كتب إلى محمد ود بشارة يحثه على منع الجهادية من التعدي على الأهالي وأن يعمل على ردعهم.[٤٠٩]

وقد شد محمود ود أحمد على محمد ود بشارة في أمر الجهادية، وطلب منه بأن يقوم بجمع كل ما اغتصبه الجهادية من الأهالي وأن يقوم برده إلى أصحابه وأن يمنعهم من مغادرة الفاشر.[٤١٠]

وأمّا في أم درمان فقد سيطر الجهادية على مشرع الهجرة، وقاموا بضرب رئيس المعدية، الشيء الذي أثر وبصورة واضحة في وارد مال الفيء إلى أم درمان.[٤١١]

وبعد أن تزايدت حالات التعدي من قبل الجهادية، أصدر الخليفة عبد الله أمراً يمنع الجهادية من الزواج من الأحرار (... الإشارة الكريمة التي صدرت بمنع زواج الجهادية للأحرار ...).[٤١٢]

---

٤٠٨ د. و. م. خ/ مهدية ١/B١٩/٣ من الصالح حماد إلى الخليفة عبد الله، ٢٥ ذي الحجة ١٣١٥هـ، ابريل ١٨٩٨م، ص١٠٢.

٤٠٩ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٦٢/٢ من الخليفة عبد الله إلى محمود ود أحمد، ٣ القعدة ١٣١٥هـ، مار ١٨٩٨م، ص٨٢.

٤١٠ د. و. م. خ/ مهدية ١/٣٦/٢ من محمود ود أحمد إلى محمد ود بشارة، ١٩ القعدة ١٣٠٨هـ، يوليو ١٨٩١م، ص١.

٤١١ د. و. م. خ/ مهدية ١/٣٦/٢ من محمود ود أحمد إلى محمد ود بشارة، ٢٢ القعدة ١٣٠٨هـ، يوليو ١٨٩١م، ص٢.

٤١٢ د. و. م. خ/ مهدية ١/A١٠/٢ من إدريس وعثمان محمد كرار إلى الأمير يعقوب، ٢٠ جماد آخر

هذا الإجراء الذي اتخذه الخليفة عبد الله تجاه قوات الجهادية يدل على أنّ الخليفة عبد الله يرغب في الضغط عليهم وإذلالهم بعد معارضتهم له.

نجد أنّ قوات الجهادية في الدولة المهدية تشبه قوات الانكشارية في الدولة العثمانية، ومثلما كان الانكشارية الدعامة الأساسية في قيام الدولة العثمانية والعامل الأساسي في سقوطها بعد ذلك، ينطبق الأمر على قوات الجهادية حيث كانوا من العوامل المهمة في تثبيت دعائم المهدية وانهيارها من الداخل وذلك للآتي:

- مهاجمة الجهادية للأهالي وأخذ أموالهم وممتلكاتهم الشيء الذي أوغر نفوس الأهالي ضد حكم الخليفة عبد الله.
- محاربة الجهادية لقوات الخليفة عبد الله الأمر الذي كبد الخليفة عبد الله الكثير من الخسائر المادية والمعنوية.

قوات الملازمية:

عند بداية انتفاضة الأشراف الأولى قام الخليفة عبد الله بتكوين قوات الملازمية أي الحرس الخاص بالخليفة وأوكل أمر تلك القوات إلى ابنه عثمان شيخ الدين.[٤١٣]

وقد وجدت قوات الملازمية الاهتمام من الأمير يعقوب، الذي عمل على تقسيمهم إلى أرباع، وقد اختلفت أعداد الأرباع تبعاً لأعداد الملازمية، وكانت تصرف لهم مرتبات منتظمة، وأوكل أمر صرف تلك المرتبات إلى

١٣١٥هـ، أكتوبر ١٨٩٧م، ص١٩.

٤١٣ د. و. م. خ/ مهدية ١/١١/٢ من الشريف حميدان إلى الأمير يعقوب، ١٤ محرم ١٣١٥هـ،يونيو ١٨٩٧م، ص٧.

أحمد إبراهيم، الذي يقوم برفع الكشوفات بعد ذلك إلى الأمير يعقوب.[٤١٤]
وقد كانت مرتبات الملازمية أعلى المرتبات مقارناً بالمجموعات الأخرى في جيش الدولة المهدية، الأمر الذي أثار حفيظة بعض المجموعات في الجيش.[٤١٥]

وارتفعت أعداد قوات الملازمية بصورة كبيرة وذلك لحاجة الخليفة عبد الله إليهم، ولكي يضمن الخليفة عبد لله ولائهم أنشأ لهم بيت مال خاص عرف ببيت مال الملازمية ومخزن خاص لأسلحتهم.[٤١٦]

وقد كانت قوات الملازمية تختلف اختلافاً كبيراً عن الرايات من ناحية التبعية لقبيلة محددة، وكانت قوات الملازمية تضم معظم أبناء القبائل وهي خالصة الولاء للخليفة عبد الله.[٤١٧]

وبعد تزايد أعداد قوات الملازمية عمل الخليفة عبد الله على أن يجعل منهم قوة ضاربة وسريعة ورئيسية في الجيش، وبعد أن قام بفصل حرسه الخاص الذي أصبح تحت قيادته المباشرة وأصبح عثمان شيخ الدين قائداً لقوات الملازمية التي قسمت إلى اثنين: حرس الخليفة الخاص والملازمية.

١/ حرس الخليفة الخاص:

يتكون حرس الخليفة الخاص من ألفي مقاتل مسلحون بالبنادق تم تقسيمهم إلى ربعين، الربع الأول تحت قيادة بخيت جاموس والربع الثاني تحت قيادة فضلي جانقي.

---

٤١٤ حاتم الصديق محمد أحمد، مرجع سابق، ص٧٣.

٤١٥ إبراهيم شحاتة حسن، مرجع سابق، ص٢٩٢-٢٩٣.

٤١٦ محمد سعيد القدال، السياسة الاقتصادية للدولة المهدية، ....، ص١٧٥-١٧٦.

٤١٧ محمد إبراهيم أبو سليم، تاريخ مدينة الخرطوم، ....، ص٩٧.

ويمثل الربع الأول ربع الإمداد ويحملون بنادق الرمنجتون، وأمّا ربع فضلي جانقي فقد قسم إلى عدة أقسام هي:

- **الخشخشان:** يحملون بنادق صيد الأفيال وكانت تسمى ربع مدفع ويلبسون صدرية فوق الجبة.
- **المشمراتية:** هم مقاتلون طوال القامة يمتازون بضخامة الجسم، وتتم عملية اختيارهم بدقة وتم تجميعهم في رايتين مسلحين بالحراب الطويلة ويلبسون الجبة التي رفعت سراويلها إلى ما فوق الركبة ولا يلبسون عمة بل يلبسون طاقية ضخمة ذات قرنين.
- **البلطجية:** وهي مقسمة إلى عدة مقدميات يحمل أفرادها بلطة ضخمة.
- **وحدات الموسيقى:** انقسمت وحدات الخليفة عبد الله الموسيقية إلى ثلاثة أقسام هي:

١- جماعة الآلات النحاسية وأغلبهم من جنود الجيش التركي الذين وقعوا في الأسر.

٢- جماعة الصفارة: وهم حملة الأبواق والآلات المختلفة الإيقاع على نمط موسيقى الفور.

٣- جماعة الأمباية: تتكون من أربعة عازفين يحملون الأمباية، وهي عبارة عن سن فيل ضخمة ويتم العزف عليها عندما يكون الخليفة عبد الله متحركاً للعرضة أو لجمع المقاتلين.[٤١٨]

أرسل عثمان آدم إلى الخليفة عبد الله من الغرب أمبايتين وطلب من الخليفة عبد الله بعد أن يستلمهم أن يكتب له بالاستلام.[٤١٩]

٤١٨ المرجع نفسه، ص١٠٩.

٤١٩ عصمت حسن زلفو، كرري، ....، ص١٣٦.

وقد اهتم الخليفة عبد الله بمظهر حرسه الخاص وكان يشرف بنفسه على تصميم ملابسهم.

٢/ الملازمية:

بعد أن أهلكت الحرب الحبشية معظم قوات الخليفة عبد الله، وظهور بوادر انتفاضة الأشراف اتجه الخليفة إلى تجنيد عدد من الجنود على درجة عالية التدريب والتسليح، وقد ركز على مصدرين لجمع تلك القوات، الأول أبناء زعماء القبائل والعشائر أصحاب الولاء للخليفة عبد الله، والمصدر الثاني الرقيق الذين احتكرت الدولة تجارتهم.

وقد زادت قوة الملازمية حتى أصبحوا يكونون جيشاً قوياً، حيث عمل الخليفة عبد الله على إضافة بعض قوات الجهادية إليهم، أوكل أمر قيادتهم إلى ابنه عثمان شيخ الدين، وتم تقسيم قوات الملازمية إلى قسمين:

- القسم الأول قوات الملازمية تحت قيادة عثمان شيخ الدين.
- القسم الثاني قوات الكارا[٤٢٠]* تحت قيادة إبراهيم الخليل.

تتكون فرقة الملازمية من ستة عشر ربعاً مسلحين بأحسن البنادق ويقود كل ربع أمير ربع، وقسمت الأرباع إلى عدد من الرايات التي تتراوح ما بين ٨–١٢ راية في الربع الواحد وتتكون كل راية من مئة مقاتل مثل تنظيم الجهادية على رأس كل راية أمير.

وقد خصص إيراد كل منطقة الجزيرة من الغلال لقوات الملازمية،

---

٤٢٠ د. و. م. خ/ مهدية ١/١٢٨/١ من عثمان آدم إلى الخليفة عبد الله، ١٨ ربيع آخر ١٣٠٥هـ،ديسمبر ١٨٨٧م، ص٦٣.

وطول فترة الدولة المهدية لم يخرج الملازمية من أم درمان للمشاركة في أي نشاط عسكري. [٤٢١]

وكانت لهم محكمة خاصة في أم درمان، ومن المهام الواقعة على هذه المحكمة الفصل في كل القضايا التي تتعلق بهم، ومن مهامهم حراسة الخليفة عبد الله وأسرته وحراسة الخلفاء، ويقومون بتنظيم مجالس الدراسة والاجتماعات التي يأمر الخليفة عبد الله بانعقادها، وكانت سكناتهم بالقرب من سور أم درمان، وكان الشيخ محمد وافي التعايشي أول قاضي شرعي لهم.[٤٢٢]

ورغم العناية الكبيرة التي وجدتها قوات الملازمية إلا أنه كانت هنالك حالات فرار من أرباعهم وكانت وجهتهم إلى الجزيرة هرباً من الخدمة العسكرية ومن الأرباع التي زادت فيها حالات الهروب ربع عثمان شيخ الدين وهارون محمد أخ الخليفة عبد الله وربع إبراهيم الخليل.[٤٢٣]

وللحد من ظاهرة هروب الملازمية كلف الأمير يعقوب الصالح حماد عامل المهدية على الجزيرة بأن يلقي القبض على أي فرد من الملازمية المتواجدين في منطقة الجزيرة على أن يقوم بإرساله إلى أم درمان، وقد قام الصالح حماد بإلقاء القبض على أي شخص لا يحمل تصريحاً من الخليفة عبد الله والأمير يعقوب، وقد كانت المجموعات

٤٢١ * الكارا: في العامية السودانية هي المكان الذي تجمع فيه مجموعة من الناس لهم هواية مشتركة مثل شرب الخمر والأنس، والمقصود الكارا في الدولة المهدية القوات و المساكن التي أقامها الخليفة عبد الله لقوات الجهادية بالطابية القديمة في أم درمان، أنظر علي محمد علي، مرجع سابق، ص١٣٤.

٤٢٢ عصمت حسن زلفو، كرري، ....، ص١٣٦.

٤٢٣ علي محمد علي، مرجع سابق، ص٨٩.

التابعة لقوات الملازمية والتي فرت إلى منطقة الجزيرة تتكون من قبائل الحمر والتعايشة والرزيقات وبعد القبض عليهم تم إرسالهم إلى الأمير يعقوب في أم درمان.[٤٢٤]

وبعد سقوط الدولة المهدية استوعبت دولتي الحكم الثنائي بريطانيا ومصر قوات الملازمية في شرطة أم درمان واستخدمتهم القوات البريطانية في تفتيش المنازل.[٤٢٥]

---

٤٢٤ د. و. م. خ/ مهدية ٢/١٩/١ بيان جهادية فارين من أم درمان، ٣ ذي الحجة ١٣١٢هـ، ابريل ١٨٩٥م، ص١٠٣-١٠٤.

٤٢٥ د. و. م. خ/ مهدية ٢/١٩/١ من الصالح حماد إلى الخليفة عبد الله، ١٣ ذي الحجة ١٣١٢هـ، ابريل ١٨٩٥م، ص١٠٦.

الفصل الرابع

تمويــل الجيــش وتسليحــه في الدولــة المهديــة

المبحث الأول:

تمويــــل الجــــيش

اعتمد تمويل الجيش في الدولة المهدية على بيت المال المركزي في أم درمان – بيت مال العموم– وكانت بداية بيت المال في الدولة المهدية في قدير، حيث كان عبارة عن مخزن للغنائم، التي غنمتها قوات المهدي في معاركها ضد قوات الشلالي وراشد، وقد قام بيت المال في قدير بتنظيم عملية إطعام القوات التي انضمت للدولة المهدية. وبعد فتح الأبيض، رأى المهدي تنظيم بيت المال لكي يواكب التوسع الواضح في مصادر الدخل الجديدة، ولذلك قام بتعيين أحمد سليمان أميناً لبيت المال الذي كان يشغل هذا المنصب منذ قدير، ولكن في الأبيض كلف رسمياً بإدارة بيت المال، وبعد أن تشعبت مهام بيت المال قام المهدي بتعيين محمد عمر البنا وأحمد النور في وظيفة كاتبين لمساعدة أحمد سليمان وأعطى بيت المال صلاحيات واسعة.[٤٢٦]

كانت مصادر دخل بيت المال في الفترة الأولى من عمر المهدية محدودة، منها الغنائم والهدايا والفي والضريبة المفروضة على الأرض. وقد اعتمد على الأسلوب المركزي في الصرف، الأمر الذي أدى إلى فوضى تمثلت في الازدحام حول بيت المال، مما جعل أحمد سليمان أمين بيت المال يكتب للمهدي يطلب منه اتخاذ إجراء صارم لمنع التجمع حول

---

٤٢٦ Ferqus Nicoll,op.cit., p . 50

بيت المال، ونتيجةً لذلك كلف المهدي الخليفة عبد الله بالعمل على إبعاد الناس من حول بيت المال.[٤٢٧]

بعد فتح الخرطوم توسع بيت المال وتنوعت مصادر دخله، وأصبحت هنالك مصادر جديدة تمثلت في الزكاة وهي زكاة الفطر والغنائم التي تشمل الأرض والمال، والعشور المفروضة على البضائع، والسلع ذات الأهمية الاقتصادية مثل الصمغ العربي وسن الفيل، ثم الفيء والأموال المصادرة، وإيجار المراكب والمشارع والدور المؤممة والغابات والزكاة المفروضة على إنتاج الأملاك الخاصة والتي تمثل عشر أو نصف العشر.[٤٢٨]

بيت المال في عهد المهدي:

اهتم المهدي بالصرف على جيشه الذي يعتبر النواة الأولى لتأسيس جيش نظامي ثابت، وحدد للعاملين فيه مرتبات ثابتة. ولترشيد عملية الصرف اهتم المهدي بحصر القوات، وقام بتوزيع الأموال على الرايات بواسطة الأمراء المسئولين عن تلك الرايات. وفي عام ١٣٠١هـ/١٨٨٤م صرف بيت المال على الرايات ٣٠ ألف ريال تم توزيعها كالآتي:

الراية الزرقاء ١٥ ألف ريال

الراية الحمراء ٨ ألف ريال

الراية الخضراء ٧ ألف ريال

وقد كان توجيه المهدي بأن يصرف للراية الزرقاء النصيب الأكبر

٤٢٧ محمد سعيد القدال، السياسة الاقتصادية للدولة المهدية،.مصادرها وتطبيقاتها ،(١٨٨٠- ١٨٨٩)، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م، ص١٧٥.

٤٢٨ المرجع نفسه، ص١٧٨.

لأنها تمثل أساس الجيش وهي أكبر الرايات.[٤٢٩]

واهتم بيت المال بالصرف على المجموعات المحتاجة وفي عام ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥م قام بيت المال بحصر المجموعات المحتاجة حيث بلغ تعدادهم ٤٦٩٩ محتاجا، وتضمن كشف المحتاجين كبار السن والمكفوفين والأيتام والنساء والأرامل، وقد كانت هذه المجموعات تقدم طلبات بيت المال من أجل المساعدة. وأظهر المهدي اهتماماً واضحاً بشريحة المحتاجين وعمل على زيادة الصرف لهم ،وساهم بيت المال أيضاً في حل المشاكل التي تواجه الأفراد في الدولة المهدية، وعندما تعرض المشكلة على المهدي، يوجه بيت المال بالصرف للشخص المحتاج، وتمثلت المساعدات في حالات الأفراد الذين تضرروا من المعارك، والذين يستدينون من بيت المال ويعجزون عن سداد دينهم لبيت المال فيكتبون للمهدي الذي يقوم بتخفيض المبلغ، وقد قدم بيت المال إعانات للسكان بلغت ٣٠٠ ريال.[٤٣٠]

بيت المال في عهد الخليفة عبد الله:

كان لبيت المال في أول الأمر إدارة موحدة تحت تصرف أمين واحد وهو أمين بيت المال، وبعد ذلك قسم بيت المال إلى وحدات متخصصة أهمها بيت مال العموم الموجود في أم درمان، وأصبح له فروع في العمالات وسميت ببيوت مال العمالات. وبالإضافة لبيت مال العموم

٤٢٩ محمد إبراهيم أبو سليم، الأرض في المهدية، الناشرون شعبة أبحاث السودان، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، الكراسة رقم (٥)، مطبعة التمدن، الخرطوم، ١٩٧٠م، ص٤٠.

٤٣٠ محمد سعيد القدال، السياسة الاقتصادية للدولة المهدية، ....، ص١٧٩.

في أم درمان أنشئت بيوت مال أخرى متخصصة في أم درمان منها بيت مال الملازمية، وبيت مال الفي، وبيت مال الترسانة الحربية، وبيت مال الحربية، وبيت مال ظبطية السوق، وبيت مال الخمس، وبيت مال الجهادية.[٤٣١]

بيت المال المركزي في أم درمان(بيت مال العموم):

اعتمد بيت مال العموم على مصادر دخل متعددة اشتملت على الزكاة المفروضة وإيجار الدكاكين ،والقبانة ،والعشور ،وثمن الجمال التي يتم بيعها، وتجريد بعض الذين يخالفون الأوزان والأثمان، ومصادرة الأشياء التي تم منعها بواسطة المهدي أو الخليفة عبد الله، مثل الخمر والتنباك، والأرباح التي يتحصل عليها نظير بيع الذهب وتبديل العملة من تبديل القوشلي[٤٣٢]* بالمقبول، وقد كانت عملية الاستبدال تتم بعلم الدولة المهدية.[٤٣٣]

وقد كان وارد الذهب إلى بيت المال يأتي من منطقة بني شنقول، وقد استلم إبراهيم عدلان أمين بيت المال مئة وقيه من الذهب المرسل من عامل تلك المنطقة عبد الرحمن خوجلي.[٤٣٤]

وهنالك مواد أخرى ترسل كدعم لبيت المال العمومي في أم درمان مثل سن الفيل. فقد أرسل عربي دفع الله من بحر الغزال مئة سن

٤٣١ المرجع نفسه، ص١٨٠.
٤٣٢ محمد إبراهيم أبو سليم، الأرض في المهدية، .....، ص٤٠.
٤٣٣ * القوشلي يطلق عليه أبو نقطة، وهو عملة نمساوية تعرف بالمار يا تريزا، أنظر يوسف ميخائيل، مصدر سابق، ص١٠٧.
٤٣٤ د. و. م.خ/ مهدية ١٠/٣/٧ موارد بيت المال، ص١٠٠.

فيل لبيت مال العموم[٤٣٥] وأرسل محمد كركساوي إلى بيت المال أيضاً ١٢٥٠٠ ألف ريال من بحر الغزال أيضاً للمساهمة في الصرف المتواصل من بيت المال.[٤٣٦]

وكان التجار في الدولة المهدية يقدمون الدعم لبيت المال في شكل تبرعات، وقد تبرع التجار الذين احتجزت بضائعهم في بربر بريال قوشلي عن كل قنطار من الصمغ المحجوز في بربر، وقد جاء هذا التبرع بعد أن قام الخليفة عبد الله بفتح الطريق التجاري مع سواكن.[٤٣٧] وأرسل أحمد السني لبيت مال العموم اثنين وأربعين ألف أردب ذرة وهي الكميات التي تم جمعها لبيت مال العموم من منطقة الجزيرة، وشرق النيل الأزرق والنيل الأبيض.[٤٣٨]

وعندما تم تجريد الياس باشا أم برير تم إدخال جميع أمواله العينية والنقدية لبيت المال وهذا الإجراء نموذج حي لتجريد الزعماء وإدخال أموالهم لبيت المال.[٤٣٩]

---

٤٣٥ د. و. م.خ/ مهدية ١/٥/٣ من الخليفة عبد الله إلى إبراهيم عدلان، ٢٩ رجب ١٣٠٣هـ، ابريل ١٨٨٦م، ص٤.

٤٣٦ د. و. م.خ/ مهدية ٣/٣٢/١ من عربي دفع الله إلى الخليفة عبد الله، ١٢ جماد آخر ١٣١١هـ، يناير ١٨٩٤م، ص٥٢.

٤٣٧ د. و. م.خ/ مهدية ٣/A٢٦/١ من حمدان أبو عنجة إلى الخليفة عبد الله، ٨ جماد أول ١٣٠٤هـ، أكتوبر ١٨٩٦م، ص١٩.

٤٣٨ د. و. م.خ/ مهدية ١/١٩A/١ من النور إبراهيم إلى الخليفة عبد الله، ٢ ربيع أول ١٣١٤هـ، أغسطس ١٨٩٦م، ص١٥٩.

٤٣٩ د. و. م.خ/ مهدية ٢/٩/١ من أحمد السني إلى الأمير يعقوب، ٧ شوال ١٣١٤هـ، مارس ١٨٩٧م، ص١٤٦-١٤٧.

ملكية بيت المال للأرض:

المقصود بالأرض هنا هي الأرض التي كانت للأتراك أو النصارى في الدولة المهدية وهي تعتبر غنيمة، ولبيت المال الحق في التصرف فيها، وهنالك أيضاً أراضي الفي[٤٤٠]* وهي الأرض التابعة للحكومة التركية ولم يملكها أحد من السكان. ونجد أنّ معظم أراضي الفي كانت في كل من الخرطوم، الكاملين، دنقلا، الحلفايا، الفتيحاب، والفاشر، وقد أعطيت تلك الأراضي في بعض الحالات إلى الجهادية وعامة الأنصار دون أن يأخذ منهم بيت المال مقابل ذلك، وذلك لكي يستعينوا بها في تدبير معاشهم وأعلاف خيولهم.[٤٤١]

وكان لبيت المال العمومي إشراف على الزراعة، حيث كان هنالك عدد من السكان الذين يقومون بزراعة الأرض تحت إشراف بيت المال ويعطون بيت المال نصيبه من المحصول وهو ما كان يعرف بنظام التزرعة، حيث يقسم المحصول بين المزارع وصاحب الأرض، وقد ترك تحديد المقدار لعامل المنطقة. وفي بعض المرات كان بيت المال يقوم بتقديم الأموال والتواريب (البزور) للمساهمة في الزراعة.[٤٤٢]

الغنيمة:

تمثل الغنيمة مصدراً من مصادر الدخل لبيت المال في الدولة المهدية. وتنقسم الغنائم إلى قسمين، القسم الأول الغنائم التقليدية والثاني التغنيم

٤٤٠ يوسف ميخائيل، مصدر سابق، ص٢٢٧.

٤٤١ * أرض الفي: في الإسلام هي الأرض التي استحوذ عليها المسلمون بالصلح مع أهلها، أنظر محمد إبراهيم أبو سليم، الأرض في المهدية، ....، ص٣١.

٤٤٢ محمد سعيد القدال، السياسة الاقتصادية للدولة المهدية، ....، ص٥٥.

الذي أدخلته الدولة المهدية، والغنائم التقليدية تشمل:

- غنائم المدن التي فتحت بالحرب.
- أموال المحاربين للمهدية والهاربين منها.
- أموال التجار في المدن المفتوحة.
- أموال الحكومة التركية.

وأمّا التغنيم فيشمل:

- أموال التجار الذين يدخلون إلى الدولة المهدية دون إذن منها.
- أموال أثرياء الحرب.
- الأموال التي يخرج بها الهاربون من المدن المحاصرة.
- أموال الذين لا يصدقون بالمهدية.
- أموال المرتدين عن المهدية.
- أموال المرتكبين للموبقات كالخمر والتنباك.
- كل متعلقات الحرب
- أموال الذين يغيرون على الحدود بغرض النهب.
- أموال الذين يخفون العملة أو يتلاعبون بها.
- أموال الذين يتأخرون عن الجهاد.[٤٤٣]

وبعد توقف الحروبات الخارجية أصبحت الحروبات الداخلية ضد القبائل السودانية المعارضة للخليفة عبد الله مصدراً من مصادر الغنيمة. ومن القبائل التي أخذت أموالها كغنائم وأدخلت لبيت المال، الضباينة،

---

٤٤٣ محمد سعيد القدال، السياسة الاقتصادية للدولة المهدية، ....، ص٦٣-٦٤.

الكبابيش، بني حسان، الجعليين. ولقد كانت الغنائم التي أخذت منهم بعد هزيمتهم كثرة جداً، وقد بلغت غنائم الجعليين ١٠٠ ألف ريال.(٤٤٤)

الصرف من بيت مال العموم:

يقوم بيت مال العموم في أم درمان بالصرف على الجيش، وقد خصص الجزء الأكبر من وارداته للصرف على حامية أم درمان، ووحدات القيادة العامة والإدارة، وكان بيت المال أيضاً يقوم بالصرف على القوات المرابطة خارج أم درمان ويقوم بدعم القوات المقاتلة والتي في مسارح العمليات، ويصرف على احتياجات المصانع الموجودة في أم درمان ومعدات الصيانة. وقد مثل بيت المال في أم درمان مخزناً للأموال والحبوب وكل الاحتياجات والمهمات عدا السلاح الناري والذخيرة، وقد تولى عدد من الأمناء منصب أمين بيت مال العموم في أم درمان منهم أحمد سليمان، إبراهيم عدلان، النور إبراهيم الجريفاوي، العوض المرضي، إبراهيم رمضان، الحاج أحمد يسن. وقد كان لأمين بيت المال عدد من المساعدين أهمهم أمين شونة[٤٤٥*] الجيش في الموردة وكان عليها محمد أحمد مضوي، وقد كانت منفصلة عن شونة العاملين في بيت المال، وشونة الملازمين. وأمين بيت المال هو المسؤول عن تخزين الغلال وصرفه لحامية أم درمان، وإذا حدث نقص في الغلال يقوم بسد النقص من بيوت مال المناطق العسكرية أو العمالات، ويقوم كذلك بتمويل

---

٤٤٤ المرجع نفسه، ص١٥٠.

٤٤٥ محمد سعيد القدال، السياسة الاقتصادية للدولة المهدية، ....، ص١٥١.

الحملات ت العسكرية المنطلقة من أم درمان.[٤٤٦]

كان الأمير يعقوب المشرف على بيت المال في أم درمان، وهو الذي يقوم بإصدار تصاديق الصرف، وكانت طلبات الصرف تقدم له، فيقوم بالكتابة لأمين بيت المال بالتصديق، ويقوم أمين بيت المال بالكتابة للصراف المسئول عن الصرف، أمّا المرتبات في بيت المال فقد كانت كالآتي: أمين بيت المال يتقاضى ٥٠ ريال والكتاب ٨ ريال.[٤٤٧] وقام بيت المال المركزي في أم درمان في شهر ذي القعدة سنة ١٣١٤هـ/١٨٩٦م بصرف ١٠٤٩ ريال لقوات الجهادية، و١٥٩٠ ريال لعمال المدافع وللقوات المرابطة في دنقلا والتعايشة، كما شمل الصرف عمال الذخيرة والبريد والمؤذنين وموظفي المحاكم والمطبعة.[٤٤٨]

وشمل الصرف من بيت المال: بيت الأمانة والورش الحربية والبواخر، والمبلغ الذي صرف لبيت الأمانة في ٢٩ ربيع أول ١٣١٥هـ/يوليو ١٨٩٧م ٥٠٣ قوشلي.[٤٤٩]

وامتد الصرف من بيت المال المركزي إلى حفر الآبار والإشراف عليها، وقد تم حفر عدد من الآبار بأمر الأمير يعقوب.[٤٥٠]

٤٤٦ * الشونة: هي الغلال ويطلق لفظ الشونة على مخزن الغلال، أنظر يوسف ميخائيل، مصدر سابق، ص٣١.

٤٤٧ عصمت حسن زلفو، كرري، ....، ص١٥١.

٤٤٨ محمد سعيد القدال، السياسة الاقتصادية للدولة المهدية، ....، ص١٨٨.

٤٤٩ Wenqet,op.cit .p. ٥٣١.

٤٥٠ د. و. م. خ/ مهدية ٢/A١/١من النور إبراهيم الجريفاوي إلى الأمير يعقوب، ٢٩ ربيع أول ١٣١٥هـ، يوليو١٨٩٧ م،ص٦٠.

صرف المرتبات من بيت المال:

كان بيت المال يقوم بصرف مرتبات لكل من الخليفة عبد الله وأخويه هارون والسنوسي ومحمد البشرى ابن المهدي، ومرتبات الخليفة علي ود حلو والخليفة محمد شريف، وكان تفصيلها كما يلي:

الخليفة عبد الله	٦٠٠ مقبول
هارون أخ الخليفة عبد الله	١٠٠
السنوسي أخ الخليفة عبد الله	٥٠
محمد البشرى ابن المهدي	٢٥
الخليفة علي ود حلو	٣٠٠
الخليفة محمد شريف	٣٠٠[٤٥١]

الصرف من بيت مال العموم على الرايات:

كان بيت المال يصرف بصورة مباشرة على السرايا والرايات والقوات الموجودة في دنقلا والراية الزرقاء وأمناء قوات الملازمية وجنود الكارة. وقد بلغ ما تم صرفه على سرية دنقلا ١٣٠٠ قوشلي، أمّا أمناء الملازمية ٢٥٠٠ قوشلي و١٢٤٠٠ مقبول، أمّا الجهادية والكارة ١١٤ قوشلي و٤٠١٠ مقبول.[٤٥٢]

وقد ساهم بيت المال المركزي في أم درمان في الصرف على قوات عثمان دقنة وعائلته، وصرف أيضاً على راية الطاهر المجذوب وراية

٤٥١ د. و. م. خ/ مهدية ٢/A١/١ من عثمان صالح إلى الأمير يعقوب، ١ ربيع أول ١٣١٥هـ، يوليو ١٨٩٧م، ص٨.

٤٥٢ د. و. م. خ/ مهدية ١٠/٣/٧ منصرفات بيت المال، ص١٠٥.

محمد الأزرق وراية عوض الكريم كافوت، وكذلك راية على دقنة وحامد حمداب.[٤٥٣]

وعندما انعدمت الغلال في كسلا طلب محمد عثمان أبو قرجة من الخليفة عبد الله مده بالغلال وذلك لانعدامها في كسلا، السبب الذي جعل عدد كبير من قواته تتحرك إلى خارج المدينة بحثاً عنها.[٤٥٤]

وتم توزيع الغلال من بيت المال على السرايا، مثل سرية محمود ود أحمد وسرية أحمد فضيل، وعثمان دقنة وقواته، وقد قدم بيت المال تلك الغلال في شكل مساعدات وإعانات.[٤٥٥]

أرسل بيت المال غلالاً إلى القوات المرابطة في أبو حمد، بعد أن تقدم النور إبراهيم الجريفاوي بطلب إلى الأمير يعقوب وإبراهيم ود عدلان أمين بيت المال، وقد كانت البواخر والمراكب تستخدم في نقل الغلال إلى القوات البعيدة عن أم درمان، وهنالك طريقة أخرى وهي الإبل التي ساهمت في نقل الغلال أيضاً.[٤٥٦]

تم الصرف من بيت المال المركزي على قوات محمود ود أحمد المتوجهة نحو الشمال لصد الجيش الغازي، وصرف أيضاً على قوات الكارا والجهادية وإيجار المراكب لترحيل قوات الأمير محمود ود أحمد.[٤٥٧]

---

٤٥٣ د. و. م. خ/ مهدية ١٠/٣/٧ بيت مال العموم، ١٣١٤هـ، ١٨٩٦م، ص١.

٤٥٤ د.و.م. خ/مهدية ٤٨/١٣/٥ كشف حسابات بيت المال المركزي، صفر ١٣٠٧هـ، سبتمبر ١٨٨٩م، ص١٤.

٤٥٥ د. و. م. خ/ مهدية ٢٢/٦/٣ من محمد عثمان أبو قرجة إلى الخليفة عبد الله، ٣ رجب ١٣٠٨هـ، فبراير ١٨٩١م، ص١٤٧.

٤٥٦ د. و. م. خ/ مهدية ٩/٢/٧ منصرفات بيت المال، ١٣١٥هـ، ١٨٩٧م، ص٥.

٤٥٧ د. و. م. خ/ مهدية ١/١٩٨/١ من النور إبراهيم إلى الخليفة عبد الله، ٨ جماد آخر، ١٣٠٧هـ،يناير ١٨٩٠م، ص١٤٥.

نجد أنّ الدولة المهدية قد عمدت إلى إيجار المراكب، والجهة التي كانت تقوم بإيجار المراكب هي بيت المال، ومبرر ذلك أنّ المراكب كانت تؤجر إلى أشخاص في الدولة والشيء الثاني الاتساع الواضح في مساحة الدولة المهدية والتي تمتد من خط الاستواء جنوباً وحتى دنقلا شمالاً، الأمر الذي لم يمكن الدولة المهدية من تغطية تلك الرقعة الجغرافية، لذا عمدت إلى الإيجار.

الصرف على المراكب:

كان بيت المال يصرف على إيجار المراكب وصيانتها وشراء الأخشاب، وقد ساهمت المراكب في الدولة المهدية في نقل القوات من أم درمان وإليها وفي نقل الذرة من العمالات المختلفة إلى بيت المال في أم درمان، وشمل الصرف أيضاً الصرف على الطوبجية[٤٥٨*] وتكية[٤٥٩*] الأمير يعقوب، والضيوف الوافدين إلى أم درمان، وعمال البريد – الهجانة – حيث صرف لهم ٧ قوشلي و ٢٨٢٤ مقبول، وصرف بيت المال أيضاً على مرتبات عمال البواخر وشراء احتياجاتها التي بلغت ١٦٧٨٠٠ مقبول، وصرف أيضاً على سجن الساير.[٤٦٠]

وصرف بيت المال على الترسانة الحربية، حيث دفع ٢٥٠ قوشلي لشراء قسطير ونشادر، وصرف أيضاً ٧٩٩ قوشلي لتجليد النحاس الموجود في أم درمان.[٤٦١]

---

٤٥٨ د. و. م. خ/ مهدية ١٠/٣/٧ الصرف من بيت المال، ص٩٩.

٤٥٩ * الطوبجية كلمة تركية يقصد بها رامي المدفع، الطوبجية هم المدفعية، أنظر يوسف ميخائيل، مصدر سابق، ص١٠٥.

٤٦٠ * التكية هي ملجأ الفقراء، ويقصد بها بيت الضيافة الخاص بالأمير يعقوب في الدولة المهدية، أنظر المصدر نفسه، ص١٩٠.

٤٦١ د. و. م. خ/ مهدية ١٠/٣/٧ بيت مال العموم، ١٣١٤هـ، ١٨٩٦م، ص٣.

وقد كانت أوامر الصرف للترسانة الحربية تصدر من الأمير يعقوب لبيت المال المركزي، حيث طلب من النور إبراهيم الجريفاوي بخطاب منه صرف مبلغ ٥٣٦ ريال للعمال في الترسانة الحربية.[٤٦٢]

اهتم بيت المال المركزي بالصرف على بيت الأمانة والورش الحربية، والتصنيع الحربي، وقد كان أمين بيت المال المركزي النور الجريفاوي لا يبخل على عمال الورش الحربية بالمال، وقد صرف لعبد القادر عثمان وأحمد عبد الله سليمان في ٢٠ رجب ١٣١٠هـ/١٨٩٢م ٧٨ ريالا، وكان أمين بيت المال يلبي كل الطلبات التي ترد إليه من بيت الأمانة والورش الحربية.[٤٦٣]

صرف بيت المال على عملية صهر الحديد في الورش الحربية، وأجرة المراكب المقيمة بطابية توتي وتشييد الطوابي[٤٦٤]*.[٤٦٥]

وأشرف بيت المال على نقل السلاح من بيت المال إلى بيت الأمانة، وقد أنفق على هذه العملية ٦٢٤ مقبول.[٤٦٦]

احتكار بيت المال لصناعة الصابون:

احتكر بيت المال صناعة الصابون في الدولة المهدية، وأول من بدأ

---

٤٦٢ د. و. م. خ/ مهدية ١٠/٣/٧ بيت مال العموم، ١٣١٤هـ، ١٨٩٦م، ص٦-٧.

٤٦٣ د. و. م. خ/ مهدية ١٠/٣/٧ من الأمير يعقوب إلى النور إبراهيم الجريفاوي، ٢١ رجب ١٣١٠هـ، اكتوبر ١٨٩٢م، ص٣٩.

٤٦٤ د. و. م. خ/ مهدية ١٠/٣/٧ من عبد القادر عثمان وأحمد عبد الله سليمان إلى النور إبراهيم، ٢٠ رجب ١٣١٠هـ،اكتوبر ١٨٩٢م، ص٣٧.

٤٦٥ * الطوابي يقصد بها التحصينات التي بناها الأنصار على النيل للدفاع عن مدينة أم درمان، أنظر يوسف ميخائيل، مصدر سابق، ص٢٣٠. أنظر ملحق رقم (٩) و(١٠) و(١١) و(١٢).

٤٦٦ د. و. م. خ/ مهدية ١٠/٣/٧ الصرف من بيت المال، ص٤.

هذه الصناعة أمين بيت المال إبراهيم ود عدلان، وقد كان بيت المال يؤجر المصنع للمقاولين بمبلغ خمسمائة ريال شهرياً، وأنشأ النور إبراهيم الجريفاوي مصنعاً للصابون في أم درمان، وتم افتتاح مصنع للصابون في ود مدني بواسطة أحمد السني وقد خصص لقوات الملازمين.(٤٦٧)

ولأنّ الأمير يعقوب هو المسئول عن إذن الصرف من بيت المال، طلب الرشيد كرومه احد أمراء المهدية من الأمير يعقوب الإذن بصرف ١٦٤ قطعة صابون من بيت المال، وذلك لغسيل ملابس الجهادية وأولاد العرب المقيمين في الخرطوم. (٤٦٨)

موظفو بيت المال المركزي:

ينقسم موظفو بيت المال المركزي في أم درمان إلى ثلاث مجموعات هي:

- موظفو بيوت المال في أم درمان.
- الكتبة التابعين للرايات.
- قاضي بيت المال.

أولاً: موظفو بيوت المال في أم درمان: وتوزيعهم كالآتي:

١- موظفو بيت مال العموم، ويبلغ عددهم ١١.

٢- موظفو بيت مال ورش الحربية، وعددهم ٧.

٣- موظفو قوات الملازمين، وعددهم ٧.

٤- موظفو بيت مال الفي، وعددهم ٤.

---

٤٦٧ د. و. م. خ/ مهدية ١٠/٣/٧ الصرف من بيت المال، ص٩٠.

٤٦٨ محمد سعيد القدال، السياسة الاقتصادية للدولة المهدية، ....، ص١٠٣.

ثانياً: الكتبة التابعين للرايات: وتوزيعهم كالآتي:

- كتبة الخليفة عبد الله، وعددهم ٤.
- كتبة الأمير يعقوب، وعددهم ٣.
- كتبة الراية الزرقاء، وعددهم .
- كتبة عثمان شيخ الدين بن الخليفة عبد الله، وعددهم ٣.
- كتبة الراية الخضراء قبل حلها، وعددهم ٤.
- كتبة جيش الملازمين، وعددهم ٤.
- عمال مصانع الأسلحة، وعددهم ٢٧.
- القضاة والموظفين، وعددهم ١٦.
- عمال مختلف الحرف، وعددهم ٢٧.

وقد ساهم موظفو بيت المال في تسهيل العمل الإداري داخل الدولة المهدية، وتفاوتت أعدادهم على حسب طبيعة العمل الذي يقومون به.

ثالثاً: قاضي بيت المال:

لقد كانت هنالك محاكم متخصصة في الدولة المهدية، منها محكمة بيت مال العموم وهي تقوم بالنظر في القضايا المتعلقة ببيت المال. ولأهمية بيت المال أنشئت له محكمة متخصصة، وقد كانت تقوم بدور كبير. وقد أطلق على بيت المال المركزي في أم درمان بيت مال العموم حتى يتم تمييزه عن بيت مال الخليفة – الخمس – وبيت مال الملازمين وبقية بيوت المال الأخرى في الدولة المهدية.[٤٦٩]

٤٦٩ د. و. م. خ/ مهدية B١٠/٢/ ٢ من الرشيد كرومه إلى الأمير يعقوب، ١٥ القعدة ١٣١٥هـ، مارس ١٨٩٨م، ص٥٥.

وموظفو بيت المال هم من الذين عملوا مع الحكم التركي، وقد كانوا يجيدون الحساب وإعداد الدفاتر، ومن المهام التي وقعت على بيت مال العموم صك العملة، حيث تعرضت العملة للتزوير، وأيضاً يقوم بيت المال بختم البضائع التي أخذ منها العشر، وقد واجهت بيت المال مشكلة كبيرة وهي تزوير الأختام.[٤٧٠]

وبالإضافة لبيت مال العموم في أم درمان كانت هنالك بيوت مال أخرى وهي:

- بيت مال الملازمين الذي يأتي دخله من إقليم الجزيرة، وقد خصص دخله للصرف على قوات الملازمين.
- بيت مال الفي الذي كان تحت إدارة محمد بشير كرار.
- بيت مال الحربية الذي يأتي دخله من جنائن الخرطوم والسواقي المتاخمة للخرطوم ووارد سن الفيل من الاستوائية، ويقوم بالصرف على الترسانة الحربية والورش الحربية.
- بيت مال ظبطية السوق، ويأتي دخله من ضرائب المحلات التجارية والغرامات وغنائم القمار والخمر ومخالفات السوق، ويصرف منه على محكمة السوق وتكية الأمير يعقوب وبناء سور أم درمان.
- بيت مال الخمس، ويأتي دخله من نصيب الخليفة من الغنائم – خمس الخليفة – وأضيف إليه الفائض من دخل العمالات وإيراد الجزر وأراضي الغنائم والعشور المفروضة على البضائع الواردة من بربر وإيراد الفي

٤٧٠ حاتم الصديق محمد أحمد، مرجع سابق، ص١١٧-١١٩.

كالمشارع والمراكب ويصرف منه على الخليفة عبد الله وآل بيته.[٤٧١]

بيت مال الملازمين:

أنشئ بيت مال الملازمين في سنة ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م، وهو خاص بحرس الخليفة الخاص وأصبح كياناً منفصلاً وذلك لأهمية المرتبات في الحفاظ على ولاء الملازمين، ويأتي دخل بيت مال الملازمين من منطقة النيل الأزرق ودخل منطقة الجزيرة كلها، وقد كان عثمان فريك أول أمين لبيت مال الملازمين.[٤٧٢]

تم احتكار غلال منطقة الجزيرة لبيت مال الملازمين، وقد كان يمنع أي شخص بالدخول إلى منطقة الجزيرة بغرض أخذ الغلال منها، وقد منع أحمد السني المجموعات التي كانت تفد من شرق السودان لأخذ الغلال من منطقة الجزيرة وذلك بعد شح الغلال هناك.[٤٧٣]

وقد عمل أحمد السني على تقسيم منطقة الجزيرة إلى أشوان –مخازن للغلال– وذلك لحفظ الغلال والأعلاف، عندما يكون الإنتاج وفيراً. المناطق التي تم فيها عمل أشوان لحفظ الغلال هي الشبارقة، أبو حراز، والهلالية، ورفاعة، والحصاحيصا، والخرطوم.[٤٧٤] بلغ ما تم إرساله إلى بيت مال الملازمين من الغلال خلال الفترة من ٢٥ شوال ١٣١٤هـ / يناير ١٨٩٧م

---

٤٧١ مكي شبيكة، تاريخ شعوب وادي النيل،....، ص٧٠٧.

٤٧٢ أبو سليم، الأرض في المهدية، ....، ص٤٠.

٤٧٣ محمد سعيد القدال، السياسة الاقتصادية للدولة المهدية، ....، ص١٨٥.

٤٧٤ د. و. م. خ/ مهدية ١/٩/١ من أحمد السني للخليفة عبد الله، ٦ القعدة ١٣١٤هـ، ابريل ١٨٩٧م، ص١٤٦.

وحتى ذي القعدة ١٣١٤هـ/فبراير ١٨٩٧م، أربعة وأربعين ألف أردب[٤٧٥]* من الذرة، وقد استخدمت ١٤ مركبا لترحيل هذه الكمية، والمناطق التي تم جمع الغلال منها: ود مدني، الكاملين، أبو عشر، الدباسين وود الزاكي على النيل الأبيض.[٤٧٦] وفي سنة ١٣١٢هـ/١٨٩٥م ضم الخليفة عبد الله بعض المناطق الجديدة لإقليم الجزيرة وأضاف دخلها لبيت المال، ومن هذه المناطق الحد يبات وسيرو على أن يتم جمع الغلال منها.[٤٧٧]

فرض الغلال والأموال على الأهالي:

فرض أحمد السني على أهالي منطقة الجزيرة جمع ٢٠٠ ألف جوال من الذرة لصالح بيت مال الملازمين، وقد أخبر سكان القرى والمدن بالمقدار المحدد عليهم.[٤٧٨] واجتهد في جمع الغلال والأعلاف من الأهالي لبيت مال الملازمين، والشخص الذي لا يستطيع أن يدفع الغلال فمن الممكن أن يقوم بدفع أموال لبيت المال، ونتيجةً لذلك كانت الموارد لبيت مال الملازمين غلال وأموال.[٤٧٩] وفرض على سكان منطقة الجزيرة تقديم تبرعات لبيت مال الملازمين (... سيدي نحن بخلاف مطلوب التبرعات الذي على الأهالي بالجزيرة والشرق اشترينا عيوش بمبلغ تنوف على الخمسون ألف ريال ...)

---

٤٧٥ د. و. م. خ/ مهدية ١/٩/١ من أحمد السني إلى الأمير يعقوب، ٢٨ شوال ١٣١٤هـ، مارس ١٨٩٧م، ص١٤٤.

٤٧٦ * الأردب يساوي جوالين ذرة.

٤٧٧ د. و. م. خ/ مهدية ١/٩/١ من أحمد السني إلى الخليفة عبد الله، ٦ القعدة ١٣١٤هـ، ابريل ١٨٩٧م،ص١٤٨-١٤٩.

٤٧٨ د. و. م. خ/ مهدية ١/٩/١ من أحمد السني إلى الخليفة عبد الله، ١٤ رجب ١٣١٢هـ، يناير ١٨٩٥م،ص٦٨.

٤٧٩ د. و. م. خ/ مهدية ١/٩/١ من أحمد السني إلى الخليفة عبد الله، ١٥ رجب ١٣١٢هـ، يناير ١٨٩٥م، ص٧٦.

[480]، وقد أخبر أحمد السني الخليفة عبد الله بأنّ التبرعات المفروضة على سكان منطقة الجزيرة وشرق الجزيرة لبيت مال الملازمين كانت عن اختيار ورضى.[481]

كان الأمير يعقوب هو المشرف على بيت مال الملازمين، وقد كان أحمد السني يرفع الكشوفات الخاصة بالأموال والغلال المرسلة من منطقة الجزيرة إلى بيت مال الملازمين في أم درمان إليه، وفي ٢٨ شوال ١٣١٤هـ/ يناير١٨٩٧م رفع أحمد السني إلى الأمير يعقوب كشفاً يحتوي على مقدار ما تحتويه مخازن الغلال في منطقة الجزيرة، وقد اشتمل على كميات الغلال الموجودة في كل من رفاعة ومدني والخرطوم وعبود منطقة بالقرب من المناقل وغرب النيل الأبيض.[482]

وقد كان أحمد السني شديد الحرص على أن يقوم برفع كشوفات مفصلة للأمير يعقوب، وقد كانت الكشوفات تحتوي على ما تم جمعه من الأموال والغلال لصالح بيت مال الملازمين (... وقد حررنا مفصلات تلك المقادير لسيدي الأمير يعقوب ...).[483]

تتضح مساهمة أحمد السني في تنظيم الغلال والأعلاف والمهمات

---

٤٨٠ د. و. م. خ/ مهدية ١/٩/١ من أحمد السني إلى الأمير يعقوب، ٢٨ شوال ١٣١٤هـ، مارس ١٨٩٦م، ص١٤٥.

٤٨١ د. و. م. خ/ مهدية ١/٩/١ من أحمد السني إلى الخليفة عبد الله، ٢٠ جماد أول ١٣١٤هـ، اكتو بر ١٨٩٦م، ص١٣١.

٤٨٢ د. و. م. خ/ مهدية ١/٩/١ من أحمد السني إلى الخليفة عبد الله، ٢٠ جماد آخر ١٣١٤هـ، نوفمبر ١٨٩٦م، ص١٢٧.

٤٨٣ د. و. م. خ/ مهدية ١/٩/١ من أحمد السني إلى الأمير يعقوب، ٢٨ شوال ١٣١٤هـ، مارس ١٨٩٧م، ص١٢٤-١٢٥.

الأخرى التي يتم إرسالها لبيت مال الملازمين في أم درمان، وما يدل على هذا التنظيم تقسيم مناطق الجزيرة إلى أقسام والأقسام إلى أشوان، وهو يهدف من ذلك إلى تسهيل عملية نقل الغلال والأعلاف من المناطق الزراعية وإيصالها إلى النيلين الأبيض والأزرق ليتم بعد ذلك ترحيلها إلى أم درمان. ويظهر اهتمام الأمير يعقوب الواضح ببيت مال الملازمين وذلك من خلال الرسائل المتبادلة بين الأمير يعقوب وأحمد السني.وقام أحمد السني بإرسال ٥٤٧٢٣ ألف ريال لبيت مال الملازمين في أم درمان إلى الأمير يعقوب بواسطة حسن محمد موسى، وقد طلب أحمد السني من الأمير يعقوب الإفادة بوصول الأموال.[٤٨٤]

تقديم الدعم لقوات الزاكي طمل:

قدم أحمد السني الدعم لقوات الزاكي طمل عندما كانت متوجهة إلى الجنوب، وذلك عندما حضرت قوات الزاكي إلى الكوة، أعطاهم أحمد السني ١١٤٦ ألف أردب من الذرة و٤٠٠ ثوب دمور وهي عبارة عن كساوي للمقاتلين، ومبلغ ٤٠٠ ريال عبارة عن مصروفات للجيش.[٤٨٥]

ولحاجة قوات الزاكي طمل للمياه طلب من أحمد السني أن يمده بعدد من القِرَب للمساهمة بها في نقل الماء للقوات، وأن يمده أيضاً بأربعين جمل، وقد استجاب أحمد السني لذلك. وقد قدم الدعم المادي لقوات إبراهيم الخليل

٤٨٤ د. و. م. خ/ مهدية ١/٩/١ من أحمد السني إلى الخليفة عبد الله، ٢٣ شعبان ١٣٠٨هـ، مارس ١٨٩١م، ص٧.

٤٨٥ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٩/١ من أحمد السني إلى الأمير يعقوب، ٢٣ جماد آخر ١٣٠٨هـ، يناير ١٨٩١م، ص٢٤٢.

المتوجهة نحو جبال النوبة، وللقوات المتحركة نحو القضارف والقلابات، والقوات العابرة بمنطقة الجزيرة.(٤٨٦)

بالإضافة إلى الأموال التي كان أحمد السني يقوم بإرسالها لبيت مال الملازمين من منطقة الجزيرة، فقد كان يقوم بإرسال الجبب والملابس، وذلك لتغطية كساوي الملازمين في أم درمان.(٤٨٧)

بيت مال الخمس:

أنشئ بيت مال الخمس في أواخر سنة ١٣١٢هـ / ١٨٩٤م، وهو بيت مال الخليفة عبد الله الخاص – خمس الخليفة – ويعتبر بيت مال الخمس ذو استقلالية خاصة، ويأتي دخله من خمس الغنائم، والمشارع، وأرباح ريش النعام، وسن الفيل، وثلث أرباح الصمغ العربي، وعشور البضائع الواردة، والدعم الذي يأتي من الأمراء. ويمنع الصرف من بيت مال الخمس إلا على نفقات الخليفة وأسرته.(٤٨٨)

وفي بداية الأمر وقبل أن يعلن عن إنشاء بيت مال الخمس كانت أموال الخمس ترسل بصورة سرية إلى الأمير يعقوب، وفي رسالة من الأمير يعقوب إلى حمدان أبو عنجة، طلب منه إرسال الخمس من الغنائم قبل أن يصرف منها شيئاً على أن يتم إرسالها سراً ولا يعلم بها أحد (... حبيبي

---

٤٨٦ د. و. م. خ/ مهدية ١/٩/١ من أحمد السني إلى الخليفة عبد الله، ١٦ شوال ١٣٠٨هـ، مايو ١٨٩١م، ص٩.

٤٨٧ د. و. م. خ/ مهدية ١/٩/١من أمبدي الرضي وأحمد السني إلى الخليفة عبد الله، ٢٢ رجب ١٣٠٨هـ، فبراير ١٨٩١م، ص٧.

٤٨٨ د. و. م. خ/ مهدية ١/٩/١ من أحمد السني إلى الخليفة عبد الله، ٢٤ رجب ١٣١٥هـ،نوفمبر ١٨٩٧م، ص١٨٠.

الأجدى في ما توضح جمعه يكون سراً دون إشاعة وإرساله يكون مع مؤتمنين من الأخوان الصادقين المميزين في وصولهم هنا لا يعلم بهم أحد إلا بعد استلام ما بيدهم والسلام حبيبي استقر أنّ الخمس وغيره فيما يلي إرساله جميعه يرسل لطرفنا سراً كما هو الواجب...).[٤٨٩]

توضح هذه الرسالة بأنّ الأمير يعقوب هو المسؤول عن بيت مال خمس الخليفة أو خمس الخليفة، ولأنّ هذا الخمس خاص بالخليفة والأموال التي تأتي إليه كبيرة لم يرغب الأمير يعقوب في أن يطلع أي شخص على كمية الأموال الواردة إلى الخليفة لذلك كان الخليفة عبد الله يوصي بالسرية، والشيء الثاني أنّ الصرف من أموال هذا الخمس تنحصر في بيت الخليفة وأهله.

وعندما كان إبراهيم الخليل في جبال النوبة طلب منه الخليفة عبد الله أن يقوم بإخراج الخمس من الغنائم التي غنمها على أن يقوم بتقسيم الأربعة أخماس على قواته، وذلك لكي يجتمع الجيش حوله.[٤٩٠]

تبين هذه الرسالة أنّ الخليفة عبد الله شديد الحرص على الخمس من الغنائم، ويرغب في نفس الوقت في أن تجتمع القوات حول إبراهيم الخليل، ولكن حرصه على الخمس أكبر.

بيت مال الورش الحربية:

أنشئ للصرف على مصانع الذخيرة والأسلحة والمهمات الحربية في الدولة المهدية، ويعد من بيوت المال المهمة، وذلك لحاجة الدولة المهدية

---

٤٨٩ محمد سعيد القدال، السياسة الاقتصادية للدولة المهدية، ....، ص١٨١.

٤٩٠ د. و. م. خ/ مهدية ١/٣٣/٢ من الأمير يعقوب إلى حمدان أبو عنجة، ٢٩ جماد أول ١٣٠٣هـ، فبراير ١٨٩٦م، ص٧.

للسلاح. ويأتي دخله من جنائن الخرطوم وثمن الضريبة المفروضة على سن الفيل الوارد من الجنوب.(٤٩١)

بيت مال ظبطية السوق:

يعد بيت مال ظبطية السوق من بيوت المال المتخصصة في الدولة المهدية، ويأتي دخله من الأموال المصادرة من السكارى، والمقامرين، وضريبة الدكاكين، ويصرف منه على البوليس وتكية الأمير يعقوب وبناء سور أم درمان. وفي عام ١٣١٤هـ/١٨٩٧م-١٣١٥هـ/١٨٩٨م تم ضم بيت مال ظبطية السوق والورش الحربية لبيت مال العموم، وذلك لتوحيد الصرف لمواجهة الغزو الإنجليزي المصري.

بيت مال الجهادية:

أنشي بيت مال الجهادية في سنة١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م للصرف منه على قوات الجهادية، ويأتي دخله من ضرائب المنطقة الواقعة غرب النيل الأزرق، وعين الخليفة عبد الله إبراهيم الخليل أميناً له.(٤٩٢)

من الواضح أنّ الدولة المهدية قد عملت توفير الأموال والغلال لقواتها، ولكي تغطي نفقات تلك القوات اتجهت إلى إنشاء بيوت مال متخصصة، حيث كان بيت مال العموم يقوم بالصرف على الراية الزرقاء وبيت مال الملازمية على قوات الملازمية، وبيت مال الجهادية يتم الصرف منه على قوات الجهادية. وبالإضافة إلى بيت مال الخمس الذي كان يصرف منه على

---

٤٩١ د. و. م. خ/ مهدية ١/٣٣/٢ من إبراهيم الخليل إلى الخلفية عبد الله، شوال ١٣١٠هـ، ١٨٩٢م، ص٦٠.

٤٩٢ حاتم الصديق محمد أحمد، مرجع سابق، ص١١٣.

الخليفة، وقد كان بيت مال العموم يقوم بتغطية العجز الذي يحدث لبعض بيوت المال المتخصصة.

بيوت المال في العمالات:

كان لكل عمالة من عمالات الدولة المهدية بيت مال خاص بها، وقد اختلف دور بيت مال العمالة تبعاً للمهام التي أوكلت إليه، وتبعاً للظروف والمكان، وكان هنالك بيت مال السرية، والذي ارتبط وجوده باستمرار العمليات الحربية السرية، ويعتبر بمثابة مخزن للغنائم وله كاتب يقوم بحصر الغنائم وهو تحت سلطة عامل العمالة. وقد اهتم الخليفة عبد الله بتنظيم بيوت مال الأقاليم، وقام بتعيين أمناء لهذه البيوت من ذوى الكفاءة والخبرة، وتم تقسيم بيت مال العمالة لقسمين، الأول يهتم بجمع الأموال والرقيق والإيرادات العينية، والثاني بيت الأمانة الذي يختص بحفظ الأسلحة والمعدات الحربية.[٤٩٣]

كان أمين بيت مال العمالة مسئول لدى أمين بيت مال العموم في أم درمان إضافةً إلى مسؤوليته تجاه عامل العمالة، وقد كان يتم استدعاء أمين بيت مال العمالة سنوياً إلى أم درمان لتقديم كشوفاتهم، وكذلك لا يمكثون في وظيفتهم في العمالة أكثر من عام وذلك لخوف الخليفة عبد الله من ظهور بوادر الرشوة عليهم وقد كانوا عرضة لذلك، وإذا كان الخليفة عبد الله راضٍ عن أحد أمناء بيت المال فإنه لا يتم تغييره، وقد كان الأمناء يتقاضون ما بين ١٥-٣٠ ريال شهرياً.[٤٩٤]

---

٤٩٣ محمد سعيد القدال، السياسة الاقتصادية للدولة المهدية، ....، ص١٨٦-١٨٧.

٤٩٤ إبراهيم شحاتة حسن، مرجع سابق، ص٢٤٣-٢٤٤.

مساهمة بيت مال العمالة في إمداد القوات:

اهتم بيت مال العمالة بتوفير الإمدادات للقوات الموجودة في العمالة، وتوفير المؤن، وذلك لكي لا يخرجوا بحثاً عن الغلال والأعشاب، أو يمتنعوا عن القتال بحجة البحث عن الغلال، وأيضاً لكي لا يتضرر الأهالي من بحث القوات عن قوتها في العمالة. وبالإضافة لتوفير الغلال للقوات كان بيت مال العمالة يقوم بتوفير الأعشاب لخيول المقاتلين ويتم إحضار تلك الأعلاف من أطراف العمالة، وكانت هنالك كشوفات توضح الكميات التي صرفت على المقاتلين ويتم رفع تلك الكشوفات إلى الخليفة عبد الله في أم درمان. [٤٩٥]

يعتمد بيت مال العمالة أو السرية في الصرف على القوات، على الغنائم التي يستولي عليها المقاتلون في حالة الجهاد، وإذا توقف الجهاد يوجه الخليفة عبد الله العمال للقيام بجمع الزكاة من المناطق المجاورة والصرف منها على قواتهم.[٤٩٦]

وقد صرف بيت مال بربر على القوات الموجودة في العمالة ١٣٢٣٥ ريال قوشلي، وعلى قوات الجهادية ٣٤٥ وذلك لوضعها الخاص في الدولة.[٤٩٧]

وعندما انعدمت الغلال في بربر أظهر النور إبراهيم الجريفاوي اهتماماً بالقوات المتواجدة معه في بربر، وقد اجتهد في جمع أكبر قدر من الغلال.[٤٩٨]

---

٤٩٥ .Wenqet,op.cit .p ٥٣١.

٤٩٦ إبراهيم شحاتة حسن، مرجع سابق،ص٢٤٩-٢٥٠.

٤٩٧ المرجع نفسه، ص٣٥١.

٤٩٨ د. و. م. خ/ مهدية ١/١٩٨/١ من النور إبراهيم إلى الخليفة عبد الله، ١٤ ربيع أول ١٣١٤هـ،أغسطس ١٨٩٦م، ص١٦١.

وكان بيت المال يقدم الدعم للقوات المتحركة من بربر نحو أم درمان، وعندما تحركت قوة من الجهادية نحو أم درمان صرف لهم أمين بيت مال بربر الأموال والملابس.(٤٩٩)

وكان بيت مال طوكر يقوم بالصرف على القوات المتواجدة معه، وقد قام عبد الله أبو بكر يوسف بالصرف من بيت العمالة على قوات عثمان دقنة وراية أحمد البدوي وراية محمد عثمان أبو قرجة.(٥٠٠) وساهم بيت مال طوكر في زواج القوات المتواجدة في تحت إشرافه.(٥٠١)

وكانت بيوت مال العمالات عرضةً لتدخل الخليفة عبد الله، وكان الخليفة عبد الله يتدخل عندما يتطلب الأمر ذلك، وعندما بلغ الخليفة عبد الله بأنّ هنالك عدم تنظيم في بيت مال مروي كتب إلى عبد الحليم مساعد يخبره بالقصور في بيت المال المعني، وألحق ذلك بإرسال عبد السلام بلة والشيخ إدريس أحمد هاشم لمروي لمحاسبة أمين بيت مالها الشيخ رحمة الله وجرد بيت المال ورفع كشف بالداخل والخارج من بيت المال.(٥٠٢)

وعندما طلب الأمير عبد الرحمن النجومي مده بالمال وجهه الخليفة عبد

---

٤٩٩ د. و. م. خ/ مهدية ١/١٩A/١ من النور إبراهيم إلى الخليفة عبد الله، غرة ربيع أول ١٣١٤هـ، أغسطس ١٨٩٦م ص١٥٧.

٥٠٠ د. و. م. خ/ مهدية ١/١٩A/١ من النور إبراهيم إلى الخليفة عبد الله، ٣ رجب ١٣٠٧هـ، فبراير ١٨٩٠م،ص١٥٢.

٥٠١ د. و. م. خ/ مهدية ٦٨/٢٠/٥ بيانات صرف بيت مال طوكر، ذو القعدة ١٣٠٩هـ، ابريل ١٨٩٢م،ص٣.

٥٠٢ د. و. م. خ/ مهدية ٥٤/١٥/٥ من أمناء خليفة المهدي إلى عبد الله بابكر، ١٥ شعبان ١٣٠٦هـ، ابريل ١٨٨٩م، ص٦٠.

الله بأن يصرف على جيشه من بيت مال دنقلا على أن يكون الصرف على كل الجيش بالتساوي وأن يتم اطلاع الخليفة بالأموال التي تم صرفها.(٥٠٣)

يقوم بيت مال العمالة بالصرف على العمالة المعنية، ويقوم بعد ذلك بإرسال الفائض من الأموال إلى بيت مال العموم في أم درمان. ومن بيوت مال العمالات: بيت مال الأب وبيت مال طوكر، وبيت مال القضارف، وبيت مال دنقلا، وبيت مال مدني، وبيت مال الفاشر، وهنالك بيوت مال فرعية مثل بيت مال أبو حمد، ومروي، وسنار.(٥٠٤)

---

٥٠٣ د. و. م. خ/ مهدية ١/١٣/١ من الخليفة عبد الله إلى عبد الحليم مساعد، ٢٦ رجب ١٣٠٣هـ، ابريل ١٨٩٦م، ص٣..

٥٠٤ د. و. م. خ/ مهدية ١/١ من عبد الرحمن النجومي إلى الخليفة عبد الله، غرة رجب ١٣٠٦هـ، مارس ١٨٨٩م ،ص٨٢.

المبحث الثاني

مصادر تسليح الجيش في الدولة المهدية

من المصادر التي اعتمدت عليها الدولة المهدية في الحصول على الأسلحة والذخيرة التهريب والشراء والدعم الواصل من العمالات، بالإضافة إلى الغنائم التي تحصلت عليها قوات الدولة المهدية في معاركها المتواصلة. وقد نشطت عملية تهريب الأسلحة إلى داخل الدولة المهدية عبر البحر الأحمر والحدود المصرية والحبشية، وقد بذلت الدولة المهدية جهداً كبيراً في أن تصبح جميع الأسلحة النارية المتوفرة في الدولة تحت سيطرتها، ولتأكيد ذلك عمد الخليفة عبد الله إلى جمع الأسلحة الموجودة بحوزة الأهالي.[٥٠٥]

تهريب الأسلحة والبارود إلى أم درمان:

نتيجةً لحاجة الدولة المهدية المستمرة للأسلحة والذخيرة اتجهت إلى تهريبها، وقد اهتم الأنصار بهذا الأمر، وقد ساهم التجار بصورة مباشرة في تنفيذ تلك المهام، وعندما كان مساعد قيدوم في كسلا أعلن أنه تحصل عن طريق أحد التجار المتعاونين معه على كميات من الرصاص، وقد كانت مهمة الحسن سعد العبادي في إقليم حلايب تهريب السلاح والمعدات الحربية من مصر إلى داخل الأراضي السودانية.[٥٠٦]

ولزيادة الموارد من مادة الرصاص من مصر عن طريق التهريب

---

٥٠٥ حاتم الصديق محمد أحمد، مرجع سابق، ص١١٣-١١٤.

٥٠٦ سيرجي سمرنوف، مرجع سابق، ص١٦٠.

طلب الخليفة عبد الله من أمين بيت المال المركزي في أم درمان، إبراهيم ود عدلان، الاهتمام بأمر الرصاص وأن يعمل على تهريبه من مصر، فما كان من ود عدلان إلا أن كتب إلى النور إبراهيم الجريفاوي أمين بيت مال بربر يطلب منه الاهتمام بهذا الأمر، فما فاجتمع أمين بيت مال بربر بثلاثة من التجار من قبيلة العبابدة وهم صالح حاج علي وطاهر محمد وشخص آخر يدعى محمود، وطلب منهم النور الجريفاوي إحضار الرصاص من مصر، وقد استطاعوا أن يتحصلوا على القليل منه.[٥٠٧]

وعندما تولى النور إبراهيم الجريفاوي أمانة بيت المال المركزي، اهتم بتهريب ملح البارود وبعض المواد الكيميائية، وقد طلب منه الخليفة عبد الله بأن يتفق مع التجار الموجودين في أم درمان وبربر لتهريب البارود من مصر، ومن هؤلاء التجار: عمر كشة وهو من أهالي سواكن، وعلي محمود الضوي وهو مصري، وعبد الرحمن منصور من أهالي أم درمان. واستطاعوا أن يتحصلوا على البارود ويقوموا بتهريبه في أكياس الأرز ولم توفق الحكومة المصرية في إلقاء القبض عليهم. وقد استمرت عملية تهريب البارود من مصر لعدة أعوام، واستطاع التجار أن يتحصلوا على كميات كبيرة من البارود، ولكي يعمل الخليفة عبد الله على تشجيعهم رفع عنهم الضرائب المفروضة عليهم وتجارتهم، وضاعف لهم الأثمان عندما يشتري منهم، وتمكن أعوان محمود الضوي من إحضار الذخيرة الخاصة بمدفع المترليوز الإنجليزي مهربة من مصر. وساهم هؤلاء التجار في مد جيش الدولة المهدية

---

٥٠٧ محمد إبراهيم أبو سليم، تاريخ مدينة الخرطوم، .....، ص١٠٦.

بكميات كبيرة من البارود، الأمر الذي ساهم في استمرار الدولة لمدة أطول، ولولا هذه الذخيرة لما استطاعت الدولة محاربة الأحباش في القلابات والشلك في فشودة بالإضافة للحروبات المحلية.(٥٠٨)

ومن الحجاز كان يهرب الرصاص وملح البارود عن طريق البحر الأحمر إلى داخل الدولة المهدية.(٥٠٩)

شراء الرصاص:

نتيجة لحاجة الدولة المهدية للرصاص والبارود، وجّه الخليفة عبد الله الأمراء وأهل الثقة عنده بالاهتمام بشراء هذه المادة، حيث قام الخليفة عبد الله بإرسال الأموال إليهم، وكلف كل من سليمان النويري وبخيت محمد بشراء الرصاص والظروف، وبلغ ما تم شراؤه مئة وستة عشر رطلاً من الرصاص والظروف.(٥١٠)

الأسلحة والرصاص الوارد من العمالات:

لقد ساهم بعض الأمراء وقادة العمالات في إمداد أم درمان بالرصاص والبارود وفارغ الذخيرة، ومن هؤلاء القادة: عثمان آدم، وعثمان دقنة، والأمير محمود ود أحمد، وحمدان أبو عنجة، والأمير أحمد ود علي، وعندما كان عثمان آدم في دارفور طلب منه الخليفة عبد الله أن يقوم بجمع الرصاص بشتى الطرق، وقد قام بإرسال الخطابات إلى أهالي كتم وكفوت[٥١١*]، وهي

٥٠٨ د. و. م. خ/ مهدية ١/١٩A/١ من النور إبراهيم الجريفاوي إلى الخليفة عبد الله، ١٤ الحجة ١٣٠٥هـ، أغسطس ١٨٨٨م، ص٤٤.

٥٠٩ إبراهيم فوزي، مصدر سابق، ج٢، ص٣٥٣-٣٥٤.

٥١٠ ب. م. هولت، مرجع سابق، ص٢٩٠.

٥١١ د. و. م. خ/ مهدية ١/A٤٤/١ من الخليفة عبد الله إلى سليمان النويري، ص٣٢.

المنطقة الغنية بالرصاص، وعمل على إعطائهم الأمان، وكلف محمد الأمين صالح لكي يقوم بجمع الرصاص من تلك المنطقة.[٥١٢]

استمر عثمان آدم في استخراج الرصاص من كتم وكافوت وكتب إلى الخليفة عبد الله يخبره بأنّ الكميات المستخرجة تقدر بعشرة قناطير من الرصاص الصافي والكميات التي لم يتم تصفيتها كبيرة جداً، وبلغ وزن الرصاص الصافي الذي تم نقله إلى الفاشر ألفاً وستين رطلاً من الرصاص الصافي، وكان عثمان آدم يؤكد بأنّ هذه الكميات قليلة ولا تتناسب مع الكميات التي وعد بها الخليفة عبد الله.[٥١٣]

ولسد حاجة الدولة المهدية من الرصاص أرسل عثمان دقنة ٣٩٦ رطل منه إلى الأمير يعقوب في أم درمان حيث قام باستلامها. ووجه بإدخالها إلى بيت الأمانة[٥١٤] وتمكن كذلك من جمع كميات كبيرة من الرصاص في منطقة هندوب حيث تم نقل الرصاص منها إلى بربر ومن ثم إلى أم درمان[٥١٥].

وأرسل كذلك سبعة قناطير من الرصاص إلى الأمير يعقوب في أم درمان حيث أصدر الأمير يعقوب أمراً بأن يتم إدخالها إلى بيت الأمانة.[٥١٦]

---

٥١٢ * كفوت هي قرية صغيرة تقع شمال غرب الفاشر بالقرب من مدينة كتم، أنظر إخلاص علي حامد، مرجع سابق، ص١٨٦.

٥١٣ د. و. م. خ/ مهدية ١/١٢A/١ من عثمان آدم إلى الخليفة، ٢٤ جماد أول ١٣٠٥هـ، يناير ١٨٨٨م، ص٨٩.

٥١٤ د. و. م. خ/ مهدية ١/١٢/١ من الخليفة عبد الله إلى عثمان آدم، ٩ شوال ١٣٠٧هـ، مايو ١٨٩٠م، ص٣٩٥.

٥١٥ د. و. م. خ/ مهدية ١/١٠ ٢/B من قمر الدين عبد الجبار إلى الأمير يعقوب، ٢٥ ربيع آخر ١٣١٥هـ، سبتمبر ١٨٩٧م، ص١٠٦.

٥١٦ د. و. م. خ/ مهدية ١/١٩A/١ من النور إبراهيم الجريفاوي إلى الخليفة عبد الله، ١١ جماد آخر ١٣٠٦هـ، فبراير ١٨٨٩م،ص٧٧.

ولاهتمام الخليفة عبد الله بالرصاص وجه بالكشف عنه في جبل مرة، ووصل حد الاهتمام بهي بأن ترك أمر الكشف عن الذهب والفضة، مما يدل على حرص الخليفة عبد الله على الرصاص.(٥١٧)

وقد اجتهد أباسام في عملية جمع فارغ الذخيرة، حيث استطاع أن يجمع ٨٦ صندوق من الظروف الفارغة وقام بإرسالها إلى الأمير يعقوب في أم درمان.(٥١٨)

ولاهتمام الأمير يعقوب بأمر الرصاص قام بإرسال شخص يدعى بشير محمد ومعه مجموعة من رجاله إلى الأمير أحمد ود علي في القلابات وذلك بهدف جلب الرصاص والظروف الفارغة من هناك، وعمل على تزويدهم بعدد وافر من الإبل، وأكد الأمير يعقوب على أحمد ود علي بأن يعمل على جمع الرصاص وأن يقوم بحصر الكميات المتحصل عليها وإرسالها إلى أم درمان في أسرع وقت، عندما يصل البارود والرصاص وفارغ الذخيرة إلى أم درمان يتم وزنه حسب الأوامر الصادرة من الأمير يعقوب، ويقوم بهذه المهمة شخص يعرف بالقباني، ولقد كانت كل الكميات الواردة إلى أم درمان من ذخيرة ومهمات حربية تخضع للحساب والوزن وبعد ذلك يتم إدخالها إلى بيت الأمانة.(٥١٩)

---

٥١٧ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٣٣/٢ من الأمير يعقوب إلى قمر الدين عبد الجبار، ٢٢ الحجة، ١٣١٤هـ، مايو ١٨٩٧م، ص٢١٩.

٥١٨ محمد سعيد القدال، السياسة الاقتصادية للدولة المهدية، .....، ص١٠٢.

٥١٩ د. و. م. خ/ مهدية ١/٦/٢ من عبد الرحيم سالم أبو دقل إلى الأمير يعقوب، ١٤ القعدة ١٣١٤هـ، ابريل ١٨٩٧م، ص٢٤.

أرسل عثمان آدم عشرة قناطير من الرصاص إلى الأمير يعقوب في أم درمان، وأخبره بأنّ هنالك أربعة قناطير قد تمت تصفيتها غير التي تحت التصفية، وأنّ التأخير الذي صاحب عملية استخراج الرصاص السبب فيها نقص المعدات اللازمة لاستخراج المعدن المعني.[٥٢٠]

على الرغم من المجهودات الكبيرة التي بذلها عثمان آدم فإنّ الرصاص لم يكن بالكميات الكافية، وعملية استخراجه كانت تتم كالآتي: يتم حفر حفرة بمقدار أربعة أمتار في داخل الأرض ثم يستخرج كل ما فيها من الرصاص، ويصفى الرصاص من التراب. وقد تحول محمد الأمين صالح من كافوت إلى جبل ماري حيث زادت الكميات المستخرجة، وعمل عثمان آدم على حثه لكي يعمل على استخراج المزيد من الرصاص، ووجه عثمان آدم الحدادين المحليين بالقيام بصنع الطواري والآلات الحديدية لمساعدة محمد الأمين ورجاله في حفر الرصاص.[٥٢١]

وكان محمد الأمين صالح على دراية بالبارود وعجينته، وعندما كان في شيكان عين له الخليفة عبد الله مائة أنصاري، وكان الخليفة عبد الله يراسل عثمان آدم بانتظام ويذكره بحاجة الدولة للبارود، ويخبره بأنّ دارفور هي المورد الفعلي للبارود وعليه الاجتهاد في الحصول على أكبر كمية منه.[٥٢٢]

---

٥٢٠ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٣٣/١ من قمر الدين عبد الجبار إلى الأمير يعقوب، ٢٨ شوال ١٣٠٥هـ، يونيو ١٨٨٨م، ص٨٤.

٥٢١ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٣٣/١ من الأمير يعقوب إلى عثمان آدم، ٢٨ شوال ١٣٠٥هـ، يونيو ١٨٨٨م، ص٨٤.

٥٢٢ د. و. م. خ/ مهدية ١/١٢/٣ من عثمان آدم إلى الخليفة عبد الله، ٥ الحجة ١٣٠٥هـ، أغسطس ١٨٨٨م، ص١٧٣.

بعد أن تناقصت كميات الذخيرة لدى الخليفة عبد الله أصدر أمراً لعثمان آدم بتعيين عدد من العمال لجمع الرصاص من المناطق التي دارت فيها المعارك مثل دارا والفاشر، على أن يعمل على تحفيز كل شخص يقوم بجمع رطل من الرصاص. وقد كان رد عثمان آدم للخليفة بأنه لا يستطيع البدء في هذا العمل وذلك لانشغاله بإخماد حركات التمرد التي ظهرت في دارفور بالإضافة إلى القضاء على أبو جميزة[٥٢٣*]، ويمكن الشروع في جمع الرصاص بعد القضاء على هذه الصراعات.(٥٢٤)

وبعد أن تولى محمود ود أحمد إمارة الغرب خلفاً لعثمان آدم، اهتم بأمر البارود، وكتب إلى الأمير يعقوب يخبره بوجود البارود في كتم، المنطقة التي كان عثمان آدم يرسل منها البارود. وقام محمود ود أحمد بتعيين محمد أحمد دليل لاستخراج البارود من كتم، حيث استطاع أن يتحصل على ثمانية قناطير من الرصاص الصافي الأمر الذي شجع محمود ود أحمد، فكتب إلى الأمير يعقوب يطلب منه إمداده بالمعدات المطلوبة في استخراج الرصاص، وأكد الأمير يعقوب على محمود ود أحمد بأن يقوم بإرسال كل المتحصل عليه

٥٢٣ د. و. م. خ/ مهدية ٣/١/٢ من الخليفة عبد الله إلى عثمان آدم، ربيع أول ١٣٠٥هـ، نوفمبر ١٨٨٧م، ص٢٥٧.

٥٢٤ * أبو جميزة هو أحمد أبو جميزة من زعماء المسا ليت في دارفور، ادعى أنه الخليفة الثالث للمهدي، وجمع حوله عدداً من المعارضين لحكم الخليفة عبد الله منهم أبو الخيرات إبراهيم قرض وإبراهيم الولي من بني هلبة، وعدد من قبيلة الماهرية، والزغاوة، والميدوب، وبني حسين. واستطاع بفضل تلك الأعداد من القوات أن يهزم قوات المهدية بقيادة الختيم موسى، ومحمود بشارة، واستطاع هزيمة قوات عبد القادر دليل، إلا أنه أصيب بالجدري. توفي في فبراير ١٨٨٩م وتولى القيادة أخوه صاغه وأبو الخيرات إبراهيم قرض، إلا أنّ قواتهما هزمت في فبراير ١٨٨٩م نتيجة للحملات العسكرية المكثفة التي شنها ضدهما الأمير عثمان آدم عامل الخليفة على دارفور، أنظر يوسف ميخائيل، مصدر سابق، ص١٨١-١٨٢.

إلى أم درمان. واستمر محمود ود أحمد في إرسال ملح البارود والرصاص وفارغ الذخيرة إلى الأمير يعقوب في أم درمان، واستطاع أن يتحصل على كميات مقدرة من الرصاص من كوبه وكتم، وقد أصبحت هذه المنطقة منطقة إنتاج للرصاص، وأمّا ظروف الذخيرة فقد استطاع أن يتحصل عليها من الفاشر.[٥٢٥]

ولزيادة الكميات المستخرجة من البارود من دارفور، عمل الأمير يعقوب على إرسال كل الاحتياجات اللازمة لاستخراج هذه المادة، وقد وضح ذلك في الخطاب الذي أُرسل إلى محمود ود أحمد (... إنّ الضرورة لزوم.... والعتلات الحديد بطرف خدما المصلحة بمعدن الرصاص بجهة كتم الكاين بدارفور الوارد عنهم خطابكم بطلب ما يلزم من صنف.... فقد استصوب إرسال جانب من العتلات وها هو مرسل مع رافعة خمسة.... وعتلتين لما فيهم القوة لكسر الأحجار فينبغي بوصول ذلك لكم تجرون إرسالهم لدارفور لمحمد نور دليل الوكيل المعني في رأس المعدن وأفهموه بأنّ كل ما أرسل كفاية فهوا المطلوب وإلا أنّ طلب الزيادة من هؤلاء الأصناف ليفيدكم بمقدارها وخابرونا عنها لمداركتنا وأرسلها لكم ترسلوها لأنّ هذا المعدن من المهمات الضرورية ...).[٢] ونتيجة لزيادة الطلب على البارود في أم درمان كتب الأمير يعقوب إلى الأمير محمود ود أحمد يطلب منه الكتابة إلى محمد نور دليل المكلف باستخراج البارود بأن يعمل على إرسال الكميات المستخرجة إلى أم

---

٥٢٥ د. و. م. خ/ مهدية ٢/١٢B/١ من عثمان آدم إلى الخليفة عبد الله، ٢٩ ربيع أول ١٣٠٦هـ، نوفمبر ١٨٨٨م، ص١٦٩.

درمان بأسرع فرصة ممكنة (..... حبيبي المستحصل من الرصاص بالمعدن المذكور خابروهم بإرساله سريعاً لهذا الطرف لضرورة لزومه والسلام...).(٣)

مساهمة المصريين في استخراج الرصاص:

استعانت الدولة المهدية بعدد من المصريين في عملية استخراج الرصاص من دارفور، وقد أُرسلت مجموعة منهم تحت قيادة محمد إبراهيم إلى محمود ودأحمد، وقد أوصى الأمير يعقوب محمود ود أحمد بأن يوفر لهم كل احتياجاتهم وأن يمده بالمعلومات التي تتعلق بعملية استخراج الرصاص. (٥٢٦)

واستطاع محمود ود أحمد أن يقوم بإرسال عشرة قناطير من الرصاص في ٢٣ محرم ١٣١١هـ /١٨٩٢م إلى الأمير يعقوب في أم درمان.(٥٢٧)

بالإضافة إلى الرصاص طلب الأمير يعقوب من محمود ود أحمد إرسال النحاس من دارفور وذلك لأهميته بالنسبة للورش الحربية، وقد حدد له بأن يقوم بإرسال مائتي قنطار منه وذلك لتوفره في دارفور، وأن تعذر أمر جمعه فعليه أن يلجأ إلى عملية الشراء بشرط أن يكون سراً، وعليه كذلك أن يجتهد في توفير النحاس الأحمر، وإن لم يوفق فعليه أن يقوم بجمع الأصفر.(٥٢٨)

---

٥٢٦ د. و. م. خ/ مهدية ١/٣٣/٢ من الأمير يعقوب إلى محمود ود أحمد، ١٨ شوال ١٣٠٩هـ، مارس ١٨٩١م، ص١٣٢.

(٢) د. و. م. خ/ مهدية ١/٣٣/٢ من الأمير يعقوب إلى محمود ود أحمد، ٢١ شوال ١٣٠٩هـ، يناير، ١٨٩١م ،ص١٣٤.

(٣) د. و. م. خ/ مهدية ١/٣٣/٢ من الأمير يعقوب إلى محمود ود أحمد، ٢١ شوال ١٣٠٩هـ، يناير، ١٨٩١م ،ص١٣٤

٥٢٧ د. و. م. خ/ مهدية ١/٣٣/٢ من الأمير يعقوب إلى محمود ود أحمد، ربيع آخر ١١١هـ، ديسمبر ١٨٩٤م،ص٧٠.

٥٢٨ د. و. م. خ/ مهدية ١/٣٣/٢ من الأمير يعقوب إلى محمود ود أحمد، ١٥ ربيع آخر، ١٣١١هـ، ديسمبر ١٨٩٤م، ص٧٥.

وأرسل الخليفة عبد الله مجموعة من أتباعه إلى حفرة النحاس في دارفور لكي يعملوا على جلب النحاس منها، واستطاعت تلك المجموعة أن تتحصل على كميات كبيرة من النحاس والرصاص والكحل، حيث تم استخدام النحاس المستخرج من دارفور في صناعة الذخيرة.[٥٢٩]

حث الأمراء على حفظ الأسلحة والذخيرة:

شدد الأمير يعقوب على حفظ الأسلحة والذخيرة، وقد وضح ذلك في خطابه إلى أمراء أرباع سرية محمود ود أحمد المقيمين في عمالة الغرب، وقد طلب منهم عدم التفريط في الأسلحة لأنّ الحفاظ عليها يعد من أولويات المقاتل، وعليهم كذلك الحفاظ على الذخيرة التي بحوزتهم والفارغ منها، وقد كان هذا التنبيه بعد أن لاحظ الأمير يعقوب أنّ طلبات سرية محمود ود أحمد من السلاح قد زادت وهذا يعني بأنّ هنالك استهلاك كبير للذخيرة، ولاحظ بأنّ أفراد السرية لم يقوموا بإرسال فارغ الذخيرة التي تم استخدامها لكي تتم تعبئتها مرةً أخرى، الأمر الذي يعني بأنّ هنالك تقصير واضح من قبل أمراء الأرباع ومن الأمير محمود ود أحمد نفسه، مع علمهم بوجود الورش الحربية المناط بها إعادة تعبئة الذخيرة مرةً أخرى. وهنالك أمر آخر جعل الأمير يعقوب يكتب لأتباع سرية محمود ود أحمد، حيث وردت إليه بعض الأخبار التي تؤكد بأنّ قوات محمود ود أحمد كلما دخلت معركة يقومون برمي فارغ الذخيرة على الأرض ولا يكلفون أنفسهم عناء جمعها، ونتيجةً لذلك أمرهم الأمير

---

٥٢٩ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٣٣/٢ من الأمير يعقوب إلى محمود ود أحمد، ٢٥ القعدة ١٣١١هـ، مايو ١٨٩٤م،ص١١١.

يعقوب بأن يقوموا بجمع كل فارغ الذخيرة وأن يرسلوه إلى أم درمان بواسطة أميرهم محمود ود أحمد، وذلك لكي تكون صالحة للاستخدام مرةً أخرى بعد إعادة تعبئتها.(٥٣٠)

وعندما كان إبراهيم الخليل في جبال النوبة أرسل إليه الخليفة عبد الله خطاباً يطلب منه المحافظة على الأسلحة والذخيرة وأن لا يتم ضربها على المناطق الجبلية أو في الفضاء، وأن يشدد على قواته في هذا الأمر.(٥٣١)

جمع فارغ الذخيرة من شيكان والأبيض:

عندما كان حمدان أبو عنجة في الأبيض طلب منه الخليفة عبد الله أن يقوم بجمع الفارغ من الذخيرة من شيكان والأبيض، والمناطق الأخرى التي يعتقد بوجود الفارغ فيها على أن يكون أمر الجمع بصورة سرية، وعليه أن يقوم بإنفاق بعض الأموال لإنجاز هذه المهمة لأنّ ذلك يحفز العاملين معه ويحثهم على جمع أكبر قدر من الصنف المطلوب، وعليه أن يشرف بنفسه على عملية الجمع وذلك لحاجة الدولة إلى الصنف المطلوب.(٥٣٢)

وعندما تحرك حمدان أبو عنجة نحو جبال النوبة لإخماد الثورة التي اندلعت هنالك طلب منه الأمير يعقوب أن يعمل على جمع الظروف الفارغة وصناديق الذخيرة وأن يتم إرسالها إلى أم درمان وذلك لكي تتم عملية تعبئتها مرةً أخرى، وعليه أن يوضح المقدار الذي قام بجمعه، وأن يؤكد على قواته

---

٥٣٠ إبراهيم فوزي، مصدر سابق، ج٢، ص٢٢٥.

٥٣١ د. و. م. خ/ مهدية ١/٣٣/٢ من الأمير يعقوب إلى محمود ود أحمد، ٢٧ رمضان ١٣٠٩هـ، مارس ١٨٩١م، ص١١١.

٥٣٢ د. و. م. خ/ مهدية ١/٣٢/١ من إبراهيم الخليل إلى الخليفة عبد الله، غرة شوال ١٣١٠هـ، يونيو ١٨٩٢م،ص٤٢.

بأن يحتفظوا بالفارغ من البارود الذي تم استخدامه وأن لا يعملوا على إضاعته.[٥٣٣]

وعندما علم حمدان أبو عنجة بوجود فارغ من الذخيرة بكميات كبيرة في سنار أخبر الخليفة عبد الله بذلك، وقد وجه الخليفة بجمع تلك الفوارغ وإرسالها إلى أم درمان.[٥٣٤]

غنائم الأسلحة من الأحباش:

مثلت غنائم المعارك واحداً من مصادر الأسلحة بالنسبة للدولة المهدية والتي انقسمت إلى معارك داخلية وخارجية ضد مصر والأحباش، ولقد غنم حمدان أبو عنجة مدفع وعدد من الأسلحة والذخيرة في حربه ضد الأحباش[٥٣٥]، واستطاع كذلك أن يضاعف عدد المدافع إلى خمسة مدافع جبلية وعدد وافر من الأسلحة والذخيرة من الأحباش أيضاً.[٥٣٦]

نلاحظ بأنّ الدولة المهدية قد عانت بصورة واضحة في أمر الذخيرة والبارود والرصاص وجميع المهمات الحربية التي توفر لها المواصلة في الحروب الداخلية والخارجية، ومما أزّم الموقف الحصار المضروب عليها من مصر.

---

٥٣٣ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٢٥/١ من الخليفة عبد الله إلى حمدان أبو عنجة، ٤ صفر ١٣٠٤هـ، يوليو ١٨٨٦م،ص٢٥٢.

٥٣٤ د. و. م. خ/ مهدية ١/٣٣/٢ من الأمير يعقوب إلى حمدان أبو عنجة، ٧ جماد آخر ١٣٠٥هـ، فبراير ١٨٨٨م،ص٦٣.

٥٣٥ د. و. م. خ/ مهدية ١/A٢٦/١ من حمدان أبو عنجة إلى الخليفة عبد الله، ١٩ صفر ١٣٠٥هـ، أكتوبر ١٨٨٧م، ص١٨.

٥٣٦ د. و. م. خ/ مهدية ١/A٢٦/١ من الخليفة عبد الله إلى حمدان أبو عنجة، ٢٥ جماد أول ١٣٠٥هـ، يناير ١٨٨٨م، ص٦٧.

رغم حركة التهريب لم تستطع الدولة المهدية أن تصل إلى مرحلة الاكتفاء من المواد الحربية المهمة، ووضح بأنّ الدولة المهدية قد كانت في حالة استنفار عام لجمع البارود والفارغ من الرصاص، ولقد وضح تشدد الأمير يعقوب تجاه الذخيرة وجمعها وإرسالها إلى أم درمان.

كان استهلاك قوات الدولة المهدية من الذخيرة في ازدياد يوماً بعد يوم، والطلبات المتلاحقة تأتى الأمير يعقوب بصفته المسئول عن بيت الأمانة والورش الحربية، وقد كان يسعى بدوره لسد هذه الطلبات المتلاحقة.[٥٣٧]

---

٥٣٧ د. و. م. خ/ مهدية ٣/٢٦٨/١ من حمدان أبو عنجة إلى الخليفة عبد الله، ١٩ جماد ١٣٠٥هـ،يناير ١٨٨٨م، ص٦١.

المبحث الثالث

الصيانة والتصنيع الحربي

وجدت صيانة الأسلحة اهتماماً واضحاً من الأمير يعقوب، حيث كرس كل مجهودات الدولة لإنجاز عمليات الصيانة التي تتعلق بالأسلحة والمهمات الحربية، وكان هنالك نوعين من أنواع الصيانة التي تتم للأسلحة، النوع الأول يتم في أم درمان حيث ترسل الأسلحة التي تحتاج إلى صيانة إلى الترسانة الحربية[٥٣٨*]، وأمّا النوع الثاني فيعتمد على إرسال عدد من العمال في الترسانة الحربي مع الحملات العسكرية أو إلى العمالات للمساهمة في صيانة الأسلحة.[٥٣٩]

بعد أن تتم عملية الصيانة للأسلحة الموجودة في أم درمان في الترسانة الحربية يتم نقلها بعد ذلك إلى بيت الأمانة، الذي يعمل على تصنيف الأسلحة على حسب نوعها والجهة التي أُحضرت منها، ويقوم بيت الأمانة كذلك برفع تقرير مفصل إلى الأمير يعقوب يحتوي على تفاصيل الأسلحة.[٥٤٠]

كانت الورش الحربية في أم درمان عبارة عن مجموعة من الورش منها ورش الصناعة[٥٤١*] وورش الصيانة، وكان العمال فيها من المصريين بالإضافة

---

٥٣٨ د. و. م. خ/ مهدية ١/٦/٢ من أباسام إلى الأمير يعقوب، ٩ الحجة ١٣١٤هـ، مايو ١٨٩٧م، ص٣٥.

٥٣٩ * الترسانة الحربية في الأصل مشتقة من (دار الصناعة) ودخلت الكلمة إلى اللغات الأوربية فأصبحت (دار سنا ودارسي وارسنال) وفي اللغة العربية الترسانة، Wenqet,op.cit. p. ٥٣٠.

٥٤٠ د. و. م. خ/ مهدية ١/B١٠/٢ من محمد إسحق إلى الأمير يعقوب، ٨ محرم ١٣١٦هـ، مايو ١٨٩٨م، ص١٠٢.

٥٤١ د. و. م. خ/ مهدية ٢/١٠A/٢ من قمر الدين عبد الجبار إلى الأمير يعقوب، ١٣ جماد آخر ١٣١٥هـ،

إلى بعض العناصر السودانية حيث بلغ عددهم تسعاً وعشرين عاملاً [٥٤٢] وقد بلغ عدد العمال في الترسانة الحربية في سنة ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م ١٣١ عاملاً[٥٤٣] وكانت أسلحة الأمير عثمان دقنة ومعظم الأمراء في الدولة ترسل إلى أم درمان لصيانتها والتي تمثلت في البنادق والأسلحة الخفيفة، أمّا الأسلحة الثقيلة مثل المدافع فيتم إيفاد أسطوات من الورش الحربية إلى العمالات لصيانتها. كانت الأسلحة التي تصل إلى أم درمان تعرض على الأمير يعقوب الذي يوصي بدخولها إلى الورش الحربية (... سيدي في خصوص البنادق السابق إرسالها للتصليح الأمر ضروري...)، ولارتفاع تكاليف صيانة وتصنيع الأسلحة وزيادة الطلب عليها، كان الأمير يعقوب يطلب إمداده بالأموال للمساهمة في صرف الورش الحربية، وقد طلب من الصالح حماد عامله على منطقة شرق الجزيرة إمداده ببعض الأموال (... عملاً بصادركم الكريم تذكيرنا عن أهمية الورش الحربية وأن نلتفت نحو مساعدة سيادتكم على مصروفاتها ...).[٥٤٤] وأرسل النور إبراهيم الجريفاوي إلى الأمير يعقوب مبلغ ١٠٠٠ قوشلي كمساهمة في الصرف على الورش الحربية وعلى العاملين بها.[٥٤٥]

الصناعة الحربية في الدولة المهدية:

اهتمت الدولة المهدية بعملية التصنيع الحربي وتوفير القدر الكافي

اكتو بر ١٨٩٧م، ص١٠٨.

٥٤٢ * أنظر ملحق رقم (١٣).

٥٤٣ ب.م. هولت، مرجع سابق، ص٢٨٦.

٥٤٤ د. و. م. خ/ مهدية ١/٨/٢ من خليل حسين إلى الأمير يعقوب، ص٢٠.

٥٤٥ د. و. م. خ/ مهدية ٢/١٠/٣ من الصالح حماد إلى الأمير يعقوب، ربيع آخر ١٣١٤هـ، يوليو١٨٩٦م، ص٤٤.

من الأسلحة والذخيرة، وزاد الاهتمام بالترسانة الحربية ومعمل البارود وتعبئة الذخيرة وصناعة الصناديق التي تحمل فيها الذخيرة.[٥٤٦] وكانت الورش الحربية تعمل بكل طاقتها لسد حاجة الدولة المهدية من الأسلحة والذخيرة، وكانت الورش تقوم بإرسال ما تم إنجازه إلى بيت الأمانة.[٥٤٧]

واستطاعت مصانع الذخيرة في الدولة المهدية أن تنتج ١٠٠ صندوق من الذخيرة، والجهات التي توزع إليها الذخيرة بعد أن يكتمل تصنيعها هي:

١- بيت الأمانة: الذي تخزن فيه الذخيرة أو كل الإنتاج من الذخيرة، ويعتبر بمثابة مخزن احتياطي للجيش.

٢- العمالات: وترسل الذخيرة إليهم من أم درمان، حيث يقوم قادة المناطق العسكرية والعمال بتقسيمها إلى قسمين:

أ- الجزء الاحتياطي: ويتم الاحتفاظ به في المخازن الموجودة في العمالة ويتم استخدامه عند الحاجة.

ب- ذخيرة العمليات: وتقدر حسب عدد المقاتلين وما يحمله المقاتل من أحزمة ذخيرة. [٥٤٨] بالإضافة إلى صناعة البارود في الدولة المهدية كانت هنالك بعض الصناعات الأخرى مثل صنع الأحذية، وكان هنالك مصنع في أم درمان للأحذية يقوم بسد حاجة القوات من الأحذية، وهنالك مصانع الصابون الذي احتكرته الدولة. وقد شجع الخليفة عبد الله صانعي

---

٥٤٦ د. و. م. خ/ مهدية ١/١٩٨/١ من النور إبراهيم الجريفاوي إلى الخليفة عبد الله، ١٤ ربيع أول ١٣١٤هـ، أغسطس ١٨٩٦م،ص١٦١.

٥٤٧ حاتم الصديق محمد أحمد، مرجع سابق، ص١٤٧.

٥٤٨ د. و. م. خ/ مهدية ١/١٠٨/٢ من قمر الدين عبد الجبار إلى الأمير يعقوب، ٢١ محرم ١٣١٥هـ، يونيو ١٨٩٧م،ص٧٨.

الحراب والسيوف والدروع وشبكات الصيد الضخمة، وكذلك صناعة الآلات الحربية والآلات الزراعية مثل الطواري والمحاريث.[٥٤٩]

صناعة الذخيرة:

تنقسم مصانع الذخيرة في الدولة المهدية إلى ثلاث مجموعات مثلت تطور مراحل إنتاجها من تصفية للبارود من التربة حتى إنتاجها وتخزينها في صناديق، وقد استفاد الخليفة عبد الله من خبرة حسن ذكي الذي كان يعمل طبيباً في العهد التركي، حيث عينه الخليفة عبد الله مشرفاً على تصنيع الذخيرة، وامتد إشرافه إلى المصانع الآتية:

- مصنع تنقية واستخراج البارود والذي كان تحت إدارة عبد الواحد أمين مخازن البارود الذي كان يعمل مشرفاً على البارود المستخرج من الحلفايا.
- معمل البارود في أم درمان وأمينه عبد السميع سالب، وكان قد عمل في الجيش التركي.
- ورشة صناعة الذخيرة ومديرها حسن حسني (ملازم سابق في الجيش التركي) وأمين ورشة الذخيرة الأسطى خليل خاطر ومساعده يوسف خاطر.[٥٥٠]

وكان مصنع الذخيرة بالقرب من بيت المال في أم درمان، وينتج قنطارين ونصف من البارود في اليوم.[٥٥١]

---

٥٤٩ حاتم الصديق محمد أحمد، مرجع سابق، ص١٥٠-١٥١.

٥٥٠ سيرجى سمرنوف، مرجع سابق، ص١٤٦.

٥٥١ عصمت حسن زلفو، كرري، .....، ص١٥٢-١٥٣.

والمواد التي تدخل في صناعة البارود هي:

أولاً: الملح الصخري أو ملح النترات (البوتاسيوم والصوديوم) الذي يتم استخراجه من الخرطوم وتوتي وشجرة محو بك.

ثانياً: بذرة القطن.

ثالثاً: الكبريت الذي يهرب من مصر.

رابعاً: السبرتو الذي يتم استخراجه من البلح، ويقوم بهذه العملية الدكتور حسن أفندي زكي، الذي تعلم هذه الطريقة من لبتن بك.(٥٥٢)

محاولات الخليفة عبد الله للحصول على البارود:

حاول عدد من المقيمين في أم درمان اختراع مادة البارود نظراً لحاجة الدولة المهدية لهذه المادة، وقد فشلت معظم المحاولات التي سعت للحصول على المادة المتفجرة. ومن هذه المحاولات محاولة رجل هندي يدعى كمال الدين جاء من الهند لمبايعة المهدي، وقد انتحل شخصية طبيب، وأطلق على نفسه كبير أطباء الخليفة عبد الله، وقد فشلت محاولته في الحصول على المادة المتفجرة، والمحاولة الثانية قام بها رجل من قبيلة الجعليين يدعى المقدم عمر الذي كان يوهم سكان الخرطوم بأنه يستطيع أن يحول النحاس إلى ذهب، وعندما قابل الخليفة عبد الله أخبره بأنه قادر على استخراج الرصاص من الجبال القريبة من أم درمان، ولتنفيذ ذلك أعطاه الخليفة عبد الله عشرة من العمال وأعطاه المال الكافي لإنجاز مهمته، ولكي يحتال على الخليفة عبد الله كان يطلب من أهله وأعوانه شراء البارود لكي يحس الخليفة بأنّ هنالك عمل

٥٥٢ محمد سعيد القدال، السياسة الاقتصادية للدولة المهدية، ....، ص١٠٢.

مستمر للحصول على الرصاص، وفي حقيقة الأمر كان المقدم عمر يستغل حاجة الخليفة للرصاص، واستمر في خداعه حتى اكتشف الأمير يعقوب ذلك وقام بإخبار الخليفة الذي أمر بقطع يده ورجله من خلاف، ومات بعد ذلك بستة أشهر.[٥٥٣]

رغم المحاولات الفاشلة للحصول على البارود، إلا أنّ بعض المغامرين حاولوا الدخول في مجال صناعته، ومن هؤلاء المغامرين اليوناني يوسف برتكاشي الذي نجح في الحصول على البارود بعد تجريب المادة لفترة من الزمن، وبعد أن تأكد من نجاحها، قام بإخبار الأمير يعقوب الذي قام بتجريب المادة المنتجة في المدافع والبنادق، وقد حققت النجاح الذي يبحث عنه الأمير يعقوب، نتيجةً لذلك ارتفعت مكانة يوسف برتكاشي عند الخليفة عبد الله، ولتكريمه أمر الخليفة عبد الله بوضع زجاجة من البارود الجديد في متحف الدولة وأن يكتب عليه بارود من اختراع الأسطى برتكاشي.[٥٥٤]

بعد أن تمكن يوسف برتكاشي من الحصول على البارود، قام بإرسال أحد العاملين معه إلى الأمير يعقوب يطلب منه صرف بعض المواد الضرورية لصناعة البارود، حيث كانت المواد المطلوبة تحتوي على ملح البارود وزهرة الكبريت، فما كان من الأمير يعقوب إلا أن كتب إلى قمر الدين عبد الجبار أمين بيت الأمانة يطلب منه تنفيذ الأمر.[٥٥٥]

أنفق الخليفة عبد الله أموالاً ضخمة للحصول على البارود، ووضعت

---

٥٥٣ محمد سعيد القدال، السياسة الاقتصادية للدولة المهدية، ....، ص١٠٣.

٥٥٤ Ohrwalderop.cit . p ٤٢٤-٤٢٨.

٥٥٥ Ohrwalder. Op. cit . p ٤٢٤-٤٢٨.

مرتبات مجزية للعمال في الترسانة الحربية، واستمر العمل في إنتاج الرصاص بواسطة يوسف برتكاشي لعدة سنوات، حتى أتى يوم وانفجر برميل بارود كان في المصنع المخصص لتصنيع المادة وقتل يوسف برتكاشي وجميع العاملين المتواجدين عند انفجار البرميل، الأمر الذي أحزن الخليفة عبد الله كثيراً.[٥٥٦] بعد انفجار مصنع البارود تم تحويله إلى جزيرة توتي، وقد تم بناؤه في مساحة كبيرة وحوله الورش الحربية[٥٥٧] بالإضافة إلى الخرطوم والكاملين كانت الحلفايا تنتج في اليوم ما بين أربعة إلى خمسة أرطال من البارود في المتوسط، وفي سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩١م أنتج مصنع البارود في توتي ما بين خمسة إلى ستة قناطير، وأوقف العمل بسبب الأمطار، ولم تستهلك الدولة المهدية كل البارود المتوفر لديها بل كان الخليفة عبد الله يحتفظ بكميات من البارود، ويتم الاستهلاك من البارود المنتج من الحلفايا وتوتي.[٥٥٨]

استمرت محاولات الخليفة عبد الله للحصول على البارود، واستعان بحسن ذكي الذي استطاع أن يتحصل على المادة المتفجرة. ولتسهيل مهمته، عين له الخليفة عبد الله لبتن بك، وأجريت التجارب على المادة في حضور الأمير يعقوب حيث حققت التجارب نجاحاً كبيراً الأمر الذي أفرح الخليفة عبد الله. وبعد وفاة لبتن بك لم يتوقف العمل حيث استطاع حسن ذكي أن يعبئ كميات من الذخيرة في وقت وجيز، وبعد ازدياد الإنتاج أمر الخليفة عبد الله بإنشاء مخزن خاص لحفظ البارود.[٥٥٩]

---

٥٥٦ د. و. م. خ/ مهدية ١/٦٣/٢ من النور إبراهيم إلى الأمير يعقوب، ٢٧ محرم ١٣٠٣هـ،اكتو بر ١٨٨٥م، ص٢٨.

٥٥٧ إبراهيم فوزي، مصدر سابق، ج٢، ص١٤٩-١٥٠.

٥٥٨ Ohrwalderop. cit. p ٤٣٠-٤٣٣.

٥٥٩ إبراهيم فوزي، مصدر سابق، ج٢، ص١١٧.

واجهت صناعة الذخيرة في الدولة المهدية العديد من الصعوبات، ومن أهم المشاكل ندرة البارود، وبالرغم من ذلك اجتهد الخليفة عبد الله في الحصول على الذخيرة والمحافظة عليها، وقلل من الاستهلاك، واستمر التصنيع ولكنه من النوع غير الجيد.[٥٦٠]

مساهمة الأوربيين في صناعة البارود:

اتجه الخليفة عبد الله إلى الاستعانة بالأسرى الأوربيين الموجودين في أم درمان، وقد أطلق سراح عددٍ منهم. ووقع اختيار الخليفة على شارلس نيوفلد لكي يتولى العمل في معمل الملح (ملح النترات) في أم درمان، وقد نجح في مهمته واستطاع أن يكشف وجود كميات من ملح النترات في مناطق قريبة من أم درمان.[٥٦١]

المشاكل التي صاحبت تعبئة وصناعة البارود:

اشترك بيت الأمانة مع الورش الحربية في تعبئة البارود، وكان يطلق على الذخيرة التي تتم تعبئتها في بيت الأمانة عبوة بلدي، وتحفظ في بيت الأمانة.[٥٦٢]

هنالك عدد من المشاكل التي واجهت تعبئة الذخيرة، ومن هذه المشاكل الأخطاء التي صاحبت تعبئة الرصاص، وعدم جودة البارود الذي تم تعبئته، واكتشف عربي دفع الله في بحر الغزال أنّ الذخيرة التي أرسلت إليه غير جيدة، ونتيجةً لذلك عمل على إرجاعها إلى الأمير يعقوب في أم درمان.[٥٦٣]

٥٦٠ p. 423-424..Ohrwalder op. cit

٥٦١ محمد إبراهيم أبو سليم، تاريخ مدينة الخرطوم، .....، ص١٠٣.

٥٦٢ p. 415..Ohrwalder op. cit

٥٦٣ د. و. م. خ/ مهدية ٢/١٠A/١ من قمر الدين عبد الجبار إلى الأمير يعقوب، ٢٠ صفر ١٣١٥هـ، يوليو

ومن الأخطاء كذلك الذخيرة التي ترسل إلى الأقاليم في بعض الأحيان لا تناسب الأسلحة الموجودة والتي طلبت الذخيرة لها، فعندما أُرسلت ذخيرة إلى قوات محمد إسحق المتواجدة في شرق الجزيرة اكتشف بأنّ الذخيرة لا تتطابق مع الأسلحة التي مع قواته، ولذلك قام بإرجاعها إلى أم درمان.(٥٦٤)

واكتشف إبراهيم الخليل أنّ الذخيرة التي أُرسلت إليه في جبال النوبة بها نقص في أعدادها، والبعض الآخر منها قد تم تعبئته بالحديد، والتراب، والفحم، لذلك رفع الأمر إلى الأمير يعقوب وأخبره بما وجده في الذخيرة التي أُرسلت إليه.(٥٦٥)

توضح هذه الرسالة أمراً مهماً، وهو أنّ عملية تصنيع وتعبئة الذخيرة قد صاحبها بعض الإخفاق، ويمكن أن يعزى هذا الإخفاق إلى اتساع مهام الأمير يعقوب، الأمر الذي جعله يغفل أمر تعبئة الذخيرة، وهنالك أمر آخر وهو الندرة أو الشح في مادة البارود، ومع كل ذلك نجد أنّ هنالك إهمالاً في تعبئة الذخيرة ولم تكن هنالك جودة للذخيرة التي تسلم إلى القادة في المناطق.

ومن المشاكل التي أعاقت تصفية البارود الأحوال المناخية، فقد أعاقت الأمطار استخراج البارود من دارفور ومن توتي والحلفايا.(٥٦٦)

١٨٩٧م، ص٨٩.

٥٦٤ د. و. م. خ/ مهدية ١/٨/٢ من عربي دفع الله إلى الأمير يعقوب، ١٢ صفر ١٣١٤هـ، يوليو ١٨٩٦م، ص٢.

٥٦٥ د. و. م. خ/ مهدية ١/B١٠/٣ من محمد إسحق إلى الأمير يعقوب، ١٢ صفر ١٣١٦هـ، يونيو ١٨٩٨م، ص١٠٥.

٥٦٦ د. و. م. خ/ مهدية ١/٣٢/١ من إبراهيم الخليل إلى الأمير يعقوب، غرة شوال ١٣١٦هـ، فبراير ١٨٩٩م، ص٤٢.

الاهتمام بالذخيرة في أم درمان:

تعرض بيت الأمانة للسرقة، والكميات التي تمت سرقتها ١٧٦ دستة من ذخيرة الرمنجتون و١٣٣ دستة من الذخيرة التي استولت عليها الدولة من القوات التركية، و٤٣ دستة من الذخيرة البلدية.(٥٦٧) وقد شيد بيت الأمانة في سنة ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م ويقع بالقرب من منزل الخليفة عبد الله، وتم بناؤه بالحجارة. وهو عبارة عن مبنى ضخم جمعت فيه البنادق والذخيرة، وحفظت فيه خمس عربات غنمتها الدولة المهدية من الحكم التركي والبعثة الكاثوليكية، ووجدت هذه العربات[٥٦٨*] عناية كبيرة من الخليفة عبد الله وقد شدد حولها الحراسة لمنع الناس من الاقتراب منها.(٥٦٩)

وبعد تعرض بيت الأمانة للسرقة، اهتم الأمير يعقوب بأخذ التعهدات المكتوبة من الأمناء الذين يتم ترشيحهم لبيت الأمانة، وشدد على حفظ الذخيرة الموجودة في بيت الأمانة، ووضح ذلك في خطابه إلى أمين بيت الأمانة الذي جاء فيه (... اعلم الحبيب بما أن كان أعطيتو على نفسكم تعهد بحفظ وصيانة كافة فوارق الجبخانة من ظروف وصناديق ولذلك صرتم أنتم المسئولين عن ذلك فينبغي التحفظ الكافي منكم على ما ذكر دون تفريط في ظرف واحد ويكون معلومك مادام أخذ عليك التعهد اللازم منا فإن صار ضاع

٥٦٧ د. و. م. خ/ مهدية ٢/١٢٨/١ من عثمان آدم إلى الخليفة عبد الله، ٨ ذي الحجة ١٣٠٥هـ، أغسطس ١٨٨٨م، ص٢٤٦.

٥٦٨ د. و. م. خ/ مهدية ٢/١٠٨/١ من النور إبراهيم إلى الأمير يعقوب، ٩ شوال ١٣١٥هـ، فبراير ١٨٩٨م، ص٦٢.

٥٦٩ * أنظر ملحق رقم (١٤).

ظرف واحد فأنت المسؤول عنه لا غيرك ...).[٥٧٠]

لحاجة الدولة المهدية للذخيرة، كان الأمير يعقوب يختار من يثق فيهم، للحفاظ على الذخيرة، ولضمان التأمين على الذخيرة اتجه الأمير يعقوب إلى أخذ التعهدات من الأمناء.

ولتشديد الحراسة حول بيت الأمانة، أمر الأمير يعقوب بأن تشدد الحراسة حول الجهة الغربية من بيت الأمانة وهي الجهة التي تعرضت للسرقة، بالإضافة إلى أنها الجزء الذي تتم فيه عملية الصيانة للأسلحة وحفظها، وقد استجاب أمين بيت الأمانة لتوجيهات الأمير يعقوب في أمر تشديد الحراسة حول بيت الأمانة، ولكن واجهته مشكلة تمثلت في وجود منازل الخيالة بالقرب من بيت الأمانة، وقد كان الخيالة يمرون عبر بيت الأمانة إلى منازلهم في أوقات متأخرة، وقد طلب أمين بيت الأمانة قمر الدين عبد الجبار من الأمير يعقوب أن يوجه الخيالة بعدم الحضور أو المرور عبر بيت الأمانة، فصدر الأمر بأن لا يعبر أي شخص عبر بيت الأمانة بعد صلاة المغرب.[٥٧١]

ولتسهيل عمل بيت الأمانة في نقل المهمات الحربية من أطراف أم درمان والنيل، استعان بواحدة من العربات التابعة للدولة المهدية.[٥٧٢]

أقسام بيت الأمانة:

يمثل بيت الأمانة المستودع الأساسي لحفظ جميع الأسلحة النارية،

---

٥٧٠ محمد إبراهيم أبو سليم، تاريخ مدينة الخرطوم، ....، ص١٢٩.

٥٧١ د. و. م. خ/ مهدية ١/٣٣/٢ من الأمير يعقوب إلى عبد الصادق، ٧ جماد آخر ١٣٠٥هـ، فبراير ١٨٨٨م، ص٦٢.

٥٧٢ د. و. م. خ/ مهدية ٢/١٠٨/١ من قمر الدين عبد الجبار إلى الأمير يعقوب، ٢٠ صفر ١٣١٥هـ، يوليو ١٨٩٧م ص٩٠.

والمدافع والذخيرة، والمواد التي تدخل في صناعة الذخيرة. وتم تقسيم بيت الأمانة لعدة أقسام هي:

- المخزنجية، وهي إدارة تحت إشراف أمين المخازن.
- الكتبة.
- جماعة إصلاح البنادق والمدافع، وينقسمون إلى قسمين:

أ/ جماعة صيانة الجيش العام، تحت إدارة بلولة جاد الرفيق الذي كان يعمل في بحر الغزال.

ب/ جماعة إصلاح سلاح الملازمين، تحت إدارة السيد البرناوي.[٥٧٣]

الأوامر التي تصدر إلى أمين بيت الأمانة:

هنالك نوعان من الأوامر التي تصدر من الأمير يعقوب إلى أمين بيت الأمانة، النوع الأول الأوامر المكتوبة، وهي ترسل من الأمير يعقوب إلى أمين بيت الأمانة، أمّا النوع الثاني من الأوامر فهي الأوامر الشفهية، وكانت تجد نفس الاهتمام مثلها مثل الأوامر الكتابية. وصدر أمر شفاهي من الأمير يعقوب إلى قمر الدين عبد الجبار بصرف أسلحة وذخيرة إلى أباسام، ونفذ قمر الدين أمر الخليفة وسلم أباسام الأسلحة المقررة له.[٥٧٤]

وكانت أوامر صرف الأسلحة والذخيرة والمهمات الحربية تصدر من الأمير يعقوب إلى أمين بيت الأمانة، ومن هذه الأوامر الأمر الذي صدر إلى أمين بيت الأمانة بصرف أسلحة إلى عبد المجيد عنيف، على أن يقوم

---

٥٧٣ د. و. م. خ/ مهدية ٢/A/١٠/١ من قمر الدين عبد الجبار إلى الأمير يعقوب، ٢٠ صفر ١٣١٥هـ،يوليو ١٨٩٧م، ص٨٩.

٥٧٤ عصمت حسن زلفو، كرري، .....، ص١٥٣.

أحد العاملين معه باستلامها وإرسالها له في السبلوقة.[575]

وأوامر صرف الأسلحة التي تصدر من الأمير يعقوب تحتوي على نوع السلاح الذي سوف يتم صرفه والكمية المحددة للصرف، والشخص الذي سوف تتم إليه عملية التسليم.[576]

بعد أن تتم عملية صرف الأسلحة، يقوم الأمير يعقوب بمراجعة عملية الصرف التي تمت، وفي بعض الأحيان يصدر الأوامر بمراجعة الأسلحة التي صرفت، وقام الأمير يعقوب بمراجعة الأسلحة التي صرفت لموسى هجام، بواسطة قمر الدين عبد الجبار.[577]

كانت هنالك عملية حصر شاملة للأسلحة والمهمات الموجودة في بيت الأمانة، بالإضافة إلى المواد الحربية التي تم صرفها للأمراء في الأقاليم، وعندما يقوم أمين بيت الأمانة بحصر الموجود من الأسلحة والذخيرة، يقوم برفع كشف تفصيلي للأمير يعقوب.[578]

بعد أن يقوم الشخص المعني بأخذ الأسلحة من أم درمان، يقوم بتوقيع إقرار استلام، حيث يحتوي هذا الإقرار على نوع السلاح وأعداده وكميات الذخيرة المسلمة ونوعها والجهة المرسلة إليها.[579]

---

٥٧٥ د. و. م. خ/ مهدية ٢/١٠A/١ من قمر الدين عبد الجبار إلى الأمير يعقوب، ١٠ الحجة ١٣١٤هـ، مايو ١٨٩٧م، ص٧٣.

٥٧٦ د. و. م. خ/ مهدية ٢/١٠A/٢ من قمر الدين عبد الجبار إلى الأمير يعقوب، ٤ شعبان ١٣١٥هـ، يناير ١٨٩٨م ص١١٨.

٥٧٧ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٣٣/٢ من الأمير يعقوب إلى قمر الدين عبد الجبار، ٢٢ الحجة ١٣١٤هـ، مايو ١٨٩٧م، ص١١٩.

٥٧٨ د. و. م. خ/ مهدية ١/١٠A/٢ من قمر الدين عبد الجبار إلى الأمير يعقوب، ٢١ القعدة ١٣١٢هـ،ابريل ١٨٩٥م، ص١٢٥.

٥٧٩ د. و. م. خ/ مهدية ٢/١٠A/١ من قمر الدين عبد الجبار إلى الأمير يعقوب، ٢٤ ربيع أول ١٣١٥هـ،

نجد أنّ هذا الإقرار قد ساهم في حفظ الأسلحة المرسلة إلى الأقاليم المختلفة وتبين الحرص الواضح من قِبَل الخليفة عبد الله على تأمين الأسلحة والذخيرة الخارجة من أم درمان إلى الأقاليم، ويتضح دور الأمير يعقوب في الإشراف المباشر على الترسانة الحربية وبيت الأمانة، والصادر والوارد من الأسلحة إلى بيت الأمانة، وهو المسؤول الأول عن أوامر الصرف التي تصدر إلى أمين بيت الأمانة والترسانة الحربية والورش الحربية. ولأن المهمات الحربية تعد من الأمور الحساسة في الدولة المهدية نجد بانّ الخليفة عبد الله قد أوكل أمرها إلى أخيه الأمير يعقوب، الذي اهتم بهذا الجانب، وما يؤكد اهتمام الأمير يعقوب بالجانب الحربي في الدولة المهدية الخطابات التفصيلية التي تحتوي على كميات الذخيرة وطرق صناعتها والصادر والوارد منها.

حفظ الأسلحة في الأقاليم:

بالإضافة إلى الاهتمام بالذخيرة في أم درمان، امتد الاهتمام بها إلى الأقاليم. فقد شيد النور إبراهيم الجريفاوي أمين بيت مال بربر، داراً لحفظ الأسلحة والذخيرة والمدافع وجميع المهمات الحربية، وذلك لتسهيل عملية حصر الأسلحة وإخراج المطلوب منها وقت الحاجة بالقدر المطلوب[٥٨٠]، وطلب الخليفة عبد الله من حمدان أبو عنجة، عندما كان في القلابات، بأن يقوم ببناء مخزن لحفظ الأسلحة والذخيرة، على أن يعتمد على الطين في بناء المخزن وأن لا يستخدم المواد الأولية مثل القش[٥٨١]، وبعد أن تولى الزاكي

يوليو١٨٩٧ م، ص١٠٩ ،.

٥٨٠ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٣٩/٢ من محمد عبد العال إلى النور عز الدين، غرة القعدة ١٣١٢هـ، فبراير ١٨٩٥م، ص٢٢٩.

٥٨١ د. و. م. خ/ مهدية ١/١٩٨/٣ من النور إبراهيم الجريفاوي إلى الخليفة عبد الله، ١٠ رمضان ١٣١٤هـ،

طمل القيادة بعد حمدان أبو عنجة في القلابات قام ببناء مخزن للأسلحة من الطوب الأحمر، وعمل على حفظ الأسلحة والذخيرة فيه، وقد كان المبنى بالقرب من منزل الزاكي طمل، ولتشديد الحرص عليه قام الزاكي بتعيين أخيه حامد طمل مشرفاً وأميناً عليه.[٥٨٢]

البواخر في الدولة المهدية:

استولت الدولة المهدية على ثمانية بواخر من الحكم التركي وهي: بوردين، والصافية، والإسماعيلية، والفاشر، ومحمد علي، والمسلمية، والتوفيقية، والطاهرة التي كانت تسمى الزبير باشا.[٥٨٣]

وكانت ترسو هذه البواخر في ترسانة السفن الموجودة في الخرطوم التي يعمل بها عدد من المصريين[٥٨٤]، واستفادت الدولة المهدية من الأشخاص الذين عملوا مع الحكم التركي في تشغيل وصيانة البواخر، وقد نجحوا بصورة واضحة.[٥٨٥]

وجدت البواخر في الدولة المهدية اهتماماً كبيراً من الأمير يعقوب، الذي كان يهتم بأمر صيانتها وتجهيزها وتسليحها، وقد وضح تشدده في أمر الصيانة حيث كان يعاقب كل عامل لا يبلغ عن أي عطل يحدث بالباخرة

فبراير ١٨٩٧م، ص١.

٥٨٢ د. و. م. خ/ مهدية ١/٢٦٨/١ من الخليفة عبد الله إلى حمدان أبو عنجة، ١٠ شعبان ١٣٠٥هـ، ابريل ١٨٨٨ ص١٢٦.

٥٨٣ د. و. م. خ/ مهدية ١/٤/٢ من الزاكي طمل إلى الخليفة عبد الله، غرة شوال ١٣١٠هـ، ١٨٩٢م، ص٤٢.

٥٨٤ مكي شبيكة، تاريخ شعوب وادي النيل، ....، ص٧٠٨.

٥٨٥ Wenqet,op.cit. cit. p. 530.

التي معه أو السلاح المزودة بهي، وفي حالة وجود خلل لم يتم التبليغ عنه في واحدة من البواخر يعتبر الشخص المسؤول عن الباخرة خائن وجزاءه القتل، وكانت الإجراءات الصارمة من قبل الأمير يعقوب تجاه أصحاب البواخر تدفعهم للإسراع بالتبليغ عن الأعطال التي تحدث في بواخرهم خوفاً من البطش والتنكيل.[٥٨٦] وكانت البواخر في الدولة المهدية تعمل في شقين مدني وعسكري، ويتم تزويدها بالمدافع عندما تكون في مهمة عسكرية، والشخص الذي كان يقوم بتزويد البواخر بمدافعها يدعى حميدة النجار وهو أسطى في ترسانة السفن.[٥٨٧]

سفريات البواخر:

كانت الرحلات التي تقوم بها البواخر من أم درمان إلى مناطق السودان المختلفة تكتب في شكل تقارير يومية مفصلة، ويوضح هذا التقرير خط سير الباخرة وما تعرضت إليه خلال اليوم بالتفصيل الدقيق، وقد كتبت رحلة الباخرة الصافية إلى فشودة في ربيع آخر ١٣١٣هـ/سبتمبر ١٨٩٥م بالتفصيل وما حصل لها خلال هذه الرحلة.[٥٨٨]

وعندما غرقت الباخرة المنصورة بالقرب من الرجاف، كتب محمد عثمان أبو قرجة إلى الخليفة عبد الله يخبره بما حدث لها، حيث أنها غرقت

---

٥٨٦ د. و. م. خ/ مهدية ١/٣٢/١ من عربي دفع الله إلى الخليفة عبد الله، ١٢ جماد آخر ١٣١١هـ،يناير ١٨٩٤م، ص٤٤.

٥٨٧ حاتم الصديق محمد أحمد، مرجع سابق، ص١٢٨-١٢٩.

٥٨٨ د. و. م. خ/ مهدية ٢/A١٠/١ من قمر الدين عبد الجبار إلى الأمير يعقوب، ٢٣ القعدة ١٣١٤هـ، ابريل ١٨٩٧م، ص٦٩.

ومعها جميع مهماته الحربية.(٥٨٩)

ساهمت بواخر الدولة المهدية في إيصال الغلال والبريد والمقاتلين إلى أطراف الدولة المختلفة، وعملت على ربط العاصمة أم درمان بالعمالات البعيدة، حيث وصلت حتى مدينة واو جنوباً، ونقلت أوامر الخليفة عبد الله إلى زعيم الشلك، ونقلت الغلال من مناطق الجنوب إلى أم درمان.(٥٩٠)

صيانة البواخر:

استعان الأمير يعقوب بالمهندسين المهرة في صيانة البواخر، وقد كان هؤلاء المهندسين مقيمين في ترسانة السفن، ووقع على عاتقهم صيانة السفن وتجهيز قطع الغيار اللازمة لها. وكانت هنالك صيانة دورية تتم للبواخر، ويكلف بها المهندسين في الترسانة الحربية ورئيس الباخرة المحددة، وكان يصاحب عملية الصيانة توقيع تعهدات من المهندسين، ويحتوي التعهد على أنّ الباخرة لن يحدث بها عطل بعد صيانتها، وأنّ الصيانة قد أنجزت بالصورة المثلى، وتُسلم الباخرة إلى قائدها بعد تجريبها.(٥٩١)

تبين التعهدات التي تؤخذ من المهندسين والعاملين في الترسانة الحربية وترسانة السفن، خوف الأمير يعقوب من التلاعب بعملية الصيانة التي تتم للسفن، وللحد من هذا الخوف نجده قد اتجه إلى توقيع التعهدات قبل البدء في تنفيذ عملية الصيانة. ونرى أنّ هذا الإجراء إجراء فعال في ضبط عملية

٥٨٩ د. و. م. خ/ مهدية ٢/١/٦ كشف الترسانة الحربية، ص٩٤.

٥٩٠ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٥/١ من محمد عثمان أبو قرجة إلى الخليفة عبد الله، ٤ الحجة ١٣١٠هـ، مايو ١٨٩٢م، ص٢٣٣.

٥٩١ د. و. م. خ/ مهدية ٢/١/٦ ترسانة الخرطوم، ص٩٥.

الصيانة وإنجاز العمل بالصورة المطلوبة، وهذه التعهدات تردع كل شخص يحاول التلاعب بصيانة الباخرة التي يشرف عليها، وتدل هذه التعهدات على أهمية البواخر للدولة المهدية.

الفصل الخامس

الاستخبارات في عهد الخليفة عبد الله

المبحث الأول
الاستخبارات في الشمال

العمل ألاستخباري يعد من أهم احتياجات الدولة في المجال الحربي والأمني، وقد تطور نظام المخابرات في عهد الخليفة وتوسعت مجالاته ومساحته، وأصبحت العمليات الاستخباراتية تستهدف كل من الشمال والشرق، بالإضافة إلى استخبارات العمالات.(٥٩٢)

كانت للخليفة عبد الله استخبارات على درجة عالية من الكفاءة والمقدرة، حيث استطاعت أن تجمع عدداً كبيراً من المعلومات وتقوم بإرسالها إلى الخليفة والأمير يعقوب في أم درمان، وعلى ضوء تلك المعلومات تصدر الأوامر الداخلية والخارجية.(٥٩٣) اهتمت استخبارات الخليفة عبد الله بمراقبة العمالات ٬ وحركة القوات المقاتلة من امدرمان إلى أجزاء الدولة المهدية، ورفع التقارير عن حركات المعارضة التى قامت ضد الخليفة عبد الله، وتحركات قوات محمود ودأحمد من غرب السودان نحو الشمال لمواجهة القوات الانجليزية المصرية، حيث كان هنالك تنسيق استخباراتي بين الخليفة عبد الله والأمير يعقوب، في توظيف المعلومات التي ترد إليهم في أم درمان، وإذا وصلت بعض المعلومات إلى الأمير يعقوب فإنه يقوم بعرضها على الخليفة عبد الله ويتم التشاور حولها.(٥٩٤)

---

٥٩٢ د. و. م. خ/ مهدية ١/٦٣/٣ من خليل حسين إلى النور إبراهيم الجريفاوي، ٨ الحجة ١٣١٤هـ، مايو ١٨٩٦م، ص٣٨.

٥٩٣ د. و. م. خ/ مهدية ١/٧/٢ من أحمد فضيل إلى الأمير يعقوب، ٢٦ صفر ١٣١٦هـ،يونيو ١٨٩٨م، ص١٩.

٥٩٤ محمد فؤاد شكري، مصر والسودان تاريخ وحدة وادي النيل السياسي في القرن التاسع عشر ١٨٢٠-١٨٨٩م، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨م، ص٤٣٠.

استخبارات الخليفة في القطاع الشمالي:

مثل القطاع الشمالي والحدود مع مصر، أهمية كبيرة للخليفة عبد الله، فكثف جهوده الاستخباراتية وقواته وجواسيسه لجمع أكبر قدر من المعلومات عن هذا القطاع. وقد كانت المعلومات عن تحركات القوات في الشمال تصل إلى الخليفة في أم درمان، وقد ساهم القائد محمود ود بشارة في ربط أم درمان بالأحداث والتطورات التي تحدث في دنقلا، حيث يقدم تقارير مكتوبة إلى الخليفة في أم درمان وترسل هذه التقارير على ضوء المعلومات الواردة إليه، واعتمد ود بشارة على إرسال الطلائع لجمع المعلومات حيث أورد في معرض وصفه عن تجمع القوات الغازية إلى الأمير يعقوب (... أفادوا بعدم تحركهم من مراكزهم إلا أنهم قد أجروا تقوية نقطهم ...).[٥٩٥]

واستفاد الخليفة عبد الله من حسن خليفة العبادي في جمع المعلومات من مصر وذلك لمعرفته التامة بالتوغل إلى الأراضي المصرية والخروج منها. وأرسل حسن خليفة العبادي أحد جواسيسه ويدعى أحمد عبد الوهاب، الذي استطاع أن يدخل إلى مصر عن طريق كورسكو ثم أسوان، ونجح في أن يتحصل على عدد من المعلومات التي تم رفعها إلى الخليفة في أم درمان.[٥٩٦]

اعتمدت استخبارات الخليفة عبد الله على رفع التقارير المكتوبة والشفهية، حيث رُفع إلى الخليفة عبد الله تقارير تتحدث عن تحركات قوات الغزو نحو آبار المرات ومنها سوف يتجهون إلى أبي حمد، وذُكر للخليفة بأنّ القوات الأساسية تعسكر في صرص.[٥٩٧]

---

٥٩٥ إبراهيم شحاتة حسن، مرجع سابق، ص٢٦٤.

٥٩٦ د. و. م. خ/ مهدية ٢/١٠٨/١ من محمد ود بشارة إلى الأمير يعقوب، ٢٨ رمضان ١٣١٤هـ،فبراير ١٨٩٧م، ص٢١.

٥٩٧ د.و.م. خ/مهدية ٢/١٨/١ من عثمان الدكيم إلى الخليفة عبد الله، ١ شعبان ١٣٠٦هـ،ابريل ١٨٨٨م، ص٢٤٧.

ونجح قرقير فضل الكريم أحد العناصر الاستخباراتية الفاعلة في رفع تقرير مفصل للخليفة عبد الله عن قوات صالح حسين خليفة التي بلغت ٧٥ نفراً وأنّ صالحًا يعمل على زيادتهم لدعم قوات الغزو.[٥٩٨]

نتيجةً للتقارير المفصلة تأكد للخليفة عبد الله بأنّ القوات المصرية والإنجليزية يتم حشدها في الحدود السودانية المصرية، وتأكد له هذا الأمر من عدد من المصادر الخاصة ثم قريقر فضل الكريم والحسن سعد العبادي.[٥٩٩]

وبعد أن رجعت القوات الإنجليزية المصرية إلى أسوان، رصدت استخبارات الخليفة تلك التحركات، وعلم الحسن سعد العبادي بواسطة أحد جواسيسه يدعى محمد علي، والذي حضر من مصر بأنّ قائد القوات الإنجليزية ودهاوس وجرنفل قائد القوات المصرية قد تراجعوا من حلفا إلى أسوان، وهذا التراجع إلى داخل الأراضي المصرية يعود إلى اختلاف بينهم في جدوى التوغل داخل الأراضي السودانية، وكان رأي جرنفل أن يتم التوغل جنوباً لأنّ قوات الدولة المهدية قد دخلت دنقلا وأحرقت كل المنازل ولذلك يجب الزحف نحو المدينة وأن تصبح مركزاً للقوات الانجليزية والمصرية بعد كورسكو.[٦٠٠]

---

٥٩٨ د. و. م. خ/ مهدية ٣/١٨/١ من عثمان الدكيم إلى الخليفة عبد الله، ٥ صفر ١٣٠٧هـ، سبتمبر ١٨٨٩م، ص٢٩٣.

٥٩٩ د. و. م. خ/ مهدية ٣/١٨/١ من عثمان الدكيم إلى الخليفة عبد الله، ٦ ربيع أول ١٣٠٧هـ، اكتو بر ١٨٨٩م، ص٣٠٧.

٦٠٠ د. و. م. خ/ مهدية ٣/١٨/١ من عثمان الدكيم إلى الخليفة عبد الله، ٩ ربيع آخر ١٣٠٧هـ، نوفمبر ١٨٨٩م، ص٣٠٨.

تنسيق الجهود الاستخباراتية:

طلب الخليفة عبد الله من الحسن سعد العبادي العمل على تنسيق الجهود الاستخباراتية وطلب منه العمل تحت قيادة قريقر فضل الكريم، بهدف الحصول على أكبر قدر من المعلومات (... وتنفيذاً لما صدر لعبدكم من سيادتكم قد حررنا للحبيب الحسن سعد العبادي بالامتثال للأخ المكرم قريقر فضل الكريم وأكدنا عليه أن يكون مستقيم هو وأهله ...).[٦٠١]

بعد هذه الرسالة الواضحة امتثل الحسن سعد العبادي لأوامر الخليفة عبد الله واتجه إلى رفع التقارير إلى قريقر فضل الكريم ومنه إلى الخليفة عبد الله.[٦٠٢]

عملاء الخليفة في مصر:

عندما حرض الوزير المصري مصطفى رياض السودانيين على الثورة ضد حكم الخليفة عبد الله، في بيان وجهه للسودانيين، التقطته استخبارات الخليفة عبد الله، وقامت بإرساله إلى أم درمان وذلك في أكتوبر ١٨٨٩م.[٦٠٣]

وكانت الصحف المصرية التي تصدر في القاهرة يتم إرسالها للخليفة في أم درمان حيث يقوم بالاطلاع عليها.[٦٠٤]

---

٦٠١ د. و. م. خ/ مهدية ٣/١٨/١ من عثمان الدكيم إلى الخليفة عبد الله، ١ شعبان ١٣٠٧هـ، مارس ١٨٩٠م، ص٣٦٤.

٦٠٢ د. و. م. خ/ مهدية ٣/١٨/١ من عثمان الدكيم إلى الخليفة عبد الله، ١٤ رمضان ١٣٠٧هـ، ابريل ١٨٩٠م، ص٣٧٠.

٦٠٣ د. و. م. خ/ مهدية ٣/١٨/١ من عثمان الدكيم إلى الخليفة عبد الله، ٤ الحجة ١٣٠٧هـ، يوليو ١٨٩٠م، ص٣٩٠.

٦٠٤ ب. م. هولت، مرجع سابق، ص٢٩٠.

كانت الصحف تجد الاهتمام من الخليفة عبد الله، وقد ذكرت إحدى الصحف المصرية أنّ هنالك مباحثات إنجليزية إيطالية خاصة بكسلا، فما كان من الخليفة عبد الله إلا أن علق بالقول: بأنّ كسلا تابعة للدولة المهدية فإنه محتار على أي أرضية تستند إيطاليا وإنجلترا للتباحث حول كسلا.[٦٠٥]

يتضح بأنّ الخليفة عبد الله ملم بتطورات الأحداث في مصر، وأنّ هنالك تحالف بين إيطاليا وإنجلترا.

من عناصر الاستخبارات المهمة لدى الخليفة شخص يدعى كرار وهو الذي استطاع أن يكشف للخليفة عبد الله ولاء حسن خليفة[٦٠٦*] للحكومة المصرية، وعندما علم حسن خليفة بذلك قام بسجن كرار، ثم أطلق سراحه بعد ذلك، وبعد وصوله إلى أم درمان أقنع الخليفة بخيانة حسن خليفة، وأرسل إليه الخليفة عبد الله قوة استطاعت أن تقبض عليه هو وأتباعه تم إحضاره إلى أم درمان وتم القبض عليه، وسجنت قواته في سجن الساير والبعض الآخر منها أرسل إلى الرجاف، وأمّا الحسن خليفة فقد سجنه الخليفة عبد الله في سجن الساير.[٦٠٧]

كان للخليفة عبد الله عدد من الجواسيس، أشهرهم رجل يدعى ود الحسين وهو سوداني الأصل وآخر يدعى شعبان وهو مصري، وكانوا يمدون الخليفة عبد الله بالمعلومات من داخل الأراضي المصرية.[٦٠٨]

٦٠٥ Ohrwalde. Op.cit. p. ٤٢١.

٦٠٦ Wenqet,op. cit.. p. 67

٦٠٧ * حسن خليفة، كان أميراً على أبو حمد لمدة طويلة وعندما زحفت قوات النجومي نحو مصر سيطر على آبار المرات، وحاول السيطرة عل أموال التجار القادمين من مصر والتحالف مع صالح فضل الله زعيم الكبابيش، ونتيجةً لتعاونه مع الحكومة المصرية وصلت أخباره إلى الخليفة عبد الله. Ohrwalder.J,op. cit. p. ٤٢٠..

٦٠٨ Op.cit. p. ٤٢١.

واستطاع جواسيس الخليفة عبد الله أن ينقلوا له الأحداث التي تدور في مصر وتحديداً في العام ١٣٠٩هـ/ ١٨٩٢، ورفع الحسن سعد العبادي تقريره إلى الخليفة والذي جاء فيه أنّ القوات الإنجليزية تروج للخروج من مصر بعد ثلاثة أشهر وذلك بعد وصول القوات العثمانية والفرنسية إلى الساحل المصري، وأنّ الخديوي توفيق قد توفي في يوم ٧ جماد ١٣٠٩هـ/١٨٩٢م، وخلفه ابنه عباس وقد وجدت تولية عباس للعرش معارضة من الدولة العثمانية وذلك لصغر سنه حيث كان عمره أقل من سبعة عشر عاماً، ولكن الدولة العثمانية رضخت في نهاية الأمر بعد أن علمت بأنّ بريطانيا لن تقبل بوريث للعرش غيره، ولكي تؤكد بريطانيا مساندتها لعباس عملت على إرسال تسع بواخر حربية إلى ميناء الإسكندرية.[٦٠٩]

وعندما سافر الخديوي عباس إلى الأستانة، رفعت استخبارات الخليفة في مصر إلى الخليفة عبد الله أنّ الخديوي قد سافر إلى الأستانة بعد اختلافه مع البريطانيين وسبب هذا الخلاف أنّ الخديوي عباس كان يطالب بخروجهم من مصر، والسبب الثاني أنّ الخديوي كان يطالب بتجنيد ثمانية ألف من المصريين في الجيش الأمر الذي لم يوافق عليه الإنجليز، وبالإضافة إلى ذلك قاموا بإحضار قوات إنجليزية محملة على باخرتين، وصلتا إلى ميناء الإسكندرية، ولإصرار الخديوي عباس على رأيه المتمثل في تكوين قوة من المصريين، رضخ الإنجليز وقاموا بإرجاع القوات الإنجليزية التي وصلت إلى ميناء الإسكندرية.[٦١٠]

٦٠٩ إبراهيم فوزي، مصدر سابق، ج٢، ص٣٥١.

٦١٠ د.و.م. خ/مهدية ٣/٤ من الحسن سعد العبادي إلى الزاكي عثمان، ١٩ رجب ١٣٠٩هـيناير ١٨٩١م، ص١٦.

دور محمد ود بشارة في استخبارات الشمال:

عندما وصل ود بشارة إلى دنقلا، قام بتعيين شخص من طرفه في حلفا لمده بأخبار تحرك القوات الإنجليزية والمصرية، وكان يقوم ود بشارة بإرسال جواسيس من طرفه إلى حلفا لأخذ المعلومات منه ورفعها لود بشارة الذي يقوم برفعها للخليفة عبد الله في أم درمان.[٦١١]

بعد أن وصلت القوات الإنجليزية المصرية إلى حلفا وصرص، كتب ود بشارة إلى الخليفة عبد الله يخبره بجمع القوات في حلفا وقد تم تجهيزها بالجمال الجيدة وأنّ سردار الجيش المصري قد حضر إلى حلفا ثم صرص وقام باستعراض الجيش الموجود هناك، ورفعت له أعداد الجيش وأعداد الجمال، وأمر بتغيير الجمال غير الجيدة، وبعد ذلك رجع إلى أسوان وعند وصوله إلى هناك أمر بإغلاق الطريق التجاري بين أسوان وبربر، والطريق الواصل بين بربر وسواكن، وقد كان معه في هذه الزيارة سلاطين باشا، وأنّ السكة حديد وصلت حتى كورسكو وجاري العمل لمدها حتى آبار المرات.[٦١٢]

نتيجةً لحركة المخابرات المصرية في الشمال رأى محمد ود بشارة ضرورة إنشاء نقطة استطلاع في مكركي، بغرض استطلاع أخبار القوات الإنجليزية المصرية، وكانت المخابرات المصرية تتحرك في المنطقة الواقعة بين المحس والسكوت، وإن هم وجدوا أنّ قوات المهدية لها نقطة مراقبة في تلك المنطقة، سوف يمتنعون عن الاقتراب منها.[٦١٣]

---

٦١١ د. و. م. خ/ مهدية ١/٢/١ من محمد ود بشارة إلى الخليفة عبد الله، ٢٥ ربيع أول ١٣١٣هـ، أغسطس ١٨٩٥م،ص٩٢.

٦١٢ د. و. م. خ/ مهدية ١/١٢/١ من محمد ود بشارة إلى الخليفة عبد الله ١٨ ربيع ١٣١٣هـ، أغسطس ١٨٩٥م، ص٨٩.

٦١٣ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٢/١ من محمد ود بشارة إلى الخليفة عبد الله، ١٧ جماد أول ١٣١٣هـ، اكتو بر ١٨٩٥م. ص١٢٩.

الاستخبارات في صواردة:

استخدم محمد ود بشارة نقطة صواردة كنقطة استطلاع لجمع المعلومات من داخل الأراضي المصرية بواسطة استخباراته، وكان يحث طلائعه على جمع أكبر قدر من المعلومات حسب التوجيهات التي صدرت إليه من الخليفة عبد الله.[٦١٤]

ولزيادة المعلومات من جانب العدو قام ود بشارة بإرسال استخباراته إلى داخل مدينة حلفا، حيث استطاعت استخباراته أن تتحصل على أنّ الخديوي عباس قد ناقش مع الإنجليز خروجهم من مصر وعملية غزو السودان، وأنّ سردار الجيش المصري ونجت وسلاطين باشا قد قررا الحضور إلى حلفا، وقد رفع ود بشارة تلك الأخبار إلى الخليفة ومعها بعض الصحف المصرية التي أوردت مقابلة سلاطين باشا مع الملكة فيكتوريا.[٦١٥]

ولتكثيف العمليات الاستخباراتية قام محمد ود بشارة بتعيين حمودة إدريس رئيساً على مركز صواردة بعد موافقة الخليفة عبد الله، وأكد ود بشارة على حمودة إدريس بأن يجتهد في حفظ المركز وأن يعمل على جمع المعلومات من الجانب المصري وهي المهمة الأساسية.[٦١٦]

---

٦١٤ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٢/١ من محمد ود بشارة إلى الخليفة عبد الله، ٢٨ جماد آخر ١٣١٣هـ، نوفمبر ١٨٩٥م، ص١٥٠.

٦١٥ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٢/١ من محمد ود بشارة إلى الخليفة عبد الله، ١٢ ربيع ثاني ١٣١٣هـ، سبتمبر ١٨٩٥م، ص١٠٤.

٦١٦ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٢/١ من محمد ود بشارة إلى الخليفة عبد الله، ٢٢ ربيع ثاني ١٣١٣هـ، سبتمبر ١٨٩٥م، ص١٠٦.

بعد مجهود استخباراتي ناجح استطاع ود بشارة أن يضع خطة يضرب بها القوات الموجودة في قرية تسمى أدندان وهي تقع بين حلفا كورسكو على النيل.[٦١٧]

مراقبة تحركات القوات الانجليزية المصرية:

في ١٧ شوال سنة ١٣١٣هـ/مارس ١٨٩٦م قام محمد ود بشارة بإرسال فرقة استطلاع إلى منطقة أمبكول وعكاشة لمعرفة تحركات القوات الإنجليزية المصرية، وبعد رجوع فرقة الاستطلاع رفعت تقريرها لمحمد ود بشارة الذي جاء فيه أنّ القوات الإنجليزية المصرية مستمرة في بناء خط السكة حديد جنوباً، وعملت على نقل معداتها بالبر نظراً لارتفاع مناسيب مياه النيل.[٦١٨]

تراجعت قوات حموده إدريس من مركز صواردة إلى فركه، ونتيجة لبطء الأمير حموده إدريس، والخلاف الذي نشب بينه وبين الأمير محمد ود بشارة ،لم يتقدم لمهاجمة القوات الانجليزية المصرية في عكاشة، التى استطاعت أن تحصن دفاعاتها بصورة جيدة، ونتيجة لاحتدام الخلاف بينهما، عمل ود بشارة على عزله من القيادة وعين مكانه الأمير عثمان ازرق احد أمراء المهدية، كان عثمان ازرق من المقاتلين الأشداء والمتعصبين للمهدية، وهو من القادة المعروفين لدى القوات المصرية، نتيجة للعمليات الناجحة التى نفذها ضدهم على الحدود، ولم يقع في قبضة المخابرات المصرية التي تبحث

٦١٧ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٢/١ من محمد ود بشارة إلى الخليفة عبد الله، ١١ جماد أول ١٣١٣هـ، اكتو بر ١٨٩٥م، ص١٢٢.

٦١٨ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٢/١ من محمد ود بشارة إلى الخليفة عبد الله، غرة رجب ١٣١٣هـ، يناير ١٨٩٦م، ص١٥١.

عنه بشدة، وبعد توليه القيادة في فركه سعت القوات المصرية ومخابراته للقبض عليه.(٢)

بعد انتصارات قوات الغزو على قوات المهدية في فركه، استطاعت أن تستولي على عدد من الرسائل والكشوفات التي تبين أعداد قوات المهدية.(٤)

وصول القوات الإنجليزية المصرية إلى عكاشة:

بعد أن سيطرت القوات الإنجليزية على عكاشة قام ود بشارة بإرسال استخباراته لمعرفة أحوال المدينة، فتأكد له بأنّ الجيش المتواجد هناك هو جيش ضخم وفي كامل استعداده، وأنهم قاموا ببناء استحكاماتهم التي تشبه المتاريس وأنّ هذه المتاريس بعكاشة من جهة البحر بارتفاع نصف قامة الرجل البالغ.(٥)

تراجعت قوات ود بشارة إلى منطقة الشايقية وعمل على إنشاء نقطة مراقبة تحركات قوات الغزو ولتجميع المعلومات، وكان ود بشارة يرفع التقارير للخليفة في أم درمان.(٦)

تأكد لمحمد ود بشارة بأنّ الأشخاص الذين ينقلون إليه الأخبار عن القوات الإنجليزية المصرية يقومون برفع أخباره إلى تلك القوات، ونتيجةً لذلك كتب للخليفة عبد الله، حيث قرر ود بشارة منع كل شخص يشك فيه من نقل المعلومات إليه، ولذلك عمل على تعيين شخص يثق فيه يقيم في منطقة أرقو(٦١٩) وعندما وصلت قوات الغزو إلى منطقة الجعليين عمل الأمير

---

٦١٩ د. و. م. خ/ مهدية ١/٢/١ من محمد ود بشارة إلى الخليفة عبد الله، ٧ شوال ١٣١٣هـ، مارس ١٨٩٦م، ص١٩٤.

(٢) ونستون تشرشل، حرب النهر، تاريخ الثورة المهدية والاحتلال البريطاني للسودان، ترجمة، عز الدين

يعقوب على استطلاع أخبار الجيش الغازي عبر الهجانة[٦٢٠*] عندما وصلت إلى المتمة (... انه بوصول الهجانة السابق حضورهم بالبوستة ورجوعهم إلى سيدي أخبروا بأنّ وابورات أعداء الله حضرت بالمتمة ومرغوباً الإفادة عن كشف خبرهم هل هي واقفة بجهة ناس محمود ود أحمد أم رجعت أم تقدمت...).[٦٢١]

وتحول العمل الاستخباري ضد قوات الغزو الإنجليزي المصري عندما دخلت مناطق الجعليين إلى عبد الباقي عبد الوكيل وأصبح يتتبع تحركات قوات الغزو، وعندما وصلت بواخرهم إلى المتمة رفع الأمر إلى الأمير يعقوب وأكد له بأنهم متحركون نحو أم درمان.[٦٢٢]

العمل الاستخباراتى المضاد للدولة المهدية:

تعاون صالح فضل الله زعيم الكبابيش مع المخابرات المصرية:

كان هنالك تعاون استخباراتي بين صالح فضل الله زعيم الكبابيش

محمود ،دار الشروق، القاهرة ،٢٠٠٦م، ص ١١٩- ١٢١.

(٣) د. و. م. خ/ مهدية ١/٢/١ من محمد ود بشارة إلى الخليفة عبد الله، ٥محرم ١٣١٤هـ، يونيو١٨٩٦م، ص ٢٥٩.

(٤) د. و. م. خ/ مهدية ١/٢/١ من محمد ود بشارة إلى الخليفة عبد الله، ٢٥ محرم ١٣١٤هـ ، يونيو١٨٩٦م، ص٢٦٨.

(٥) د. و. م. خ/ مهدية ١/٢/١ من محمد ود بشارة إلى الخليفة عبد الله، ١٨ القعدة ١٣١٣هـ، ابريل ١٨٩٦م، ص ٢١٣.

(٦) د. و. م. خ/ مهدية ١/٢/١ من محمد ود بشارة إلى الخليفة عبد الله ،٢٩رجب ١٣١٣هـ، يناير ١٨٩٦م، ص١٦١.

٦٢٠ د. و. م. خ/ مهدية ١/٢/١ من محمد ود بشارة إلى الخليفة عبد الله، القعدة ١٣١٣هـ، ابريل ١٨٩٦م ص٢٢٢.

٦٢١ * الهجانة هم رجال البريد الذين يركبون الإبل، وفرق البريد أو الهجانة شديدة الشبه في وظيفتها بفرق البريد في العهد الأموي والعباسي، أنظر ب. م. هولت، مرجع سابق، ص٢٨٠.

٦٢٢ د. و. م. خ/ مهدية ٤/٦/٢ من عبد الباقي عبد الوكيل إلى الأمير يعقوب، ص٢٥.

والمخابرات الإنجليزية المصرية، وقد اعتمد صالح فضل الله على إرسال الأخبار إلى الجيش الإنجليزي المصري، ولكن قوات النجومي استطاعت أن تقبض على مجموعة من أتباعه وأن تقتل البعض الآخر منهم، وأن تستولي على الرسائل التي معهم للمخابرات المصرية.[٦٢٣]

ولحاجة المخابرات المصرية للمعلومات عملت على تجنيد شخص يدعى عبد الهادي من العبابدة لنقل الأخبار عن قوات المهدية، وقد نجح في أن ينقل أخبار قوات المهدية المتواجدة في أبى حمد ودنقلا وبربر وآبار المرات، ولكنه وقع في قبضة النجومي.[٦٢٤]

عملاء المخابرات المصرية:

بعد هزيمة قوات النجومي في توشكي اتجهت المخابرات المصرية إلى متابعة الأوضاع الداخلية في الدولة المهدية، فقامت بتأسيس جهاز المخابرات تحت قيادة ونجت باشا، وجعلت من مدينة حلفا مركزاً لهذا الجهاز لكي تتمكن من جمع المعلومات الواردة من السودان، وعمل جهاز المخابرات على استجواب الأسرى الذين وقعوا في قبضة القوات المصرية، بالإضافة إلى التجار القادمين من السودان كخطوة أولى. أمّا الخطوة الثانية فإنه قد قام بإرسال جواسيس إلى داخل الدولة المهدية، حيث استطاعوا أن يتغلغلوا في جسد الدولة المهدية واستطاعوا اختراق الجيش وبيت المال والقضاء، وقد انكشف للمخابرات المصرية حجم قوات الدولة المهدية وسلاحها ومدى قوتها،

---

٦٢٣ د. و. م. خ/ مهدية ٣/٦/٢ من عبد الباقي عبد الوكيل إلى الأمير يعقوب، ص٤٦.

٦٢٤ د. و. م. خ/ مهدية ٣/١/١ من عبد الرحمن النجومي إلى حمدان أبو عنجة، ١٧ جماد أول ١٣٠٤هـ، يناير ١٨٨٧م ص٧.

وموقف القبائل السودانية من حكم الخليفة عبد الله التعايشي.[٦٢٥]

وقد كانت المعلومات التي تتحصل عليها المخابرات المصرية من امدرمان، يتم إرسالها إلى وادي حلفا ومن هناك إلى القاهرة ،ليتم تدوينها وتحليلها، وقد تم وضع الحاميات العسكرية للدولة المهدية و معظم الأمراء تحت مراقبة جواسيس واستخبارات الحكومة المصرية، وقد تم تأكيد المعلومات التي تحصلت عليها المخابرات بواسطة الأب اوهروالدر وسلاطين باشا بعد هروبهم من امدرمان[٣]

عمل ونجت على تحليل المعلومات الواردة إليه من داخل الدولة المهدية والاستفادة منها، وأخذ في استجواب كل شخص داخل إلى الأراضي السودانية أو خارج منها.[٤]

تعاون العبابدة مع المخابرات المصرية:

قبيلة العبابدة قبيلة حدودية بين مصر والسودان، وينقسم العبابدة إلى قسمين، القسم الأول العبابدة (العشاباب) والقسم الثاني العبابدة (المليكاب). وكان العبابدة المليكاب أقل عدداً من العبابدة العشاباب، وكانت حرفتهم الأولى رعي الماشية، ولجفاف المنطقة التي يقطنون بها تخلوا عن حرفة الرعي واتجهوا إلى التجارة بين كورسكو وأبو حمد عبر الصحراء. وبالرغم من قلة المليكاب أصبحوا هم سادة التجارة بين مصر والسودان، وعند قيام الدولة المهدية انضم حسن خليفة إليها وعين من قبل المهدي زعيماً على قبيلة العبابدة.، وبسبب سيطرة المليكاب على التجارة تولدت بينهم والعبابدة

٦٢٥ د. و. م. خ/ مهدية ٣/١/١ من عبد الرحمن النجومي إلى يونس الدكيم، ١٧ القعدة ١٣٠٦هـ، ابريل ١٨٨٩م، ص٢٢.

العشاباب العداوة، واستطاع العشاباب أن ينضموا إلى بريد الخليفة عبد الله، الذي أبقى حسن خليفة أميراً على العبابدة وأوكل إليه رئاسة القوافل التجارية، وجعله مرابطاً في آبار المرات بين كورسكو وأبو حمد.[٦٢٦]

استطاعت المخابرات المصرية أن تجند عدداً من العبابدة للعمل معها ضد الخليفة عبد الله، وبالمقابل أيضاً جند الخليفة عبد الله عدداً منهم للعمل معه ضد الحكومة المصرية. نتيجةً لهذا الوضع زاد العداء بين العبابدة العشاباب المليكاب، وأصبح جواسيس الحكومة المصرية من العشاباب يوقعون بجواسيس الخليفة عبد الله من المليكاب، وكان هنالك جواسيس للخليفة من قبيلة العشاباب ولكن لم يتم الإيقاع بهم عند الحكومة، بل كان أخوانهم من العشاباب يمدوهم بالمعلومات من داخل الأراضي المصرية، لرفع مكانتهم عند الخليفة عبد الله. أصبحت هنالك حرب استخباراتية شرسة بين العبابدة العشاباب المليكاب، وكل مجموعة تحاول الإيقاع بالمجموعة الأخرى سوى لجانب الاستخبارات المصرية أو إلى جانب الخليفة عبد الله. وفي عام ١٣٠٦هـ/١٨٨٩م قويت مكانة محمد بشير كرار أحد زعماء العشاباب عند الخليفة عبد الله حتى جعله قائداً لموكبه، وفي ذلك الوقت قامت الحكومة المصرية بواسطة استخباراتها بإرسال صالح حسين خليفة إلى ابن عمه حسن خليفة ليعرف منه أخبار الدولة المهدية، ونزل عليه في معسكره في آبار المرات، وبعد أن تزود صالح حسين بالمعلومات رجع إلى أسوان، وقد

٦٢٦ محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث، .....، ص٣٠٦.

(٢) p. 95-96.. Wenqet,op.cit

(٤) مكي شبكية، السودان عبر القرون، .....، ص ٢٣٢.

نقلت استخبارات الخليفة عبد الله إليه تلك المقابلة الأمر الذي أغضب الخليفة بالإضافة إلى تحريض محمد بشير كرار له ضد العبابدة المليكاب، وكتب جميع الأمراء الذين في بربر والمرابطين في أبو حمد إلى الخليفة عبد الله يتهمون حسن خليفة بالعمل مع المخابرات المصرية طلب منه الحضور إلى أم درمان، وعند حضوره قبض عليه الخليفة وسجنه في سجن الساير، وأصدر أمراً بالقبض على سائر أفراد قبيلة العبابدة المليكاب حيث كان معظمهم يسكن بالقرب من بربر، وصودرت أموالهم، وفي عام ١٣٠٧هـ/ ١٨٩٠م، قام الخليفة عبد الله بإرسالهم إلى الرجاف محمولين على المراكب الكبيرة بغير مؤن، فمات معظمهم قبل الوصول إلى الرجاف. وبعد هذه الأحداث خلا الجو العام للعبابدة العشاباب وأصبحوا مقربين من الخليفة عبد الله.(٦٢٧)

تواصلت محاولات الاستخبارات المصرية في إرسال جواسيسها إلى داخل الأراضي السودانية على الرغم من أنّ معظم جواسيسها قد وقعوا في قبضة الدولة المهدية، وأرسلت شخص يدعى خليل جرتلي تحت غطا التجارة التاجرة الذي استطاع الوصول حتى دنقلا ومنها وصل إلى أم درمان، وقبض عليه ثم أطلق سراحه. وبعد هذه الحادثة قبض عليه ثلاث مرات وفي كل مرة يطلق سراحه بعد أن يتم تجريده من كل ما يحمل من أموال وبضائع.(٦٢٨)

تحمل هذه الحادثة احتمالين، الأول أن يكون التاجر خليل جرتلي عميلاً مزدوجا وان ماتعرض له من تجريد هو في سياق التغطية الاستخبارتية، والاحتمال الثاني هو أن هذه الحادثة تشير إلى بعض الفساد وسط الأمراء والقادة لأنهم يقومون بالاستيلاء على البضائع والمواد التي يحملها الشخص

٦٢٧ (١) إبراهيم فوزي، مصدر سابق، ص ٢١٠.

٦٢٨ إبراهيم فوزي، مصدر سابق، ج٢، ص٢١٠-٢١٣.

الذي يتم القبض عليه بتهمة التعاون مع المخابرات المصرية، يثم يطلق سراحه بعد ذلك، ونري أن الاحتمال الثاني هو الأرجح .

قدم العبابدة المليكاب معلومات مهمة للاستخبارات المصرية، وكانت هذه المعلومات ترفع في شكل تقارير تحتوي على أعداد قوات الدولة المهدية وتسليحها، ونتيجةً لتعاون قبيلة العبابدة مع القوات المصرية طلبت هذه المخابرات من قبائل المناصير، والشايقية، والدناقلة التعاون معها لإسقاط حكم الخليفة عبد الله، وقد تعاون البعض منهم مع المخابرات المصرية.(٦٢٩)

تعاون أحمد السني مع المخابرات المصرية والبريطانية:

تعاون بعض قادة الدولة المهدية مع الاستخبارات المصرية، ومن هؤلاء القادة أحمد السني٦٣٠* عامل الخليفة عبد الله على منطقة الجزيرة والمسئول عن توفير الغلال لقوات الملازمية، وذلك عندما وصلت قوات الغزو إلى بربر قام بالكتابة إلى سردار الجيش المصري، وبين له أعداد القوات المتوفرة للدولة المهدية والقوات التي معه وعدد الأسلحة والخيول، وقد تعاون معه في إرسال تلك الرسائل إلى سردار الجيش المصري إدريس الساير، الشخص المسئول عن سجن الساير في أم درمان.(٦٣١)

وقد أعطى أحمد السني الأمان بعد سقوط الدولة المهدية، وكنتيجة طبيعية لتعاونه الاستخباري ضد الدولة المهدية أصبح بعد سقوطها مديراً على ود مدني من قِبَل الحكومة.(٦٣٢)

---

٦٢٩ د. و. م. خ/ مهدية ١/٧ من مساعد هاشم إلى عبد الرحمن النجومي، ٢١ محرم ١٣٠٦هـ، سبتمبر ١٨٨٨م، ص٧.

٦٣٠ د. و. م. خ/ مهدية ٣/١٨/١ من عثمان الدكيم إلى الخليفة عبد الله، ٢٧ صفر ١٣٠٧هـ، سبتمبر ١٨٨٩م، ص٣٠٢.

٦٣١ * أنظر ملحق رقم (١٥) و(١٦).

٦٣٢ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٩/١من أحمد السني إلى سردار الجيش المصري، ٤ جماد أول ١٣١٦هـ، سبتمبر

نرى بأنه لا يوجد سبب يجعل من أحمد السني عميلاً متعاناً مع القوات الغازية مهما تكون الأسباب، حيث كان امامة القتال بشرف دفاعا عن المهدية التى يفترض انه مقتنعا بأفكارها ومشروعها الوطني، أو يختار طريقاً أخر من العداء المعلن للدولة المهدية، ويسوق له من المبررات ما يجعل موقفة وطنياً نزيهاً أما أن يصبح عميلاً حسب الوثائق التى بحوزتنا فهذا أمر غير مبرر ومرفوض.

العمليات التي نفذتها المخابرات البريطانية المصرية:

هروب أوهرولدر:

نجح ونجت باشا مدير المخابرات البريطانية في مصر في تهريب عدد من الأوربيين من أم درمان بالتعاون مع العبابدة وبعض المجموعات الأخرى، ومن هؤلاء الأسرى سلاطين باشا، والأب أوهرولدر وشخص آخر أوربي يدعى روينبولي، وملازم مصري يسمى محمد فني، خططت المخابرات البريطانية إلى تهريب الأب أوهرولدر وذلك بالتنسيق مع رجل من العبابدة يسمى أحمد الحسن ومطران المرسلين النمساويين في القاهرة، وعندما وصل أحمد الحسن إلى أم درمان استغل انشغال الخليفة عبد الله بقمع ثورة الأشراف، وخرج اوهروالدر ومعه راهبتين من راهبات الأبيض في يوم ٢٩ نوفمبر ١٨٩١م وسلك بهم طريق آبار المرات كورسكو حتى مصر، التي وصلها في ٢١ ديسمبر ١٨٩١م.[٦٣٣]

١٨٩٨م ص٢٣٨.

٦٣٣ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٩/١ من أحمد السني إلى سردار الجيش المصري، ٤ جماد أول ١٣١٦هـ،سبتمبر ١٨٩٨م ص٢٣٩.

هروب الملازم محمد فني:

نجحت المخابرات الإنجليزية المصرية في تهريب الملازم المصري محمد فني الذي تم اختطافه بواسطة قوات الحسن محمد خليفة من نقطة البوليس المصري شرق كورسكو، الذي هجم على النقطة وقتل عدداً من رجال البوليس المصري وقام بأسر الملازم محمد فني في ٢٥ فبراير ١٨٨٨م، وعاد بالملازم الأسير إلى أبو حمد، وأرسله إلى الخليفة في أم درمان، الشيء الذي أفرح الخليفة عبد الله كثيراً، وخرج بالملازم الأسير إلى مكان استعراض الجيش، وأقام له عرضة ضخمة ليبين له مدى قوة جيش المهدية، ثم بعد ذلك قام بإرساله إلى القلابات ليشاهد جيش حمدان أبو عنجة، ثم أعاده الخليفة عبد الله إلى أم درمان. وفي عام ١٣٠٦هـ/١٨٨٩م أقام سردار الجيش المصري نقطة من العبابدة المليكاب في آبار المرات تحت قيادة صالح بك خليفة، حيث عملت المخابرات الإنجليزية المصرية مع صالح بك خليفة على تهريب الملازم محمد فني من أم درمان، حيث استطاع العبابدة المليكاب أن ينجحوا في تهريب الملازم الأسير، وإيصاله إلى مصر عن طريق آبار المرات في ٢٤ ديسمبر ١٨٩٢م.[٦٣٤]

هروب الأب روسينيولي:

بعد نجاح عملية هروب أوهرولدر قام ونجت بإرسال شخص آخر من العبابدة إلى أم درمان يسمى عبد الله محمد عمر، الذي أستطع أن يقوم بتهريب

٦٣٤ نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، ....، ص١١٨٢.

روسينيولي من أم درمان ويعبر بهي إلى مصر في ٢٠ أكتوبر ١٨٩٤م. وقد كان الأب روسينيولي قد وقع في الأسر في الأبيض عام ١٨٨٣م.[٦٣٥]

هروب سلاطين باشا:

تمت عملية تهريب سلاطين باشا بالتعاون ما بين الزبير باشا رحمة ورجل من الجعليين يدعى أحمد الفحل[٦٣٦*] وشخص آخر يدعى الصادق عثمان[٦٣٧*] ورجل من الحسانية ومجموعة من العبابدة. وقد قام الزبير باشا رحمة بعرض أحمد الفحل على مدير المخابرات البريطانية في مصر الذي طلب من أحمد الفحل العمل على إحضار سلاطين باشا من أم درمان إلى مصر، حيث أكد ود الفحل لمدير المخابرات بأنّ سلاطين ملازم للخليفة عبد الله ويصعب تدبير هروبه ولكنه سوف يعمل على إنجاز هذه المهمة. وحضر أحمد الفحل من مصر إلى أم درمان وهو محمل بالبضائع وأخذ يبحث عن الفرصة المواتية لتهريب سلاطين، ونجح أخيراً في أن يخرجه من أم درمان وسلمه إلى رجل من الحسانية الذي قام بإرساله إلى بربر حيث سلمه إلى مجموعة من العبابدة، الذين أوصلوا سلاطين حتى أسوان.[٦٣٨]

---

٦٣٥ نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان ،.....، ص ١١٨٤.

٦٣٦ المصدر نفسه، ص١١٠٥-١١٠٦.

٦٣٧ * أحمد الفحل أحد جواسيس المخابرات المصرية، له راتب شهري قدره عشرة جنيهات، وهو من قبيلة الجعليين، وكانت مهمته هروب سلاطين، حيث تحرك أحمد الفحل من القاهرة إلى بربر ومنها إلى أم درمان وكانت هنالك صداقة بين أحمد الفحل والزاكي عثمان عامل الخليفة على بربر وأعطاه الفحل بعض الأموال، وقد سهل الزاكي عثمان عملية هروب سلاطين باشا من أم درمان. أنظر إبراهيم فوزي، مصدر سابق، ج٢، ص٣١٦.

٦٣٨ * الصادق عثمان من سكان بربر وكان من ضمن قوات الباشبوزق، وترك الجندية واحترف التجارة في الظاهر وفي حقيقة الأمر هو جاسوس للمخابرات المصرية، أنظر المصدر نفسه، ص٣١٦.

ولإيضاح عملية الهروب التي نفذت بنجاح، قد خرج أحمد الفحل وسلاطين من أم درمان في يوم ٢٠ فبراير ١٨٩٥م مع مخاصيص في جمال قوية واستطاع أن يعبر النيل بين بربر وأبو حمد حتى وصل أسوان في ١٩ مارس ١٨٩٥م. وبعد أن علم الخليفة عبد الله بهروب سلاطين، قام بالبحث عن الذين ساهموا في هذه العملية، حتى استطاع أن يقبض على أحمد الفحل وصديقه الصادق عثمان، وقام بإرسالهم إلى الرجاف حيث تم قتلهم هناك.[٦٣٩]

وقد كشفت تحقيقات الخليفة عبد الله ن الذين ساهموا في هروب سلاطين أنّ هناك رجلان ساهما في هذه العملية وهما الزاكي كجر من الحسانية وشخص آخر يدعى محمد أحمد العجيل.[٦٤٠]

نجد أنّ عملية تهريب سلاطين من أم درمان كانت منظمة جداً، وقد لعبت الظروف دوراً مهماً في إنجاح هذه العملية، ويمكن أن نقول أنّ هروب سلاطين يعد إخفاقاً كبيراً لاستخبارات الخليفة عبد الله، وهنالك أيضاً هروب أوهرولدر، ورويسنبولي. ورغم اشتراك عدد كبير من الأشخاص في إنجاح عملية الهروب إلا أنّ هناك تنسيق واضح بينهم، ولذا فإنّ خطة هروب سلاطين قد وضعتها المخابرات البريطانية والمصرية، وقام بتنفيذها أحمد الفحل من الجعليين والزاكي كجر من الحسانية، والدور المكمل بقبيلة العبابدة لمعرفتهم بالطرق الواصلة بين مصر والسودان.

٦٣٩ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٢/١ من محمد ود بشارة إلى الخليفة عبد الله، ٣ جماد أول ١٣١٣هـ، أكتوبر ١٨٩٥م، ص١٢٢.

٦٤٠ نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، .....، ص١١٨٤.

بعد أن زادت عمليات الهروب من أم درمان، عمل الخليفة عبد الله على جمع كل الأوربيين والإغريق في أم درمان، وأصدر أمراً بأن لا يتحرك أي أجنبي خارج إطار خور شمبات شمالاً وجنوباً الطابية، وأي شخص أوربي يتخطى هذه الحدود يؤتى بهي حياً أو ميتاً، وشدد الخليفة عبد الله على الإغريق والسوريين واليهود بعدم مغادرة أم درمان لأي سبب من الأسباب.[٦٤١]

٦٤١ د. و. م. خ/ مهدية ١/١٦٨/١ من الزاكي عثمان إلى الخليفة عبد الله، ١٣١٣هـ، ١٨٩٥م،ص٣٠.

المبحث الثاني

الاستخبارات في الشرق

تم تعيين الأمير يونس ود الدكيم من قبل الخليفة عبد الله، أميرا على الجزيرة والقضارف، في عام ١٨٨٦م وقد امضي ود الدكيم عامه الأول في منطقة الجزيرة الذي استمر حتى ينايرعام١٨٨٧م/جماد الأول ١٣٠٤هـ، ولم يمارس الأمير يونس ود الدكيم سلطته على مناطق القضارف والقلابات إلا من خلال الصورة الاسمية فقط(٦٤٢).

اعتمد يونس ود الدكيم في سياسته ضد الأحباش على فتح الطرق التجارية، ومناوشة القوات الحبشية، وجمع المعلومات من داخل الاراضى الحبشية، وإرسال المعلومات إلى الخليفة عبد الله في أم درمان، رغم عدم استقرار الأوضاع السياسية على الحدود بين الحبشة والدولة المهدية، الأأن حركة القبائل الحدودية لم تتوقف، فقد عمل التكارير[٦٤٣*] الذين ينتقلون بين القلابات والمناطق التي يسيطر عليها صالح إدريس المعروف بصالح شنقا على نقل المعلومات إلى الجانب الحبشي ومنة إلى قوات الدولة المهدية، وقد كان الأمير يونس ود الدكيم يرى أن التكارير عملاء للأحباش، وإنهم يستغلون التجارة في نقل المعلومات عن الدولة المهدية إلى الأحباش، ولذلك عمل الأمير يونس ود الدكيم على سجنهم.(٦٤٤)

---

٦٤٢ (Ohrwalderop.cit. p. 476-477.)

٦٤٣ محمد سعيد القدال، المهدية والحبشة، .....، ص٦٠.

٦٤٤ * التكارير، هنالك اختلاف حول معنى الكلمة وتستعمل في منطقة الشرق الأوسط استخداما عاما، ويقصد بها المهاجرين من غرب افر بقيا الذين يأتون عبر طريق الحج، التكارير الموجدين في منطقة

صدرت الأوامر من الخليفة عبد الله إلى يونس ود الدكيم، لكي يشن الحملات على الأحباش، وعلى صالح شنقا تحديدا لأنه يقوم بإرسال جواسيسه إلى داخل الدولة المهدية، ويعمل على نقل تلك المعلومات إلى الأحباش، حاول الأمير يونس ود الدكيم استغلال فصل الخريف لتنفيذ هجوم سريع وخاطف ضد صالح شنقا، وعلمت استخبارات ود الدكيم بان صالح شنقا قد علم بالحملة التي يزمع ود الدكيم إرسالها للقضاء علية، وان صالحاً نفسه قام باستدعاء قبائل المكادة بغرض استباق يونس ود الدكيم بشن هجوم معاكس من داخل الاراضى الحبشية ضد القلابات، بعد وصول هذه الإخبار قرر الأمير يونس ود الدكيم الاستعجال في بإرسال الحملة والقضاء على صالح شنقا، وقد قرر الأمير يونس ود الدكيم الخروج على رأس الحملة، ولكن نصحه كبار الأنصار بعدم المخاطرة، وان يقوم بإرسال شخص أخر من قبله، استطاعت هذه الحملة أن تحقق انتصارا مهما على قولت صالح شنقا وذلك في سنة ١٣٠٤هـ/١٥ يونيو١٨٨٧م .(٦٤٥)

استطاع الأمير يونس ود الدكيم في الفترة من ذو القعدة ١٣٠٤هـ/١٨٨٧م وحتى ربيع ثاني ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٨م، جمع اكبر قدر من المعلومات عن الأحوال داخل الحبشة وتحركاتهم والتحالفات التي تمت بين زعمائهم،

القلابات في شرق السودان، استقروا في هذه المنطقة في القرن ال١٨ الميلادي وذلك بعد عودتهم من مكة، وكانت لهم مشيخة في القلابات تحت زعامة صالح إدريس المعروف بصالح شنقا، وهو الذي كان على زعامة القبيلة عندما قيام المهدية، وقد كانت حرفتهم التجارة بين الحبشة والقلابات ، وكان ولائهم حسب قوة الحكم في كل من الحبشة والسودان، انظر محمد سعيد القدال، المهدية والحبشة، .....، ص ١٢-١٣

٦٤٥ المرجع نفسه، ص٧٠-٧١

وتجمعاتهم ،والعمل على إرسال هذه المعلومات إلى الخليفة عبد الله في امدرمان، الأمر الذي وفر للأنصار معرفة كل كبيره وصغيرة عن الأحباش، وفى نفس الوقت كان الخليفة عبد الله يضع خططه ضد الأحباش على ضوء المعلومات التي ترد إليه من هناك.(٢)

ولزيادة المعلومات الواردة من الجانب الحبشي، استعان الخليفة عبد الله برجل يدعى محمد نور محمود منتاي المصوعي، وهو من أهالي مصوع، وذلك عندما كان في أم درمان، حيث طلب منه الخليفة بأن يعمل لصالحه لكشف أخبار المنطقة الشرقية وأن يهتم بأخبار القوات الإيطالية والأحباش. وعند وصول محمد نور إلى كسلا قام بإرسال عدد من رجاله إلى داخل الأراضي الحبشية، حيث أكدوا له بأنّ الحرب مندلعة بين الأحباش والإيطاليين، وقام برفع تلك الأخبار إلى الخليفة عبد الله.(٣)

استخبارات حمدان أبو عنجة:

عندما تولى حمدان ابوعنجة الإمارة في القلابات بعد الأمير يونس ود الدكيم، اهتم بأمر التجار، وتحديدا التجار النقادية القادمين من الحبشة، الأمر الذي أزعج الخليفة عبد الله، حيث طلب منه الاهتمام بأمر الاستخبارات، وأكد حمدان للخليفة بأنة يبحث عن أهل الثقة لكي يقوم بإرسالهم إلى داخل الاراضى الحبشية، والأمر الذي أدى إلى اهتمام الخليفة عبد الله بإخبار الأحباش رغبته في غزوها بواسطة قوات حمدان ابوعنجة الذي قام بإرسال استخباراته إلى داخل الأراضي الحبشية، بهدف معرفة أخبار القوات الحبشية

وذلك حسب أوامر الخليفة عبد الله، حيث كان حمدان يرسل الطلائع لتنفيذ عدد من المهام الاستخباراتية، وكان التجار الأحباش الذين يعرفون بالمكادية يقومون بمده بالأخبار وكان يقوم بمطابقتها بالأخبار التي ترد إليه من استخباراته خوفاً من التلاعب بهي بواسطة التجار الأحباش.[٦٤٦] وعندما حضر مجموعة من التجار الأحباش – النقادية – إلى القلابات بغرض بيع الذرة للأنصار، قام الأمير عبد الرحيم سالم بسؤالهم عن أخبار بلادهم، فكان ردهم بأنّ التقراي قد تجمعوا حول ملكهم منليك، ولكي يتأكد عبد الرحيم سالم من تلك الأخبار قام بإرسال رجلين ممن يثق بهم إلى داخل الأراضي الحبشية للتأكد من تلك الأخبار.[٢]

وقام حامد علي بإرسال رجل يدعى محمد نور المصري إلى ميناء مصوع في ارتريا لكشف أخبار تحرك القوات الإيطالية والحبشية في تلك المنطقة.[٣]

عمل محمد عثمان أبو قرجة على جمع المعلومات عن القوات الإيطالية المتواجدة في الحبشة واستخدم في ذلك ثلاثة طرق. الطريقة الأولى الاستعانة بالقبائل الحدودية التي تستطيع الدخول إلى الحبشة والخروج منها بكل سهولة ويسر، وعند خروجها من داخل الأراضي الحبشية يتمكن من جمع المعلومات منها، وأمّا الطريقة الثانية فهي تعتمد على إرسال جواسيس من طرفه في هيئة تجار يدخلون إلى داخل الأراضي الحبشية ثم يخرجون وهم

٦٤٦)١) محمد سعيد القدال، المهدية والحبشة ،....، ص ٧٦.

(٢) د.و.م.خ /مهدية ٢/٣٧/٢ من محمد نور محمود منتاي إلى الخليفة عبد الله، ٧ القعدة ١٣٠٥هـ، يوليو ١٨٨٨م ،ص ٣٠.

(٣) محمد سعيد القدال، المهدية والحبشة ،....، ص١٠٥.

محملون بالمعلومات، وأمّا الطريقة الثالثة فهي العمل على جمع المعلومات المتوفرة والعمل على تحليلها، وعلى ضوء تلك المعلومات يكون التحرك بأمر الخليفة عبد الله. وقد أخبر محمد عثمان أبو قرجة الخليفة عبد الله بنيته في إرسال جواسيس من طرفه إلى داخل الأراضي الحبشية حتى مصوع لمعرفة أخبار القوات الإيطالية (... نرسل جواسيس من طرفنا بكيفية البيع والشري يكشفوا لنا الأخبار المتوقعة هناك سرها وعلنها مع الترصد لأحوال ناس النقط بالطريق حد مصوع ويعودوا بالحقيقة...).[٦٤٧]

رصد التحركات الايطالية والحبشية في شرق السودان:

كتب أبو قرجة إلى الخليفة عبد الله بأنه أرسل عدداً من الخيالة لكشف حجم الوجود الإيطالي في منطقة هوشاييت، ووصلت إليه الأخبار بأنّ الإيطاليين أرادوا أن يجعلوا من هذه المنطقة نقطة لهم، ولما علموا بتحرك قوات أبو قرجة إليها تحولوا عنها إلى منطقة أخرى تسمى قاجي، وقاموا بمد التلغراف إليها.[٦٤٨]

٦٤٧ ١)) د.و.م.خ /مهدية ٢٦A/١ /٣ من حمدان ابوعنجة إلى الخليفة عبد الله ،١٠ربيع أخر١٣٠٥هـ , ديسمبر ١٨٨٧م، ص ٥٥.

(٢) د.و.م.خ / مهدية ٢/٤/١ من الزاكى طمل إلى الخليفة عبد الله، ربيع أول ١٣٠٧هـ، أكتوبر ١٨٨٩م، ص ١٣٣.

(٣) د.و.م.خ /مهدية ٢/A٢٦/١ من الخليفة عبد الله إلى حمدان ابوعنجة، ٢١ محرم ١٣٠٦هـ،يناير ١٨٨٩م، ص ٢٢٠.

٦٤٨ د. و. م. خ/ مهدية ٥/١/ ٢ من محمد عثمان أبو قرجة إلى الخليفة عبد الله، ٢١ جماد آخر ١٣٠٨هـ، يناير ١٨٩١م ص١٤٥.

قام أبو قرجة باستخدام الهدندوة وبعض الأنصار الذين معه كجواسيس له وكانوا يتخفون في شكل تجار للحصول على الأخبار من الجانب الإيطالي وتحركاتهم، واستطاعت استخباراته أن تكشف له أنّ هنالك تجمع للقوات الإيطالية في نقطة سنهيت والتجمع في هذه المنطقة كان باتفاق بين بريطانيا وإيطاليا.[٦٤٩]

عندما دخل بعض الأحباش إلى منطقة بني شنقول طلب الخليفة عبد الله، من أحمد السني عامله على الجزيرة أن يبين له كيفية دخول الأحباش إلى هذه المنطقة على أن يكون الأمر سراً، وقام أحمد السني بالكتابة إلى أحمد أبو شوتال شيخ خط الرصيرص جنوب النيل الأزرق لكي يبين له الطريقة التي دخل الأحباش إلى تلك المنطقة والغرض من دخولهم واتبع ذلك بإرسال الهجانة إلى تلك المناطق.[٦٥٠].

٦٤٩ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٥/١ من محمد عثمان أبو قرجة إلى الخليفة عبد الله، ٥ شعبان ١٣٠٨هـ، مارس ١٨٩١م، ص١٥٤.

٦٥٠ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٥/١ من محمد عثمان أبو قرجة إلى الخليفة عبد الله، ٢١ شوال ١٣٠٨هـ، مايو ١٨٩١م، ص١٦١.

المبحث الثالث

البريد والاستحكامات الحربية

تعد وظيفة ساعي البريد أو حامل البريد من الوظائف المهمة في الدولة المهدية، حيث كانت عملية اختيار رجال البريد تتم حسب الولاء للخليفة عبد الله والأمير يعقوب، وعلى حسب التقرب منهم وكسب ثقتهم.[٦٥١]

كان الخليفة عبد الله يتشدد في اختيار الأشخاص الذين يوكل إليهم نقل البريد وقد كتب إلى مساعد قيدوم يطلب منه اختيار من يثق فيهم للعمل في حمل البريد (... سيدي إنّ الإشارة السريعة الصادرة في ٢٥ الماضي، بأنّ الهجانة الذين يحضرون منا لصوب كنز فلاحنا يكونوا من أهل بيتنا خاصةً لحفظهم الأسرار ...).[٦٥٢]

كان البريد يُنقل بواسطة الجمال والخيول للمناطق البعيدة وتستخدم البواخر والجمال التى يستغلها عمال البريد الذين عرفوا بالهجانة، حيث كان عمال البريد يلعبون دوراً مزدوجاً يشتمل على توزيع البريد وتقديم التقارير السرية للخليفة عبد الله عن العمال في الأقاليم المختلفة.[٦٥٣]

كان الخليفة عبد الله يصر على أن تصله مراسلات وافية من الحكام في الأقاليم حيث كانت هنالك رسائل متواصلة بين الخليفة عبد الله وعماله

٦٥١ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٩/١ من أحمد السني إلى الخليفة عبد الله، ١٠ القعدة ١٣١٥هـ، مارس ١٨٩٨م، ص١٩٢.

٦٥٢ حاتم الصديق محمد أحمد، مرجع سابق، ص٦٤.

٦٥٣ د. و. م. خ/ مهدية ٢/١/٣ من مساعد قيدوم إلى الخليفة عبد الله، ١٢ محرم ١٣١٠هـ، ١٨٩٢م، ص١٣٣.

في الأقاليم المختلفة، وقادة المناطق العسكرية، وكانت الأوامر العاجلة وطلب البيانات في حالة تأخر رسائل العمال تُرسل مع مخاصيص، أهل ثقة عند الخليفة .[٦٥٤]

أوكل الخليفة عبد الله أمر الإشراف على البريد في الدولة المهدية لكرار بشير العبادي، الذي كان يعمل في السابق مع الحكم التركي وكيلاً لبريد كردفان.[٦٥٥]

بريد العمالات:

كان البريد في العمالات يشكل بأمر الخليفة عبد الله، ويقسم البريد في العمالات إلى قسمين، الأول اختص بأسرار الأعمال العسكرية للعمال والمراسلات الخاصة بين الخليفة عبد الله وعامله على العمالة، والقسم الثاني اختص بالمكاتبات العامة. وهذه الأقسام في الرسائل تم إدخالها في إدارة الدولة المهدية لخدمة غرضين، الأول أن لا تصل الهزائم العسكرية التي تلحق بقوات المهدية إلى عامة الناس، حيث كانت أخبار المعارك ترسل في صورتين، الصورة الأولى من الخطاب تحمل النصر الدائم لقوات المهدية، وهذه الصورة من الخطاب تقرأ على الأنصار في المسجد، والصورة الثانية تحمل الجانب الحقيقي للمعارك، والغرض الثاني إضفاء السرية على الرسائل الخاصة المرسلة إلى الخليفة عبد الله.[٦٥٦]

---

٦٥٤ يوسف ميخائيل، مصدر سابق، ص١٨١.

٦٥٥ ب. م. هولت، مرجع سابق، ص٢٨١.

٦٥٦ المرجع نفسه، ص٢٨٠.

الاعتناء بخيول البريد:

بلغ عدد الجمال التابعة لمحمود كرار المسئول عن البريد في سنة ١٣١٢هـ/ ١٨٩٥م خمسين جملاً. وقد كان يخصص لنقل البريد أفضل الجمال ويتم اختيار أفضل الرجال لهذه المهمة، وذلك لأنّ رجل البريد يعمل على مراقبة الأقاليم ويقومون برفع التقارير الشفهية للخليفة في أم درمان، عن أحوال الأقاليم والأمراء وعامة أهل الإقليم.[٦٥٧]

وأظهر عثمان آدم عامل الخليفة على دارفور اهتماماً واضحاً بخيول البريد وشدد في الاعتناء بها، وأكد ذلك في خطابه إلى محمد ود بشارة (... هذا خمسة فلاو من الخيول التي كانت بالطويشة فالأمل بعد وصولها تستلموها وتراشوها بمعرفتكم ...).[٦٥٨]وعندما واجه عبد الرحيم سالم ندرة في دواب البريد كتب للأمير يعقوب يطلب منه توفير عدد من الجمال التي تساهم في نقل البريد.[٦٥٩]

شح الورق في الدولة المهدية:

واجهت الدولة المهدية شحاً واضحاً في الورق الذي تُكتب عليه الرسائل والخطابات، حيث كتب عبد الرحيم سالم أبو دقل إلى الأمير يعقوب لكي يمده بالورق للمساهمة بهي في كتابة الخطابات، وقد كان الورق في الدولة المهدية عرضة لعديد من العوامل المناخية مثل الأمطار والرطوبة العالية والحريق في بعض الأوقات.[٦٦٠]

---

٦٥٧ إبراهيم شحاتة حسن، مرجع سابق، ص٣٥٥-٣٥٦.

٦٥٨ محمد إبراهيم أبو سليم، تاريخ مدينة الخرطوم، .....، ص١٠٩.

٦٥٩ د.و.م. خ/ مهدية ١/٣٦/١ من عثمان آدم إلى محمد ود بشارة، ٢٥ رمضان، ١٣٠٧هـ، ابريل ١٨٩٠م ص٢١.

٦٦٠ د.و.م. خ/ مهدية ١/٦/٢ من عبد الرحيم سالم إلى الأمير يعقوب، ٢١ رمضان ١٣١٤هـ، فبراير١٨٩٧م، ص١٨.

وعندما انعدم الورق الذي يستخدم في الرسائل من أمراء المهدية عبد المجيد عنيف ومدني حسين، قاموا بالكتابة إلى الأمير يعقوب بغرض مدهم بكمية من الأوراق، وقد كتبوا قبل ذلك إلى بيت المال ولم يستجب إلى طلبهم، ولذلك حاولوا مرةً أخرى بالكتابة للأمير يعقوب.[٦٦١]

ساهم البريد في ربط أجزاء الدولة المهدية بأم درمان، وأعطى الخليفة عبد الله صورة واضحة لما يدور في العمالات، ولذلك نجده يطلب سماع ساعي البريد قبل استلام الرسائل منه لأنّ من رأى ليس كمن كتبت له رسالة.

التسهيلات التي تقدم لحاملي البريد:

هنالك عدد من التسهيلات التي تقدم لحاملي البريد، منها أنهم كانوا يحملون تصريحاً خاصاً يحث كافة الأنصار بتقديم ما يحتاجون إليه، وأن يتم تبديل دوابهم عندما يطلبون ذلك وقد وجد حاملي البريد عناية خاصة في الدولة المهدية، وكان حاملو البريد قد عملوا على استغلال الصلاحيات التي مُنحت لهم وأخذوا يستولون على الدواب الجيدة من عامة الناس، وحتى دواب بيت المال، ونتيجةً لذلك قام الأمير يعقوب بإيقاف عملية تبديل الدواب التي كانت ممنوحة لعمال البريد، وذلك عندما رأى الاستغلال السيئ لتلك الامتيازات التي أُعطيت لهم، وأصدر أمراً آخر يمنع بموجبه تبديل الدواب من بيت المال، وقد كانت عملية تبديل الدواب من الأهالي سيفاً مسلطاً على رقابهم، وكانوا يتعرضون للعقاب عندما يرفضون تبديل دوابهم.[٦٦٢]

٦٦١ د. و. م. خ/ مهدية ١/٦/٢ من عبد الرحيم سالم إلى الأمير يعقوب، ١١ القعدة ١٣١٤هـ،ابريل ١٨٩٧م، ص٢٨.

٦٦٢ د. و. م. خ/ مهدية ١/٦/٢ من عبد المجيد عنيف ومدني حسين إلى الأمير يعقوب، ٢٢ ربيع أول ١٣١٤هـ،أغسطس ١٨٩٦م، ص٢.

الاستحكامات الحربية:

الطوابي في الدولة المهدية:

شكلت الطوابي على النيل استحكامات حربية فعالة للدولة المهدية، وقد كانت موزعة على النيل، فهناك ثلاث طوابي في منطقة الحفير بالقرب من كرمة، وهي عبارة عن استحكامات تحيط بالمدينة من الجهة المطلة على النيل[٦٦٣]، وهنالك طوابي في المنطقة الواقعة بين بربر ومنطقة الرباطاب قام الأمير محمود ود أحمد بتشييدها قبل دخول الجيش الغازي للمنطقة.[٦٦٤]

وكانت هنالك ١٧ طابية موزعة كالآتي: اثنتان في الخرطوم، وواحدة في منطقة المقرن، وواحدة بالقرب من سرايا الحاكم العام، وطابيتين على الضفة الشرقية للنيل جنوب الحلفايا، وطابية واحدة في الصبابي، وأخرى في شمبات، واثنين في جزيرة توتي، و ١١ طابية في أم درمان، وهنالك أيضاً سبع طوابي في منطقة السبلوقة[٦٦٥]. وقد ساهم جماعة البشير عجب الفية قائد الراية الخضراء في بناء اثنتين من تلك الطوابي التي في السبلوقة، وقد استخدم عبد المجيد عبد الله الشخص الذي كلف من قبل الأمير يعقوب ببناء طوابي السبلوقة بالخرائط في تحديد المكان المناسب لبنائها والشكل النهائي لها.[٦٦٦]

اهتمام الأمير يعقوب بالطوابي:

وجدت الطوابي في الدولة المهدية اهتماماً واضحاً من الأمير يعقوب،

---

٦٦٣ حاتم الصديق محمد أحمد، مرجع سابق، ص٦٥-٦٦.

٦٦٤ نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، ....، ص١٢١٣.

٦٦٥ د. و. م. خ/ مهدية ١/A٩/٢ من محمود ود أحمد إلى الأمير يعقوب، ١٧ ربيع آخر ١٣١٣هـ، سبتمبر ١٨٩٥م، ص١١.

٦٦٦ نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، ....، ص١٢٧٤.

حيث كانت تأتيه الطلبات من عمال الطوابي، وعندما طلب عبد المجيد عبد الله بمده بعدد من الأنصار للمساهمة بهم في إكمال طوابي السبلوقة استجاب الأمير يعقوب لذلك.[٦٦٧]

كانت طوابي السبلوقة تمثل خط الدفاع الأخير لأم درمان، ولهذا نجد الأمير يعقوب قد كرس جهده للاعتناء بها.

اهتم الأمير يعقوب بعدد الأنصار في طوابي السبلوقة، حيث طلب من المجيد عبد الله أن يقوم برفع كشف يحتوي على عدد الأنصار الموجودين في طابية السبلوقة، فكان العدد الكلي للأنصار ٨٧ أنصارياً وهروب اثنين من العدد الكلي.[٦٦٨]

اهتم الأمير يعقوب بصيانة وإصلاح الطوابي، وكان يتابع عملية بنائها وكان الشخص المسئول عن الطوابي الموجودة في الخرطوم يدعى الرشيد كرومه وعندما احتاج الرشيد كرومه إلى بعض المعدات والأدوات المساعدة في عملية بناء الطوابي استجاب الأمير يعقوب لطلبه.[٦٦٩]

دعم الطوابي بالمدافع:

بعد الانتهاء من بناء الطابية يتم تركيب المدفع فيها، وبعد انتهاء عملية التركيب للمدفع يتم تجريبه بإطلاق طلقة واحدة، وقد تم تجريب مدافع

---

٦٦٧ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٦/٢ من عبد المجيد عبد الله إلى الأمير يعقوب، ٧ ربيع آخر ١٣١٥هـ، يوليو١٨٩٧م، ص٦٥.

٦٦٨ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٦٨/٢ من عبد المجيد عبد الله إلى الأمير يعقوب، ١٥ ربيع أول ١٣١٥هـ، يوليو١٨٩٧م، ص٦٢.

٦٦٩ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٦/٢ من عبد المجيد عبد الله إلى الأمير يعقوب، ٢١ ربيع أول ١٣١٥هـ، يوليو ١٨٩٧م، ص٧٦.

طوابي السبلوقة، وتأكد بأنها تعمل بصورة ممتازة[٦٧٠]، ولكن في أواخر أيام الدولة المهدية ولحماية أم درمان طلب الأمير يعقوب من الأمراء عبد الباقي عبد الوكيل وأبا سام أن يقوما بإنزال المدافع الموجودة في طوابي السبلوقة، الأمر الذي لم يوافق عليه عثمان شيخ الدين الذي كانت له رؤية تختلف عن عمه الأمير يعقوب، حيث كان يرى أنّ الحاجة تقتضي إرجاع المدافع الموجودة في السبلوقة لزيادة التحصينات حول المدينة ودعم طوابي أم درمان بمدافع طوابي السبلوقة.[٦٧١]

وكانت طوابي الحفير الثلاثة مزودة كل واحد منها بمدفعين، وقام ود بشارة بربطهم بخندق وساتر ترابي.[٦٧٢]

وأمّا طابية المقرن فقد زودت بمدافع من بيت الأمانة وثلاثة صناديق ذخيرة، تم استلامها بواسطة الرشيد كرومه المسئول عن الطوابي.[٦٧٣]

الاستحكامات الحربية في القلابات:

من الاستحكامات الحربية المهمة التي قامت المهدية ببنائهافي القلابات (حصن القلابات) ويعد هذا الحصن من المظاهر المعمارية المهمة في الدولة المهدية، وقد أمر الخليفة عبد الله، الزاكي طمل ببناء هذا الحصن في جمادى الثانية ١٣٠٧هـ الموافق فبراير ١٨٩٠م، عمل الزاكي طمل على

---

٦٧٠ د. و. م. خ/ مهدية ١/B١٠/٢ من الرشيد كرومه إلى الأمير يعقوب، ٨ رمضان ١٣١٥هـ، يناير ١٨٩٨م، ص٥٣.

٦٧١ د. و. م. خ/ مهدية ٢/٦/٢ من عبد المجيد عبد الله وآخرون إلى الأمير يعقوب، ٧ ربيع آخر ١٣١٥هـ، أغسطس ١٨٩٧م، ص٦٥.

٦٧٢ حاتم الصديق محمد أحمد، مرجع سابق، ص١٠٢.

٦٧٣ نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، ....، ص١٢١١.

استشارة الأنصار الذين لهم معرفة بالبناء، وتم الاتفاق على بناء الحصن حول المدينة القديمة، وقد اعتمد على الحجارة في بنائه بصورة أساسية، يتكون سور القلابات من جزئين داخلي وخارجي ،وعرضة٢٤٠مترا وسمكه متر واحد، وبني السور على ثلاث درجات ،حيث يكون الجنود الذين في الدرجة السفلى جلوسا والجنود الذين في الدرجة الوسطى على ركبيهما، والذين في الدرجة العليا وقوفا، وفى كل صف ٤٨٠ بندقية،وبنيت أربع طوابي في أركان الحصن[٦٧٤]

ساهم حصن القلابات في حماية العوائل والذخيرة، والسوق ومقر أمير الجيش ،واهتم الخليفة عبد الله بتوفير المياه للمدينة، حيث تم حفر بئر داخلي ،وقد اكتمل العمل في الحصن في أواخر عام ١٣٠٧هـ/ منتصف ١٨٩٠م ،وتحولت المدينة إلى نقطة دفاع. [٢]

من الملاحظ أن سور القلابات يشبه من ناحية الغرض سور أم درمان، ونتيجة لوقوع المدينة على الحدود السودانية الحبشية أهتم الخليفة عبد الله بتحصينها،الشى الذي يساهم في انطلاق الحملات منها إلى داخل مناطق الأحباش.

السيطرة على طوابي الدولة المهدية:

بعد أن وصلت بواخر القوات الإنجليزية المصرية منطقة العجيجة شمال أم درمان، أصدر كتشنر أوامره إلى البواخر وقوات المشاة بالسيطرة على طوابي الدولة المهدية، وأوكل إلى الضابط البريطاني استيورت السيطرة

٦٧٤ د. و. م. خ/ مهدية ١/B١٠/٢ من الرشيد كرومه إلى الأمير يعقوب، ٢٢ ربيع أول ١٣١٦هـ،١٩ أغسطس ١٨٩٨م، ص٧٩.

على طابيتي الحلفايا وشمبات الذي استطاع السيطرة على طابية الحلفايا، وعند وصوله إلى شمال بحري علم بأنّ طابيتها عليها أمير من الجعليين يدعى محمد فايت ومعه عشرون رجلاً من الجعليين وبعض الطوبجية المصريين ومدفع واحد، وعلى طابية الصبابي أمير من التعايشة يدعى غالي جودة معه عشرون رجلاً من التعايشة والجهادية. وأصدر استيورت أوامره إلى الشيخ إبراهيم فرح زعيم الجعليين بالتحرك نحو طابيتي الصبابي وشمبات والسيطرة عليهما، وأصدر كذلك أمراً إلى ميسرة الزبير باشا رحمة والطاهر العبيد بمهاجمة طابية الصبابي من جهة الجنوب، وأمّا استيورت وقوات من العبابدة فقد هاجموا الطابية من الشمال ،أستطاع الشيخ إبراهيم فرح أن يصل حتى طابية شمبات، وأن يعطي أميرها الأمان، الذي سلم له ثم تقدم نحو طابية الصبابي وسيطر عليها بالقوة. لقد دعمت البواخر التابعة لقوات الغزو الإنجليزي المصري، قوات المشاة في السيطرة على الطوابي الموجودة في توتي وشمبات والصبابي حتى وصلت إلى الخرطوم وسيطرت على طوابي أم درمان.[٦٧٥]

---

٦٧٥ محمد سعيد القدال، المهدية والحبشة، ....، ص ١٤٠.
المرجع نفسه، ص١٤١.

الخاتمـــة

تنبهت الثورة المهدية منذ بدايتها لأهمية الجيش باعتباره خط الدفاع الأول عن الثورة، وقد اقتضت مراحل الثورة الأولى أن يتخذ الجيش طابعاً ثورياً لخدمة أهداف الثورة .

وبالتدرج بدا جيش المهدية يأخذ سمته وطابعة المميز المستمد من الإسلام والنظم العسكرية الحديثة المتوارثة في السودان.

وبدا الجيش يأخذ طابعة النظامي منذ معركة قدير، وبعد تحرير الأبيض اكتمل تنظيم الجيش في شكل رايات وتنظيمات فظهرت الراية الزرقاء اكبر رايات جيش المهدية والراية الخضراء والراية الحمراء ،وبداء تنظيم الجهادية يتبلور كقوة ضاربة مسلحة بأسلحة حديثة، في تجربة تشبه تجربة الانكشارية في الدولة العثمانية، وعلى وجه الإجمال يمكننا القول أن مراحل الثورة الأولى من عمر المهدية كانت بداية تكوين جيش نظامي على أسس حربية حديثة .

اكتمل شكل الجيش في شكله النهائي في عهد الخليفة عبد الله التعايشي، الذي تنبه إلى أهمية وجود جيش قوى لحماية دولته الوليدة، ولذلك عمل الخليفة عبد الله تكون جيش عقائدياً يستمد نظمه من عقيدة المهدية، والولاء لها وللخليفة عبد الله التعايشي، وأن يكون مخلصاً له كقائد أعلى . ولهذا قام بإجراء تعديلات جوهرية على مستوى الرايات حيث قام بدمج الراية الحمراء والخضراء اللتان لعبتا دوراً مهما في الذود عن حياض المهدية في الراية الزرقاء بغرض إبقاء كل الجيش تحت إشرافه وسيطرة اخية الأمير يعقوب

القائد العام للجيش، ومن هنا جأت فكرة جعل الراية الزرقاء راية محورية، ذات قوة ضاربة ،وخالصة لأصحاب الولاء وتم منحها الامتيازات على حساب الآخرين .

عمل الخليفة عبد الله على تطوير البيئة العسكرية وفقا للنظم العسكرية السائدة في ذلك الوقت، فنجدة اتجه إلى تسليح جيشه بأحدث الأسلحة، وتوفير المعدات والذخائر، والاهتمام بالتصنيع الحربي، وتنويع مصادر الأسلحة لردع الأعداء، كذلك ابقي الخليفة عبد الله على قوات الجهادية كقوة ضاربة وسريعة، واستحدث قوات الملازمية (حرس الخليفة الخاص) بفروعها المختلفة.

من إشراقات الخليفة عبد الله استشعاره لأهمية المخابرات ودورها في تامين الوطن من الأعداء والجواسيس، حيث اتجه إلى استقطاب بعض العناصر من القبائل الحدودية ليكونوا مصدرا لاستخباراته ومعلوماته في كل من مصر والحبشة، وكذلك بث العديد من العناصر والجواسيس في داخل الدولة المهدية ليصبحوا مصدراً لجهاز أمنه الداخلي لمراقبة العملات والأمراء وعامة الناس، ومتابعة الذين يشك الخليفة عبد الله في ولائهم .

حققت استخبارات الخليفة بعض النجاحات الداخلية والخارجية، ولكن كان هنالك بعض الإخفاق، حيث استطاعت المخابرات الانجليزية المصرية أن تنفيذ بعض العمليات الناجحة داخل عمق الدولة المهدية، ونجدها قد نجحت في تهريب سلاطين باشا و الأب اوهروالدر وآخرين .

ومما يلفت النظر اهتمام الخليفة عبدا لله بتطوير التصنيع الحربي

في الدولة المهدية، وبذله للجهد لقيام صناعة حربية وطنية لمواجهة الحظر المفروض علية من الخارج، وفى هذا الصدد بذل الخليفة عبد الله مجهودات كبيرة لتوفير الذخيرة والبارود من داخل السودان و من خارجة عن طريق التهريب،من الحجاز والحبشة ومصر، وعمل على استنفار الأمراء والقادة وبيوت المال لتوفير هذه المواد، واتجه إلى استخراج البارود من غرب السودان والكاملين الحلفايا وتوتي،وقام بإنشاء مصنع للذخيرة في امدرمان، واتجه إلى الاستفادة من خبرة المصريين والأوربيين الذين وقعوا في قبضة الدولة المهدية في مجال تصنيع واختراع البارود.

ولربط أجزاء الدولة المهدية شمالا وجنوبًا وشرقًا وغربًا، اتجه إلى تطوير نظام البريد والاهتمام بهي من خلال توفير الدواب والعناية بها، واختيار العناصر الممتازة التى تتطلع بمهمة نقل وحفظ البريد والمعلومات.

واستشعاراً من الخليفة عبد الله بأهمية و استقرار المؤسسة العسكرية عمل على تلبية كل حاجيات الجيش، وتوفير كل متطلباته ومخصصاته، من خلال إنشاء بيوت مال متخصصة بالملازمين، والجهادية، وبيت المال المركزي في امدرمان الذي خصص جل دخله للقوات المنضوية تحت لواء الراية الزرقاء.

وكذلك أن المهدية قد ارتكزت على الجيش واولتة جل اهتمامها، وأهملت المجالات الأخرى المهمة في الدولة مثل التعليم والتجارة والصناعة.

التوصيات :

يرى الباحث أن موضع الجيش في المهدية مازال في حاجة إلى المزيد من البحث والتنقيب ودراسة هذا الموضوع من جوانب أخرى تساهم في تسليط الضوء على هذه المؤسسة الكبيرة في الدولة المهدية.

كما أن هنالك العديد من المواضيع في تاريخ المهدية العسكري لم تجد حظها من الدراسة والتقصي والتحليل بالصورة المثلى، مثل نظام الاستخبارات في المهدية، والتصنيع الحربي، والبريد والاستحكامات الحربية.

ورغم الكتابات التى تصنف بأنها كثيرة في تاريخ المهدية، يري الباحث بأنها لم تغطى معظم جوانب المهدية التى شغلت الناس في داخل السودان وخارجة خلال سنين حكمها.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: - المصادر:

أ- الوثائق :

١- د.و.م.خ/مهدية ١/٢/٢٥ من الخليفة عبد الله إلى حمدان ابو عنجه.

٢- د.و.م.خ/مهدية ١/٢/٦٨ من الخليفة عبد الله إلى حمدان ابو عنجه.

٣- د.و.م.خ/مهدية ١/١/٤١ من الخليفة عبد الله إلى أولاد العبيد ودبدر.

٤- د.و.م.خ/مهدية ١/A٢٦/٢ من الخليفة عبد الله إلى حمدان ابوعنجه.

٥- د.و.م.خ/مهدية ١/A٢٦/١ من الخليفة عبد الله إلى حمدان ابوعنجه

٦- د.و.م.خ/مهدية ١/A٤٤/١ من الخليفة عبد الله إلى سليمان النويرى

٧- د.و.م.خ/مهدية ١/١/١٢ من الخليفة عبد الله إلى عثمان ادم

٨- د.و.م.خ / مهدية ١/A١٤/١ من محمود ود احمد إلى الخليفة عبد الله

٩- د.و.م.خ/ مهدية ١/٢/٢٥ من الخليفة عبد الله إلى حمدان ابوعنجه

١٠- د.و.م.خ/مهدية ١/٢/١٩ من الصالح حماد إلى الخليفة عبد الله

١١- د.و.م.خ/مهدية ١/٣/١ من عبد الرحمن النجوم و محمد عثمان ابوقرجه إلى محمد خالد زقل

١٢- د.و.م.خ/مهدية ١/٢/٦ من حامد إدريس إلى الخليفة عبد الله

١٣- د.و.م.خ/مهدية ١/٢/٥ من محمد عثمان ابوقرجه إلى الخليفة عبد الله

١٤- د.و.م.خ/مهدية ١/٣/٣٢ من عربي دفع الله إلى الخليفة عبد الله

١٥- د.و.م.خ/مهدية ١/١ من عبد الرحمن النجومي إلى الخليفة عبد الله

١٦- د.و.م.خ/مهدية١/٣٧/٢ من محمد ود بشرة إلى حمودة إدريس

١٧- د.و.م.خ/مهدية١/٣٦/١ من عثمان ادم إلى عموم الأنصار بالسرية الغربية

١٨- د.و.م.خ/مهدية ١/١٨/٣ من عثمان الدكيم إلى الخليفة عبد الله

١٩- د.و.م.خ/مهدية ١/٤٤/A١ بيانات مقاتلين

٢٠- د.و.م.خ/مهدية ١/٤/٢ من الزاكي طمل إلى الخليفة عبد الله

٢١- د.و.م.خ/مهدية ١/٣٢/١ من إبراهيم الخليل إلى الخليفة عبد الله

٢٢- د.و.م.خ/مهدية ١/٩/١ من احمد السني إلى الخليفة عبد الله

٢٣- د.و.م.خ/مهدية ١/٣٢/١ من إبراهيم الخليل إلى محمود ود احمد

٢٤- د.و.م.خ/مهدية ١/ A٢٦/٣ من حمدان ابوعنجة إلى الخليفة عبد الله

٢٥- د.و.م.خ/مهدية ١/١٨/٢ من عثمان الدكيم إلى الخليفة عبد الله

٢٦- د.و.م.خ/مهدي ١/٩/١ من احمد السني إلى الأمير يعقوب

٢٧- د.و.م.خ/مهدية ١/١٨/٣ من عثمان الدكيم إلى الخليفة عبد الله

٢٨- د.و.م.خ/مهدية ١/B١٩/٣ من الصالح حمد إلى الخليفة عبد الله

٢٩- د.و.م.خ/مهدية ١/٣٦/٢ من محمود ود احمد إلى محمد ود بشاري

٣٠- د.و.م.خ/مهدية ١/A١٠/٢ من إدريس عثمان محمد كرار إلى الأمير يعقوب

٣١- د.و.م.خ/مهدية١/A١٢/١ من عثمان ادم إلى الخليفة عبد الله

٣٢- د.و.م.خ/مهدية ١/٣٢/٣ من عربي دفع الله إلى الخليفة عبد الله

٣٣- د.و.م.خ/مهدية ١/A١٩/١ من النور إبراهيم الجريفاوى إلى الخليفة عبد الله

٣٤- د.و.م.خ/مهدية ١/٩/٢ من احمد السني إلى الأمير يعقوب

٣٥- د.و.م.خ/مهدية ٢/A١/١ من عثمان صالح إلى الأمير يعقوب

٣٦- د.و.م.خ/مهدية ١/A١٩/١ من النور إبراهيم إلى الخليفة عبد الله التعاشى

٣٧- د.و.م.خ/مهدية١/A١٢/١ من عثمان ادم إلى الخليفة عبد الله

٣٨- د.و.م.خ/مهدية١/٣/١٢/١ من عثمان ادم إلى الخليفة عبد الله

٣٩- د.و.م.خ/مهدية ٢/B١٢/١ من عثمان ادم إلى الخليفة عبد الله

٤٠- د.و.م.خ/ مهدية ٤/١٧B/١ من محمود ود احمد إلى محمد الزاكى عثمان.

٤١- د.و.م.خ/مهدية ٢/B١٠/١ من قمر الدين عبد الجبار إلى الأمير يعقوب

٤٢- د.و.م.خ/مهدية٣/٢٦A/١ من حمدان ابوعنجة إلى الخليفة عبد الله .

٤٣- د.و.م.خ / مهدية ١/ ١٢A/ ٢ من عثمان ادم إلي الخليفة عبد الله

٤٤- د.و.م.خ / مهدية ١/ ١٠ A/ ٢ من قمر الدين عبد الجبار إلي الأمير يعقوب

٤٥- د.و.م.خ/ مهدية ١/A١٠ /٢ من قمر الدين عبد الجبار إلي الأمير يعقوب

٤٦- د.و.م.خ / مهدية ٢/١٨/١ من عثمان الدكيم إلي الخليفة عبد الله

٤٧- د.و.م.خ / مهدية ١/١٨/ ٣من عثمان الدكيم إلي الخليفة عبد الله

٤٨- د.و.م.خ / مهدية ١/٢/١ من محمد ود بشارة إلي الخليفة عبد الله

٤٩- د.و.م.خ / مهدية ٣/١/١ من عبد الرحمن النجومي إلي حمدان ابو

عنجة

٥٠- د.و.م.خ / مهدية ٣/١٨/١ من عثمان الدكيم إلي الخليفة عبد الله

٥١- د.و.م.خ / مهدية ٢/٢/١ من محمد ودبشارة إلي الخليفة عبد الله

٥٢- د.و.م.خ / مهدية ١٦A/١/ ١ من الزاكي عثمان إلي الخليفة عبد الله

٥٣- د.و.م.خ / مهدية ١٢/١/ ١ من محمد ود بشارة إلي الخليفة عبد الله

٥٤- د.و.م.خ / مهدية ١/ ٢/٥ من محمد عثمان ابو قرجة إلي الخليفة عبد الله

٥٥- د.و.م.خ/ مهدية ٢/٩/١ من احمد السني إلي الخليفة عبد الله

٥٦- د.و.م.خ / مهدية ٢/١٩/١ بيان جهادية فارين من امدرمان

٥٧- د.و.م.خ/مهدية ٢/٣٧/٢ من محمد البرناوى إلى الخليفة عبد الله

٥٨- د.و.م.خ/مهدية ٢/٩/٢ من احمد السني إلى الخليفة عبد الله

٥٩- د.و.م.خ/مهدية ١/١١/٢ من الشريف حميدان إلى الأمير يعقوب

٦٠- د.و.م.خ/مهدية A٩/٢/١ من محمود ود احمد إلى الأمير يعقوب

٦١- د.و.م.خ/مهدية B/٢ ١/٧ من احمد السني إلى الأمير يعقوب

٦٢- د.و.م.خ/مهدية ١/٤٨/٢ كشف يحتوى بيان موجودات الأمير إبراهيم الخليل

٦٣- د.و.م.خ/ مهدية ١/١٨/٢ من الطاهر عربي إلى الخليفة عبد الله

٦٤- د.و.م.خ/مهدية ٣/١/٢ من الخليفة عبد الله إلى عثمان ادم

٦٥- د.و.م.خ/مهدية ٢/٦٢/٢ من الخليفة عبدا لله إلى محمود ود احمد

٦٦- د.و.م.خ/مهدية ١/٣٣/٢ من الأمير يعقوب إلى محمد ود احمد

٦٧- د.و.م.خ/مهدية ٢/٣٣/٢ من الأمير يعقوب إلى محمود ود احمد
٦٨- د.و.م.خ/مهدية ٢/٦/٢ من عبد القادر الوكيل إلى الأمير يعقوب
٦٩- د.و.م.خ/مهدية ٢/١١/١ من يونس الدكيم إلى الأمير يعقوب
٧٠- د.و.م.خ/مهدية ٢/B١٢/١ من جاد الله بيلو إلى الأمير يعقوب
٧١- د.و.م.خ/مهدية٢/١١/١ من الشريف حميدان إلى الأمير يعقوب
٧٢- د.و.م.خ/مهدية٢/١٠B/٢ من الرشيد كرومه إلى الأمير يعقوب
٧٣- د.و.م.خ/مهدية٢/٦/١ من عبد الرحيم سالم ابو دقل إلى الأمير يعقوب
٧٤- د.و.م.خ/مهدية٢/٣٣/٢ من الأمير يعقوب إلى محمود ود احمد
٧٥- د.و.م.خ/مهدية ٢/٦/١ من أبا سام إلى الأمير يعقوب .
٧٦- د. و.م.خ/ مهدية ٢/ ١٠B/ ١ من محمد اسحق إلي الأمير يعقوب
٧٧- د. و.م.خ/ مهدية ٢/ ١٠A/ ٢ من قمر الدين عبد الجبار إلي الأمير يعقوب
٧٨- د. و.م.خ/ مهدية ٢/ ٨/ ١ من خليل حسين إلي الأمير يعقوب
٧٩- د.و.م.خ / مهدية ٢/ ٦٣/١ من النور إبراهيم الجريفاوي إلي الأمير يعقوب
٨٠- د.و.م.خ / مهدية ٢/ ١٠A/ ١من قمر الدين عبد الجبار إلي الأمير يعقوب
٨١- د.و.م.خ / مهدية ٢/٣٩/٢ من محمد عبد العال إلي النور عز الدين
٨٢- د.و.م.خ / مهدية ٢/٧/١ من احمد فضيل إلي الأمير يعقوب
٨٣- د.و.م.خ/ مهدية ٢/٦/٤ من عبد الباقي عبد الوكيل إلي الأمير يعقوب

٨٤- د.و.م.خ/ مهدية ٣/٦/٢ من عبد الباقي عبد الوكيل إلي الأمير يعقوب

٨٥- د.و.م.خ / مهدية ٢/٣٧/٢ من محمد نور محمد إلي الخليفة عبد الله

٨٦- د..م.خ / مهدية A/٢ ٩ / ١ من محمود ود احمد إلي الأمير يعقوب

٨٧- د.و.م.خ / مهدية ٢/ ٢/٦A من عبد المجيد عبد الله إلي الأمير يعقوب

٨٨- د.و.م.خ / مهدية ٢/٨A/٢ من إبراهيم الخليل إلي الأمير يعقوب

٨٩- د.و.م.خ/مهدية ٣/٤٧/٣ بيان رايات الأنصار التى بالجزيرة والشرق

٩٠- د.و.م.خ/ مهدية ١/١٨/٣ من خاطر حميدان إلى الخليفة عبد الله

٩١- د.و.م.خ/مهدية ١/٥/٣ من الخليفة عبد الله إلى إبراهيم عدلان

٩٢- د.و.م.خ/مهدية ١/٨٦/٣ من الخليفة عبد الله إلى حمدان ابو عنجه.

٩٣- د.و.م.خ/مهدية ١/٥/٣ من الخليفة عبد الله إلى عوض الكريم عيسى زايد.

٩٤- د.و.م.خ/مهدية ٧/٢/٣ من الخليفة عبد الله إلى الطيب الطاهر.

٩٥- د.و.م.خ/مهدية ٣/١/٣ من الخليفة عبد الله إلى عبد الرحمن النجومي ومحمد عثمان ابو فرجه.

٩٦- د.و.م.خ/مهدية ٢/١٠/٣ من الصالح حماد إلى الأمير يعقوب

٩٧- د.و.م.خ/مهدية ٢٢/٦/٣ من محمد عثمان ابو قرجة إلى الخليفة عبد الله

٩٨- د. و.م.خ/ مهدية ٣/ ٢/١٠ من الصالح حما دالي الأمير يعقوب

٩٩- د.و.م.خ /مهدية B/٣ ١٠/ ١ من محمد اسحق إلي الأمير يعقوب

١٠٠- د.و.م.خ/ مهدية ٣/ ١٩A/ ١ من النور إبراهيم الجريفاوي إلي الخليفة عبد الله

١٠١- د.و.م.خ / مهدية ٣/٦٣/ ١ من خليل حسين إلي النور إبراهيم الجريفاوي

١٠٢- د.و.م.خ / مهدية ٢/١/٣ من المساعد قيدوم إلي الخليفة عبد الله

١٠٣- د.و.م.خ / مهدية ٣/٤ من الحسن سعد العبادي إلي الزاكي طمل

١٠٤- د.و.م.خ/مهدية ٤٨/١٣/٥ كشف حسابات بيت المال المركزي

١٠٥- د.و.م.خ / مهدية ١/٦/ ٢ ترسانة الخرطوم

١٠٦- د.و.م.خ/مهدية ١/٧ من محمد احمد المهدي إلى غردون باشا.

١٠٧- د.و.م.خ/مهدية ١٠/٣/٧ بيان موارد بيت المال

١٠٨- د.و.م.خ/مهدية ١٠/٣/٧ بيان منصرفات بيت المال

١٠٩- د.و.م.خ/مهدية٩/٢/٧ منصرفات بيت المال

١١٠- د.و.م.خ/ مهدية ٤/١/٨ من احمد سليمان إلى محمد احمد المهدي.

١١١- د.و.م.خ/ مهدية ١/١/٨ من محمد احمد المهدي إلى كافة الخلفاء والأنصار.

١١٢- د.و.م.خ/مهدية ٣/٣٢/١١ من محمد كركساوي إلى الخليفة عبد الله

١١٣- د.و.م.خ/مهدية٤٦/١٢/٢٥ من احمد فضل المولى إلى الخليفة عبد الله

ب- الكتب :

١١٤- إبراهيم فوزي، السودان بين يدي غردون وكتشنر، (جزئيين)، مطبعة جريدة المؤيد، القاهرة، ١٣١٩هـ

١١٥- عبد القادر الكردفاني، سعادة المستهدى بسيرة الإمام المهدي، تحقيق، محمد إبراهيم ابوسليم، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٢م

١١٦- سلاطين، السيف والنار في السودان، ترجمة، محمد المصطفى حسن، دار عزة للطباعة والنشر، الخرطوم، ٢٠٠٨م .

١١٧- نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، دار عزة للطباعة و النشر، الخرطوم، ٢٠٠٧م

١١٨- ونستون تشرشل، حرب النهر، تاريخ الثورة المهدية والاحتلال البريطاني للسودان، ترجمة عز الدين محمود، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٦م.

١١٩- يوسف ميخائيل، التركية والمهدية والحكم الثنائي، شاهد عيان، تحقيق، أحمد إبراهيم ابوشوك، مركز عبد الكريم ميرغني، امدرمان ٢٠٠٤م

ج – الرسائل العلمية :

١٢٠- نهلة مبارك فوراوي، الخليفة محمد شريف بن السيد حامد، (١٨٧٠–١٨٩٩)، سيرة ذاتية ودورة في المهدية، رسالة ماجستير غير منشورة، شعبة التاريخ، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، ١٩٩٣م.

ثانياً المراجع :

أ/ العربية :

١٢١- إبراهيم شحاتة حسن، إمارة الإسلام المهدية في السودان، دار القومية العربية للثقافة، بيروت، (ب، ت).

١٢٢- أحمد احمد سيد احمد، تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصري، (١٨٢٠–١٨٨٥م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م.

١٢٣- إخلاص على محمد على، الأمير عثمان (جانو) ودورة في بناء المهدية، (١٨٨١– ١٨٩٠م)، الناشر دار عزة للطباعة والنشر، الخرطوم، ٢٠٠٥م.

١٢٤- بشير كوكو حميدة، صفحات من التركية والمهدية، دار الإرشاد، الخرطوم، (ب.ت).
١٢٥- ب.م هولت، المهدية في السودان، ترجمة، جميل عبيد، دار الفكر العربي، بيروت ،١٩٨٢م.
١٢٦- تاج السر عثمان الحاج، التاريخ الاجتماعي لفترة الحكم التركي، (١٨٢١-١٨٨٥)، مركز عبد الكريم ميرغني، امدرمان، ٢٠٠٤م.
١٢٧- حاتم الصديق محمد أحمد، دور الأمير يعقوب في المهدية ،(١٨٨١-١٨٩٨)، الدار العربية للموسوعات ،بيروت، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
١٢٨- حسن احمد إبراهيم، محمد على في السودان، دراسة لأهداف الفتح التركي، دار التأليف والترجمة، جامعة الخرطوم، (ب.ت).
١٢٩- حسين سيد احمد المفتى، تطور نظام القضاء في السودان، ج١، (ب.د)، ١٣٧٨هـ،١٩٥٩م.
١٣٠- زاهر رياض، السودان منذ الفتح المصري و حتى الاستغلال، (١٨٢١-١٩٥٣)، القاهرة ، (ب.ت).
١٣١- سليمان محمد سليمان، الذاكي طمل، (ب.د)، ١٩٥٥م.
١٣٢- سيرجى سمر نوف، دولة المهدية من وجهت نظر مؤرخ سوفيتي، ترجمة، هنري رياض، دار الجيل بيروت، ١٩٩٤م.
١٣٣- صلاح محي الدين، مهر الدم، المعارك والمقاومة الوطنية منذ العام ١٨٨١م، مطبعة جامعة الخرطوم، (ب.ت).
١٣٤- ضرار صالح ضرار، تاريخ السودان الحديث، ط٤، منشورات مكتبة الحياة،

بيروت، ١٩٦٨م.

١٣٥- عبد الله حسين، السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية، المطبعة الرحمانية، القاهرة، ١٩٣٥م.

١٣٦- عبد الله محمد أحمد، جهاد في سبيل الله، المطبعة الحكومية، الخرطوم، (ب.ت)

١٣٧- عبد المحمود أبو شامة، معارك المهدية من أبا إلى تسلهاى، المطبعة العسكرية، أم درمان ،١٩٨٧م.

١٣٨- عبد الودود شلبي، الأصول الفكرية لحركة المهدي السوداني ودعوته، كلية الآداب، القاهرة ،٢٠٠١م.

١٣٩- عبد الوهاب احمد عبد الوهاب، توشكي، دراسة تاريخية لحملة عبد الرحمن النجومي على مصر، دار جامعة الخرطوم للنشر، ١٩٧٩م .

١٤٠- عزام ابوبكر الطيب، العلاقة بين الخليفة عبد الله وقبائل السودان، (١٨٨٥- ١٨٩٨) ،الناشر، المطبعة القومية للثقافة و الفنون، مطبعة جامعة الخرطوم، ١٩٩٢م.

١٤١- عصمت حسن زلفو، كرري، تحليل عسكري لمعركة أم درمان، مطبعة التمدن، الخرطوم ،١٩٧٣م.

١٤٢- شيكان، تحليل عسكري لحملة الجنرال هكس، ط٢، شركة كرري للطباعة والنشر، المطبعة العسكرية سابقا، امدرمان، ١٩٨٤م.

١٤٣- على محمد بركات، السياسة البريطانية واسترداد السودان، (١٨٨٩-١٨٩٩م)، المطبعة المصرية للكتاب، المكتبة العربية، القاهرة، ١٩٧٧م.

١٤٤- على محمد على، القضاء في دولة المهدية، مركز الدراسات السودانية، القاهرة، ٢٠٠٢م.

١٤٥- فضل الله على فضل الله، العبور بالعودة إلى الجذور، دراسة في السلوك التنظيمي للدولة المهدية، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ٢٠٠١م.

١٤٦- محمد إبراهيم أبو سليم، مفهوم الخلافة وولاية العهد في المهدية، (ب.د)، (ب.ت).

١٤٧- منشورات الإمام المهدي، دار الجيل، بيروت، ١٩٦٩م.

١٤٨- الأرض في المهدية، الناشر شعبة أبحاث السودان، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، كراسة رقم (٥) مطبعة التمدن الخرطوم، ١٩٧٠م.

١٤٩- تاريخ مدينة الخرطوم، ط٢ ،دار الجيل بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م .

١٥٠- محمد رفعت رمضان، وثائق الأورطة المصرية السودانية في الكنغو، مطبعة البستان العربي، القاهرة، ١٩٦٣م.

١٥١- محمد سعيد القدال، السياسة الاقتصادية للدولة المهدية، مصادرها وتطبيقاتها، (١٨٨٠- ١٨٨٩)، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.

١٥٢- المهدية والحبشة، دراسة في السياسة الداخلية والخارجية للدولة المهدية، (١٨٨١- ١٨٩٨م)، دار الجيل، بيروت، ١٣١٢هـ- ١٩٩٢م.

١٥٣- الإمام محمد بن عبد الله، (١٨٤٤- ١٨٨٥)، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٤م.

١٥٤- محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث، (١٨٢٠- ١٩٥٥م)، الناشر، مركز عبد الكريم ميرغني، امدرمان، ط٢، مطبعة دار مصحف أفريقيا،

الخرطوم، ٢٠٠٢م.
١٥٥- محمد عمر باشري، معالم الحركة الوطنية في السودان، المكتبة الثقافية، بيروت، ١٩٩٦م.
١٥٦- محمد عوض محمد، السودان الشمالي، سكانه وقبائله،ط٢، لجنة التأليف والنشر، القاهرة ،١٩٥٦م.
١٥٧- محمد فواد شكري، الحكم المصري في السودان، (١٨٢٠- ١٨٨٥)، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٤٧م.
١٥٨- مصر والسودان، تاريخ وحدة وادي النيل السياسي في القرن التاسع عشر ،(١٨٢٠- ١٨٩٩م)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨م.
١٥٩- محمد محمد البيلي يونس، الاستخبارات في غزوات الرسول صلى الله علية وسلم، مكتبة السندس، الكويت،١٩٩٥م.
مكي شبيكة، السودان في قرن، ط٢، القاهرة، ١٩٥٧م.
١٦٠- السودان والثورة المهدية، من أبا إلى حصار الخرطوم، ج١،دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر والترجمة، ١٩٧٨م.
١٦١- السودان عبر القرون، ط٢، دار الجيل بيروت، ١٩٩١م.
١٦٢- ميمونة ميرغني حمزة، حصار وسقوط الخرطوم، دار النشر والترجمة، جامعة الخرطوم، ١٩٧٢م.

المجلات :

١٦٣- مجلة الدراسات السودانية، مجلة نصف شهرية، يصدرها معد الدراسات الأفريقية والأسيوية، شعبة أبحاث السودان سابقا، جامعة الخرطوم، العدد

الأول ،مج٤، ١٩٧٣.

١٦٤- مجلة الخرطوم، عدد يونيو، دار الصحافة للنشر، الخرطوم، ١٩٧٢م.

١٦٥- مجلة المتحف الحربي، إصدارة دورية متخصصة، العدد ٢٤، السنة الرابعة، ٢٠٠٤م.

ب/ **الأجنبية :**

166- Fergus Nicoll, the Sword of the Prophet.(London, 2009)

167- Hill, R, Bioqraphical, Dietianary of the Anqlo-Equptin Sudan (London, 1893)

168- Ohrwalder.J. Ten Years Captivity in the Mahadist Camp (London, 1893)

169- Robin Neillands. The Dervish wars (London, 2002)

170- Wenqet, Mohdism and the Eqution & Sudan (London, 1968)

١٧١- نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، ص١٢٧٥-١٢٧٦.

القارىء الكريم:

سلسلة الدراسات التاريخية هي مجموعة من الدراسات والبحوث العلمية الرصينة الهادفة، عملت دار آريثيريا للنشر والتوزيع على تبنيها والاهتمام بها ونشرها بالشراكة مع مجلة القلزم للدراسات التوثيقية.. خدمةً للبحث العلمي في مجال الدراسات والبحوث التوثيقية.

القارئ الكريم:

تثمن دار آريثيريا للنشر والتوزيع المجهودات العلمية لجميع المفكرين والمختصين والباحثين من مختلف الدول العربية وخارجها، وتؤكد بأنها سوف تعمل بكل جد واجتهاد على توسيع قاعدة النشر العلمي وإتاحته عبر الدار وشركائها، لنشر البحوث التي تسهم في رفد المكتبة العربية والعالمية بالجديد المفيد.

القارئ الكريم:

العالم اليوم يؤمن بالعمل الجاد والبحوث العلمية الرصينة ذات المردود الإيجابي على الفرد والمجتمع، ومن خلال هذا المحور نعمل دائما - بحول الله تعالى - كي تكون الدار منبراً علمياً يشار إليه بالبنان. بإذنه تعالى.

